علم الدلالة في المعجم العربي



تأليف

د. عبدالقادر سلامي

علم الدلالة في المعجم العربي

تأليف الدكتور
عبد القادر سلامي

الطبعة الأولى ٢٠٠٧

علم الدلالة في المعجم العربي

د. عبد القادر سلاّمي

دار ابن بطوطة للنشر والتوزيع

عمان/ خلدا ت: ٥٥٤٩٥٤٠ فاكس:٥٥٩٤٥٤١

ص.ب: ٩٢٧٠٧٩ الرمز البريدي ١١١٩٠

تصميم الغلاف: طارق الصياجنة

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية: (١٧٤١/ ٦/ ٢٠٠٧)

المواصفات: / // معجم/

المقدمـــة

لسنا بحاجة إلى تأكيد حقيقة مفادها أنّ الحديث عن الدلالة يفصح عن جانب هامّ ومصيري من حياة اللغة العربية.هذه اللغة التي لا يمكن أن تكتب لها الحياة ويدوم بقاؤها، مهما بلغت من الغنى، إلاّ باستعمالها وتداولها على ألسنة أهلها والنّاطقين بها، ووصل حاضرها بماضيها.ولعلّ ذلك كان سبباً إضافياً لظهور الدّراسات اللغوية دفع القدماء إلى المحافظة على لغة القرآن الكريم من ظاهرة اللّحن، فنشأ بذلك مبدأ تنقية اللغة العربية، وظهرت تآليف مختلطة وأخرى مستقلّة حفظت للغة العربية ماءها، فدوّنت رتبها المحفوظة وغير المحفوظة من منطلق السّماع والقياس والاستعمال.كما شهدت مرحلة التصنيف ميلاد معاجم اللغة بقسميها اللفظي والمعنوي في محاولة لحصر مفردات اللغة العربية وبما يسهّل الكشف عنها، وإن اختلف الحصر.

ويلاحظ الدّارس حين ينظر في تراث المعجمية العربية، أنّ العرب فاقوا غيرهم قديماً وحديثاً في العناية بالمعاجم، إذ تعدّدت طرقهم المنهجية في هذا المجال حتىّ كادت تستنفذ جميع الاحتمالات.

ومن المعروف أنّ جمع اللغة لم يكن قد تمّ حين ألّف الخليل كتاب العين. فالرواة كانوا يجدّون في جمع شتات اللغة العربية وتدوينها في الرسائل الصغيرة، بينما شرع أوائل النّحاة في استنباط القواعد النّحوية والصّرفية.وهكذا لم تتأخّر الحركة المعجمية عن غيرها من ضروب النّشاط اللغوي، وبذلك يكون القرن الثّاني الهجري قد شهد بداية التّأليف المعجمي إلى جانب بدايات كثيرة للتّدوين.

وقد سلك التّأليف المعجمي عند العرب طرقاً مختلفة أهمها ثلاث رئيسة، وهي:

- طريقة الترتيب الصوتي بحسب المخارج الصوتية والتقاليب والأبنية الصرفية.
- طريقة الترتيب الألفبائي وفق أصول الكلمات بالنّظر إلى الحرف الأخير من الكلمة.
- طريقة التّرتيب الموضوعي القائم على جمع المفردات ضمن حقول دلالية أو مجالات معنوية.

فالطريقتان الأولى والثّانية تحيلان إلى معاجم الألفاظ والثالثة إلى معاجم المعاني.

ولهذه المعاجم في اللغة العربية، ولا سيما الكبيرة منها، فوائد أخرى يعرفها المتمرّس بهذه المعاجم حقّ المعرفة منها: ضبط الألفاظ والاطّلاع على تطوّر بعض معاني المفردات من عصر إلى آخر، والكشف عن الأعلام والأشخاص والقبائل والأماكن وضبطها، وتحقيق كثير من الشواهد والروايات المتضاربة.

ونعرض في هذه الدراسة الأصول الفكرية واللغوية التي مهّدت لظهور الدلالة العربية جوهراً أو عَرَضاً في معاجم اللغة بقسميها اللفظي والمعنوي، وذلك وفق منهج وصفي ترجع أوليات التفكير في أصوله إلى الأسلاف بما يمثّل خطوةً رائدةً في العمل الدلالي بما يكفل رصد الجوانب الدلالية عند العرب والتطور الذي آلت إليه اللغة العربية، وجاهدت فيه جهاد المتنصرين، وهو منهج لا يفتَرِضُ فيه أن يسمّي القضايا بما يُصطلح عليه اليوم، كون المصطلح يتشكّل من الاهتمام بأبواب العلم من مثل ما جدّ في درس الدلالة العربية وما وقر في الدّرس الدلالي الحديث.فكان أن انقسم البحث بين يدي إلى مقدمة وثلاثة فصول.

عقدت الفصل الأول منه لرسم حدود الدلالة المعجمية في كتب اللغة ومعاجمها وذلك بالوقوف على الأصل والفرع وإطلاق الدلالة وتقييدها والتعدّد والاحتمال فيها.

وأمّا الفصل الثاني، فاستقلّ بالبحث في مظاهر التطوّر الدلالي في المعجم العربي بالتعميم والتخصيص والانتقال من الحسّي إلى المجرّد والانتقال من مجال إلى مجال.

وأخلصت الفصل الثالث لشعب السياق في المعجم العربي، معرّفاً السياق في اللغة والاصطلاح، ومبرزاً دلالته اللغوية والعاطفية والثقافية والمواقفية وما وقع منها في معاجم القدماء بقسميها اللفظي والمعنوي.

أمّا المصادر والمراجع، فمنها ما اعتمدته ومنها ما استأنست به فأحلت عليه، وهي كثيرة توزّعت بحسب مواضعها في البحث عالجت جوانب مختلفةً ممّا عالجته هذه الدراسة، وإن لم يخلُ الوصول إليها أو إصداراتها الجديدة من بعض العنَت.

وأملي أن يكون هذا البحث منطلقاً يقف به المُراجع والباحث على بعض خصائص المعجم العربي ممّا يقوي الرغبة بعلم الدلالة وتطبيقاته.

والله من وراء القصد.

الدكتور: عبد القادر سلاّمي
تلمسان في: ١٧/ ١٢/ ٢٠٠٣

الفصل الأول

الدلالة المعجمية

تعارف الدارسون المحدثون على أنواع من الدلالات يدخل بعضها ضمن ما عبّر عنه القدماء بوجه من الوجوه، ويدخل بعضها الآخر فيما سقط إليهم من الدراسات اللسانية الحديثة فأعملوا فيه الفكر ونبّهوا على ذلك استنطاقاً أو معالجة. فممّا تعارفوا عليه:الدلالة الصوتية، والدلالة الصرفية، والدلالة النّحوية، والدلالة المعجمية أو الاجتماعية(١)وميّزوا بين الدلالة المركزية والدلالة الهامشية.(٢)

---

(1) ينظر: دلالة الألفاظ ص٤٦-٥١. والجدير بالذكر هنا أنّ تمام حسّان ميّز بين أقسام المعنى، فذكر: المعنى الوظيفي(وهو الذي تكشف عنه المباني التحليلية للغة)، والمعجمي (الذي تدلّ عليه الكلمة المفردة كما في المعاجم)، والدلالي أو المقامي أو الاجتماعي (أي المعنى الذي لا يكتفي بتحليل تركيب المقال ولا بمعنى كلماته المفردة، وإنّما يراه فوق ذلك في ضوء المقام). اللغة العربية مبناها ومعناها لتمّام حسّان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دت، ص ٣٩. واستنطاقاً وتحليلاً للدلالة عند القدماء زاد فايز الداية على ذلك الدلالة السياقية الموقعية.(ينظر:علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، ص ٢٠). وهو ما سنعمد إلى استنطاقه في الفصل الثاني، إن شاء الله.

(2) يعدّ إبراهيم أنيس، فيما يبدو، أوّل من عُرف عنه استخدام مصطلحيْ الدلالة المركزية والدلالة الهامشية، كما أنّه الوحيد من بين لغوي العربية الذي خصّص بحثاً للحديث عن هاتين الدلالتيْن.(وصف اللغة العربية دلالياً، ص ١٥٥). فالدلالة المركزية تعكسها قناعة أفراد البيئة اللغوية الواحدة في حياتهم " بقدرٍ مشترَكٍ من الدلالة يصلُ بهم إلى نوعٍ من الفهم التقريبي الذي يكتفي به النّاس في حياتهم العامّة. وهذا القدر المشترك الدلالة هو الذي يسجّله اللغوي في معجمه ويسمّه بالدلالة المركزية"(ينظر: دلالة الألفاظ ص١٠٦). أمّا الدلالة الهامشية فعرّفها، بأنّها " تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمْزِجَتهم وتركيب أجسامهم وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم"(ينظر: نفسه، ص١٠٧). وقد شبّه الدلالة " بتلك الدّوائر التي تحث عقِبَ إلقاء الحَجَر في الماء.فما يتكوّن منها أولاً... يمثّلُ الدلالة المركزية للألفاظ يقع فهم بعض النّاس منها في نقطة

المركز، وبعضهم في جوانب الدّائرة، أو على حدود محيطها. ثمّ تتّسعُ تلك الدَّوائر، وتصبح ُ في أذهان القلّة من النّاس وقد تضمّنت ظلالاً من المعاني لا يُشركُهم فيها غيْرُهمْ. وتتّصل الدلالة الهامشية عنده اتّصالاً وثيقاً بما يسمّيه علماء النّفْس بالعاطفة.(نفسه، ص١٠٦).وإذاكان إبراهيم أنيس لم يُشِر صراحةً إلى ما إذا كانت الدلالات الهامشية مشاعرَ أو أفكَاراً، وإنْ كان مجملُ كلامه يوحي بأنّ المقصود بها ردود الفعل أو الاستجابات النفسية أو الأثر النفسي للكلمات(ينظر:وصف اللغة العربية دلالياً، ص١٥٥) ففي تراثنا العربي من إشارات تتّصلُ اتّصالاً بفكرة اشتمال الكلمات على معانٍ زائدة على معانيها المركزية، وأنّ اللفظ ليس قالباً مقيّداً للمعنى وحاصراً له، وبفكرة أنّ لتلك المعاني الزّائدة أهمّيّةً قصوى في التأثير في نفوس المتلقّين. نفسه، ص ١٧٧-١٧٨).

فقد عبّر أبو سعيد السيرافي(ت٣٦٨هـ)، فيما رواه أبو حيّان التوحيدي (ت ٤١٤هـ)، عن الفكرة الأولى حين ذهب إلى القول بأنْ مركّب اللفظ لا يحوزُ مبسوطَ العَقْل؛ والمعاني معقولةٌ ولها اتّصَالٌ وبَسَاطَةٌ تامّةٌ؛وليس في قوّة اللفظ من أيّ لغةٍ أن يملك ذلك المبسُوط ويُحيط به، وينصبَ عليه سُوراً، ولا يَدَعَ شيئاً من داخله أن يَخْرُج، ولا شيئاً من خارجه أن يدخُلَ ، خوفاً من الاختلاط الجَالِبِ للفسَادِ، مشيداً بجهود العلماء والفقهاء في عدَم توقّفهم على ما يفهمه عامّة النّاس لغَوْر استنباطهم وحُسْن تأويلِهم لَما يَردُ عليهم وسَعَة تشقيقهم للوجوه المحْتَمَلَة والكنايات المفيدة والجهات القريبة البعيدة. (الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، سلسلة الأنيس، موفيم للنشر، ١٩٨٩م، ١/ ١٦٩). أمّا الفكرة الثانية، فقد أثارت اهتمام عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١ هـ) حين فرّق بين مستويَيْن من المعاني:(١)- المعاني الحقيقية أو المعاني المعجمية. (٢)- والمعاني المجازية أو معاني العلاقات. فأطلق على الفرع الأوّل:ْ المعنىْ، وعلى الثانيْ معنى المعنىْ. (مقدمة مُراجع النص العربي لكتاب: علم اللغة العام لفيلديند دي سوسير، ص ١١). وقد مثّل لمصطلح(المعنى) بما يُفهَم من دلالة اللفظ (خَرَجَ زيْدٌ) و(عمْرٌو منْطَلِقٌ) عند قصد الإخبار عن زيدٍ بالخروج وعن عمرو بالانطلاق. ومن الأمثلة التي أوضح بها مراده من مصطلح(معنى المعنى) قول أحدهم:ْ بلَغني أنّك تقَدّمُ رِجْلاً وتؤخّر أُخرىْ، فتعْلَمُ من قوله هذا أنّه أرَادَ التّرَدُّدَ في أمرالبيعة واختلاف العَزْم في الفِعْل وترْكِه على ما مضى. ْوإذ قد عَرفْتَ هذه الجملَة، فها هنا عبارةٌ مختَصَرَةٌ وهي أن نقولَ المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تَصِلُ إليه بغير واسِطَةٍ وبمعنى المعنى أن تعْقِلَ من اللفظ معنًى ثمّ يُفْضي بِكَ المعنى إلى معنًى آخَرَ كالذي فَسّرْتُ لَكَ.ْ (دلائل الإعجاز، ص ١٨٤). على أنّ من المحدثين من نسَبَ هذا الضَّرْبَ من الاهتمام إلى ْحازم القَرْطَاجَنّيْ (ت ٦٤٠ هـ) مع سوْق للشواهد السابقة منْ دلائل الإعجاز: مع شيءٍ من التفصيل. (ينظر: وصف اللغة العربية دلالياً، ص ١٧٧-١٧٨). والحقُّ أنّ أقربَ مصطلحين في دراسات الغربيين للمعنى من

فالدلالة الصوتية تُستمدّ من طبيعة الأصوات في عبارة ما، فكلمة "تنضخ" التي تدلّ في عرف اللغويين على فوران السائل في قوّة وعنف إذا قارنّاها بنظيرتها "تنضح" التي تدلّ على تسرّب السائل في تُؤَدة وبُطْء [٣]، يتبيّن لنا أنّ صوت الخاء في الأولى له دخل في دلالتها فأكسبها في رأي أولئك اللغويين تلك القوّة وذلك العنف.[٤] وعلى هذا فالسامع يتصوّر بعد سماعه كلمة "تنضخ" عَيْناً يفور منها النفط فوراناً عنيفاً والفضل يرجع في مثل هذا إلى إيثار صوت على آخر، أو مجموعة من الأصوات على أخرى في الكلام المنطوق به.[٥] وهو ما عبّر عنه ابن جنّي تحت (باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني) ودرس بعضًا من أمثلته[٦]، فقد وجدناه يقول: "نَعَمْ، ومن وراء ذلك مَا اللُّطْف فيه أظهرُ، والحكمة أعلى وأوضح، وذلك أنّهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبَّر عنها، بها ترتيبَها وتقديم ما يضاهي آخرَهُ وتوسيط ما يضاهي

زاوية الفرْق بين ما يدلُّ على دلالة مركزية وما يدلّ على دلالة هامشية تعود إلى جون استوارت مِلْ(Jhon Stuart Mill) الذي قدّم هذا التقابل الاصطلاحي عام (١٨٤٣م) وهما مصطلحا Denotation (الإحالة) أو (المعنى التصوُّري :Conceptuel أو حقيقي كما يسمّه البيانيون) أو إشاري :Dennotatif.فلفظ الأمْ مثلاً يعرض لنا تصوُراً للأمّ مشتملاً على جميع العناصر التي لا يتحقّق المعنى بدونها. ومصطلح: Connotation (التضمّن أو المعنى اللُّزومي) :Connotatif وهو ما يُفْهَمُ من اللّفظ زائداً عن المعنى التصوُّري، فإذا رجعنا إلى لفظ "أمّ" وجدنا أنّ هذا المعنى قد يتكوّنُ من الخصائص التي يمكن أن يفهم المعنى بدونها(كالزّوَاج والإرْضَاع وغيرهما)، ولأنّ هذه العناصر تقوم من الأمّ مقام الكَرَم من كثْرة الرَّماد، وهذا هوالمعنى البعيد. ينظر:وصف اللغة العربية دلالياً، ص ١٥٨ والأصول دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، النحو، فقه اللغة، البلاغة لتمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ص٣٨٤-٣٨٥ و Geoffrey Leech, Semantics the study of meaning ,second edition, Pinguin,1990. ,pp9,12-13.

(3) معجم مقاييس اللغة، ٥/ ٤٣٨، مادة(نضخ) والخصائص، ٢/ ١٥٨.

(4) الخصائص، ٢/ ١٥٨.

(5) دلالة الألفاظ ص ٤٦.

(6) ينظر: الخصائص، ٢/ ١٥٧- ١٦٨.

أوسطه، سَوْقاً للحروف على سَمْت المعنى المقصود والغرض المطلوب."(٧) من ذلك قوله في "بحث" و"جرّ"، "فالباء في بحث لغِلَظِها تشبه بصوتها خَفْقَة الكفّ على الأرض، والحاء لصَحَلها(*) تشبه مخالب الأسد، وبراثن الذّئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثّاء للنّفْث والبَثّ للتراب. وهذا أمر نراه محسوساً مُحصّلاً، فأيُّ شبهة تبقى بعده أم أيُّ شكّ يَعْرِضُ على مثله." (٧) فهو بذلك يرى أنّ العرب استخدمت البحث للتنقيب لما في حروفها من دلالة وإيحاء لهذا المعنى.

ومن ذلك عنده: " جرّ الشيء يَجُرُّه ، قدّموا الجيم ؛ لأنّه حرفٌ شديدٌ، وأوّل الجرّ بمشقّة على الجارّ والمجرور جميعاً، ثمّ عقّبوا ذلك بالرّاء، وهو حرف مكرّر، وكرّروها مع ذلك في نفسها، وذلك لأنّ الشيء إذا جُرّ على الأرض في غالب الأمر اهتزّ عليها واضطرَبَ صاعداً عنها، ونازلاً إليها، وتكرّر ذلك منه على ما فيه من التَّعْتَعَة(*) والقَلَق.فكانت الرّاء لما فيها من التكرير، ولأنّها قد تكرّرت في نفسها في(جرّ) و(جرَرْتُ) أَوْفَقَ لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها."(٨) فواضح من هذا القول اعتماد ابن جنّي على مبدأ رُتَبَة الحروف وتواليها، على حسب خصائصها وصفاتها من شدّة وتكرار بما يؤدي إلى مشقّة واضطراب ومن ثمّ إلى العلاقة الطبيعية بين معنى الجرّ والأصوات.

على أنّ المتتبّع للأمثلة التي ذكرها ا بن جنّي وتعليقه عليها قد يصل إلى الاقتناع بأنّ هذه الظاهرة موجودة بالفعل في العربية، ولكنّه إذا كان موضوعيّاً سيرى مظاهر التكلُّف في معالجته لكثير من الأمثلة (٩)؛ فهو في الأمثلة التي ذكرناها والتي لم نذكرها، كان أميل

---

(7) نفسه، ٢/ ١٦٢-١٦٣.

(*) الصّحَلُ: البحّةُ في الصوت أو احْتِدادِه في بَحَحٍ.ينظر:القاموس المحيط، ٤/ ٢، مادة(صَحِلَ).

(7)الخصائص، ٢/ ١٦٢.

(*) التَّعْتَعَةُ: الاضطراب والقَلَقُ. ينظر: معجم مقاييس اللغة، ١/ ٣٣٨، مادة(تع).

(8) الخصائص، ٢/ ١٦٤.

(9) وصف اللغة العربية دلاليا، ص٣٣.

إلى المواضعة منها إلى المحاكاة الصوتية.(١٠) فقد رأيناه يعدل، وقد أعوزه التحليل على ما يبدو، عن التفسير السابق عندما اكتفى بتعليل بعض المسمّيات كـ 'الفُتُور' و' الرَّفْث ' والرَّديف ' و' الطِّفْل '، فقال(١١):'ومنه الفُتُورُ للضَّعْفِ، والرَّفْثُ للكَسْرِ، والرَّدِيفُ، لأنّه ليس له تَمَكُّنَ الأوَّلِ، ومنه الطِّفْل للصبيِّ لضَعْفِه، والطِّفْل للرَّخْصِ وهو ضدُّ الشَّثْنِ.(*) الأمر الذي لا يجعل في رأينا ما ذهب إليه السيوطي (١٢)من افتتان' ببديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المُقتَرِنة المتقاربة في المعاني، فجعلت الحرف الأَضْعفَ فيها والأَلْيَنَ والأَخْفَى والأسْهَل والأَهْمَس لما هو أدنى وأقلُّ وأخفُّ عملاً وصوتاً، وجعلت الحرف الأَقْوى والأَشدَّ والأَظْهَر والأَظْهَرَ والأَجْهرَ لما هو أقوى عملاً وأعظمَ حسّاً (١٣)، منطلقاً للقول باستمرار ذلك في مجموع لغة العرب ؛ ومن ثمَّ نسبته إلى ابن جنّي مذهباً، جرياً على ما قال به افتتاناً.(١٤)

أمّا الدلالة الصرفية، فتُستفاد من الصيغ وأبنيتها.ففي اختيار المتكلّم 'عرِف'بدلاً من'عارف'، لأنّ الأولى جاءت على صيغة يُجمع اللغويون القدماء على أنّها تفيد المبالغة

---

(10) وهو ما جعل جلُّ أهل اللغة يُطْبِقون على إنكار هذه المناسبة.ينظر: فقه اللغة في الكتب العربية لعبده الرّاجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٦٨-٦٩.

(11) الخصائص، ٢/١٦٧.

(*) الشَّثْنُ: كلُّ مَا غَلُظ من عُضْوٍ.ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٢٤٥، مادة(شثن).

(12) وهو مذهب صبحي الصالح كذلك. ينظر: دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط٩، بيروت، ١٩٦٠م. ص ١٥١. وهو مذهبٌ تولّى عبده الرّاجحي الردّ عليه والتقليل من أهميته.ينظر: فقه اللغة في الكتب العربية، ص ٦٨.

(13) المزهر، ١/ ٥٣.

(14) وهو قوله: 'فإنْ رأيْتَ شيْئاً لا يَنْقَادُ لَكَ فيما رَسَمْنَاهُ، ولا يُتابِعُكَ على ما أورَدْنَاهُ، فأَحَدُ أمْرَيْن: إمّا أن تكونَ لم تُنْعِمِ النَّظَرَ فيه فيَقْعُدَ بِكَ فكرُكَ عنهُ ، أو لأنّ لهذه اللغة أصُولاً وأوَائِلَ قد تَخفى عنّا وتَقْصُرُ أسبَابُها دونَنا كما قال سيبويه: أو لأنَّ الأوَّلَ وَصَلَ إليه عِلْمٌ لم يَصِلْ إلى الآخِرِ.ينظر: الخصائص، ٢/ ١٦٤

(١٥)، فكلمةْ عرّفْ تزيد في دلالتها علىْعَارِفْوقد استمدّت هذه الزيادة من تلك الصيغة المعينة.فاستعمال كلمةْعرّفْيمدُّ السّمع بقدر من الدلالةلم يكن ليصل إليه أو يتصوّره لو أنّ المتكلّم استعملْعَارِفْ. (١٦)

كما أنّنا لو أخذنا لفظة واحدة مثل ْ لعبْ وأضفنا إليها وحدة صوتية أخرى مثل (يـ) في أوّل اللفظة لزاد المعنى فأصبح للدلالة على اللعب من قبل مذكّر في الوقت الحاضر. ولوأضفنا وحدة صوتية في وسط اللفظة مثل ْلاعِب ْ لدلّت اللفظة على شخص يقوم باللّعب. ولو أضفنا وحدة صوتية في آخر اللفظة نحوْ لَعِبْتُ ْ لدلّت على اللعب من قبل مؤنّث في الزّمن الماضي. وقدجعل التغيير في المعنىْ نتيجة تغيُّر صيغة اللفظة، وهو من اختصاص المستوى الصرفي.فالمستوى الصرفي يدرس التغيُّرات التي تطرأُعلى صيغ الكلمات فتحدث معنى جديداً ْ.(١٧) وقد تكون الوحدة الصوتية حركة واحدة كالضمّة، أو الفتحة، أوالكسرة، أو التنوين، وقد تكون حرفاً أو أكثر.(١٨) وكلّ وحدة صوتية ذات معنى تسمّى:ألمورفيمْ(Morphème)(١٩).فالمستوى الصرفي مكوّن من وحدات صوتية ضمن نظام لغوي معيّن، وأنّ المستوى الصرفي مرتبط بالمستوى الصوتي.

---

(15) ينظر: النّكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن، ص ١٠٤-١٠٦ وشرح ألفية ابن مالك لابن النّاظم، ص ٤٤١ والمنهج الصوتي للبنية العربية – رؤية جديدة في الصرف العربي- لعبد الصّبور شاهين، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص ١١٥.

(16) دلالة الألفاظ ص ٤٧ وينظر: العربية لغة العلوم والتقنية، ص ١٣٥.

(17) علم الدلالة والمعجم العربي لعبد القادر أبو شريفة وداود غطاشة وحسين لافي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٩م، ص ١٣.

(18) نفسه، ص ١٣ ويظر: المنهج الصوتي للبنية العربية – رؤية جديدة في الصرف العربي-، ص ٣٥-٣٦.

(19) مناهج البحث في اللغة، ص ٢٠٤و علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص ٢١٩.

والملاحظ أنّ جهود القدماء كانت في المجال الصّرفي موفّقة إلى حدٍّ بعيدٍ [٢٠]. وأوضح الأدلّة على ذلك ما بحثوه في معاني صيغ الزوائد وحروف الزيادة وعلاقتها بالأبنية، [٢١] وصيغ المبالغة، [٢٢]والأسماء المشتقة، [٢٣] وأبنية التصغير، [٢٤] والتأنيث[٢٥] وغير ذلك.

أمّا الدلالة النحوية، فتقوم على احترام نظام الجملة العربية أو هندستها بما يوافق رتبها المحفوظة وغير المحفوظة.فمن المعروف أنّ علماء العربية قد قسّموا الكلام إلى اسم وفعل وحرف وبيّنوا صفات كلّ منها. كما لاحظوا أنّ حركة الأسماء متغيّرة، وما خرج

---

(20) ينظر:الدراسات اللغوية عند العرب، ص ٤٣٧-٤٣٨ ومصنّفات اللّحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري لأحمد محمد قدّور، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية، ١٩٩٦م، ص ٩٠ والدراسات اللغوية عند العرب، ص ٤٣٧-٤٣٨.

(21) ينظر على سبيل المثال: شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية بحلب، ط١/ ١٣٩٣ه-١٩٧٣م، ص٦٤-٩٠، ١٠٠-١١١والممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي، تحقيق فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ١/ ٢٠١-٢٩٤ والتكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي، لأبي علي الفارسي، تحقيق حسن شاذلي فرهود، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، ١٩٨٤م، ص ٢١٢-٢١٧، ٢٣١-٢٤٢.

(22) ينظر على سبيل المثال: كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، دت، ٢/ ٦٠ و٤/ ١٠٨و التكملة، ٢/ ٢١٨-٢١٩.

(23) ينظر على سبيل المثال: اشتقاق الأسماء لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق رمضان عبد التواب، وصلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي بمصر، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ٧١-١٢٩ الصاحبي في فقه اللغة، ص ٦٦-٦٧ والمزهر، ١/ ٣٤٥-٣٤٦ والخصائص، ٢/ ١٣٣-١٣٤.

(24) ينظر على سبيل المثال: اللُّمَع في العربية لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط٢، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص٢٧٥-٢٨٦.

(25) ينظر على سبيل المثال: المذكر والمؤنّث للفرّاء، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٥٧-١٣٤ والمذكر والمؤنّث لابن التستري، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ص ٤٧-١١١.

عن ذلك عَدُّوه مبنياً وعَدُّوا الأفعال مبنية، وما خرج عن ذلك فهو مُعرَب.(٢٦) فإذا وضعنا الكلام في جملة فإنّنا نقيم علاقات بين هذه الألفاظ لتؤدي معنى مقصوداً، فحين نقول:شكر موسى عيسى موسى يتوجّب أن يكون موسى هو الشّاكر؛ لأنّ أصل ترتيب الجملة الفعلية لأَمْن اللّبس، تماماً كما تقول (شَكَرَ زيدٌ عمراً).(٢٧) ومن هنا يتبيّن أنّ التركيب والإعراب عمليتان متّصلتان توضّح إحداهما الأخرى؛ فأيّ اختلال في ذلك يجعل من العسير أن يُفهم المراد من الجملة الآتية:(لا تصدق في وسط الصحراء، فهو هل يعقل في ثوان النفط كذاب العين تنضخ).(٢٨)

على أنّ الدلالة المعجمية للألفاظ وإن كانت تعكس المعاني التي كانت عليها في أصل الوضع، فإنّ الدلالة الاجتماعية للكلمات تظلّ تحتلّ بؤرة الشعور ؛لأنّها الهدف الأساس في كلّ كلام.فلكلّ كلمة من كلمات اللغة دلالة معجمية أو اجتماعية تستقلّ عمّا توحيه أصوات كلمة ما أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الدلالة الأساسية، وهي التي يطلَقُ عليها الدلالة الاجتماعية.(٢٩) ولكنّ الجانب المعجمي، في رأينا، يظلّ

(26) الكتاب، ١/ ١٢ والمقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد ـ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، دت، ١/ ٣ والجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط٢ ، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، ص ٢٣.

(27) علم الدلالة والمعجم العربي، ص ١٤وينظر: العربية لغة العلوم والتقنية، ص ١٣٥ .

(28) دلالة الألفاظ ص ٤٨ وينظر:علم الدلالة النظرية والتطبيق، ص ٢١. على أنّ من الباحثين المعاصرين من لاحظ مبالغة بعض الدارسين المحدثين في تأكيد هذه الدلالة، إذ يرون أنّها هي التي تُعطي الكلمة دلالتها وليس المعجم.ينظر: مصنّفات اللّحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري، ص ٩٠.

(29) نفسه، ص ٤٨-٤٩. وقد عمد بعض اللغويين من المحدثين إلى التفريق بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية، وإن كان يصعب الفصل بينهما عملياً للتداخل الحاصل انطلاقاً من أنّ المعنى المعجمي لا يحدَّد إلاّ ضمن ما تواضع عليه الجمهور، فتحدّ دلالته اجتماعياً؛لأنّ المعاجم وإن كانت مهمّتها الأساسية هي توضيح تلك الدلالات الاجتماعية، غير أنّها قد تعرض لبحث مسائل في النحو والصرف.(ينظر على سبيل المثال:اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٣٩)، الأمر الذي عدّه

أقربَ الجوانب جميعاً إلى الدلالة الاجتماعية ؛ لأنّ المفردات ودلالتها لاتدوّنُ في المعجم إلاّ بعد اتّفاقٍ اجتماعي يقوم على المواضعة والعُرف.وتمثّلُ هذه الدلالة نقطة البدء للدلالات الأخرى التي تضيفُ إليها ما تكتسبه من معانٍ تتّصلُ بالاستعمال إضافة إلى معاني الصّيَغ والمواقع السياقية.(٣٠) ولنا وقفة متأنّية عند هذا الجانب لتحليل كثير من أمثلته وما يتّصل بالثروة اللفظية من مشكلات دلالية.

١)-الأصل والفرع:

أ-الأصل لغة:

الهمزة والصاد واللاّم أصول ثلاثة متباعد بعضها عن بعض. أحدها الأصل أساس الشيء، أي ما يقوم عليه، وجمعه أصول لايكسّر على غير ذلك، وهو اليأصُول. يقال: أصلٌ مؤصَّلٌ وأَصُلَ الشيءُ: صار ذا أصلٍ، وكذلك تأصّل.وقال الكسائي (ت١٨٩هـ) في قولهم: لاأصْلَ له ولا فَصْل:إنّ الأصل الحسب والفصل اللّسان. (٣١)ويقال: مجدٌ أصيلٌ.والثاني الأصلَةُ: الحيّة العظيمة وهي أخبث الحيات(*)، وفي الحديث في ذكر الدَّجّال (كان رأسه أصلَة)(٣٢). والثالث: الأصيل: ما كان من النّهار بعد العصر إلى

إبراهيم أنيس معياريًا لم تلتزم فيها المعاجم العربية القديمة الطريق السويّ في عرض مفرداتها حين جمعت بين المطّرد القياسي والشاذّ السماعي. (دلالة الألفاظ ص ٥٠). ولكن يشفع للغويين، في رأي الباحث نفسه، في عدم تفريقهم بين الدلالة المعجمية أنّ المعاجم قديمها وحديثها تتّخذ من الدلالة الاجتماعية للكلمات هدفاً أساسياً لها، فلا غرابة ألاّ يُفرّق بعض اللغويين، ونحن منهم، بين الدلالتين مقتنعين بأنّ ذكرنا للأولى لايعني به سوى الثانية. دلالة الألفاظ ص ٥١ وينظر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص ١٨، ٢٠.

(30) مصنّفات اللّحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر، ص ٩٠.

(31) مجمع الأمثال لأبي الفضل النيسا بوري الميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد منشورات دار النصر، دمشق، بيروت، دت، ٢/ ٢٤٢.

(*) ذهب ابن سيده في (باب الحيّات نعوتها وأسمَاؤها) إلى أنّ الأَصَلَة: حَيَّةٌ مثلُ الرَّحَا مستَديرَةٌ حَمْرَاءُ لا تَمَسُّ شَجَرَةً ولا عُوداً إلاّ سَمَّتْه ليست بشديدة الحُمْرَة وتَخُطُّ بذَنَبِها في الأرض وتُطْحَنُ طَحْنَ الرَّحَا وتَحَوَّزُ، والتَّحَوُّزُ: أن تُطْحَنَ وتَتَقَدَّمَ، ويُقال: هي من دَوَاهي الحيّات وهي قصيرةٌ عَريضَةٌ مثل الفَرْخ تَثِبُ على الفارس والجَمْعُ أَصَلٌ. المخصص، ٨/ ١٠٨-١٠٩.

(32) ينظر:صحيح البخاري، ٤/ ٢٣٢.

المغرب، ويقال له العَشِيُّ، وجمعه أُصُلٌ وأُصْلَان وآصالٌ، ويقال: أصيل وأصيلَةٌ وجمعها أصَائِل (٣٣).

ب-الأصل اصطلاحاً:

تمتدّ فكرة الأصل، وهي عماد القياس وما يستتبعه من تعليل، إلى مختلف مجالات البحث اللغوي من نحو وصرف واشتقاق؛كما يطالُ المسائل الفقهية التي كانت تنصرف إليه لاستقرار مسائله المتشعّبة.(٣٤)

وعلى الرغم من ترداد كلمة الأصل في كلام القدماء، فإنّ معناها لا يخلو من شيء من الإبهام ؛ لأنّ كلاً منهم تطرّق إليه بحسب تصوّره ومفهومه للظاهرة التي هو بصدد دراستها التعرّض إلى مفهوم الأصل بحدّ يحدّه. (٣٤) فنجد ابن جنّي في (باب مراجعة الأصل الأقرب دون الأبْعَد) يطلق لفظة (الأصل) على الحال الأولى التي يكون عليها الشيء، من ذلك تعليله لضمّ الذّال في قولهم (ماراَيْتُهُ مُذُ اليَوْمِ) والأصل(مُذْ)بالتسكين: " إنّهم لّما حرّكوها لالتقاء السّاكنيْن لم يكسروها، لكنّهم ضمّوها ؛ لأنّ أصلها الضمّ في: مُنْذُ".(٣٥)

أمّا ابن فارس فيرى الأصل في القول على موضوع اللغة وأوّليّتها ومنشئها، ثمّ على رسوم العرب في مخاطباتها ومالها من الافتِنان تحقيقاً ومجازاً.فلَوْ أنّ متوسّماً بالأدب لم يعلم ما إذا كانت العرب تتكلّم في النّفي بما لا تتكلّم به في الإثبات لنَقَصه في شريعة الأدب عند أهل الأدب ؛ لأنّ ذلك يُرْدد دينه أو يجرُّه لمأثم. كما أنّ متوسّماً بالنّحو لو

(33) معجم مقاييس اللغة، ١/ ١٠٩، مادة(أصل) ولسان العرب، ١١/ ١٦-١٧، مادة(أصل) وينظر: الكليات، ١/ ١٨٨-١٨٩مادة (الأصل).

(34) القياس في النّحو مع تحقيق باب الشّاذّ من المسائل العسكريات لأبي علي الفارسي لمنى إلياس، ديوان المطبوعات الجامعية، ط١، الجزائر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ٣٢.

(34) القياس في النّحو مع تحقيق باب الشّاذّ من المسائل العسكريات لأبي علي الفارسي لمنى إلياس، ديوان المطبوعات الجامعية، ط٢، الجزائر، ط ت، ص ٣٢.

(35) الخصائص، ٢/ ٣٤٢.

سئِل عن أصل القَسَم وكَمْ حُرُوفه، وما هي الحروف الخمسة المشبّهة بالأفعال التي يكون الاسم بعدها منصوباً وخبرُهُ مرفوعاً؟ فلم يُجبْ لَحُكِمَ عليه بأنّه لَمْ يُشَامّ صناعة النّحو قطُّ.(٣٦) وتابعه في ذلك ابن الأنباري(ت٥٧٧هـ) الذي أورد حُجَجَ البصريين والكوفيين في كون أحد البنَائَيْن:الفعل والمصدر أصلاً للمشتقات.(٣٧)

أمّا أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)فقد تعرّض لمفهوم الأصل اصطلاحاً، فرآه يتمثّل في المعنى الأول الذي تؤوّل إليه كلّ صورة: فالأصل في الدين التوحيد، والأصل في الكلام الحقيقة لا المجاز، والأصل في الألفاظ اختلافها، والأصل في الكلام التصريح وهو الإظهار، أي إظهار معاني الكلام، والأصل في بحث الألفاظ هو النقل لا العقل. كما يتمثّل الأصل في الحكم الذي يستحقّه الشيء بذاته، فأصل الأسماء الإعراب، وأصل الإعراب أن يكون بالحركات ؛ وأصل الفعل والحرف البناء.(٣٨)

و على الرغم من تشعّب فكرة الأصل، إلاّ أنّه يظلّ الأساس الذي ينبني عليه غيره ويُفْتَقَرُ إليه ولا يَفْتَقِرُ هو إلى غيره (٣٩)، فيصير بذلك الحكم الذي يستحقّه بذاته؛ وهذا ما نلمحه في مختلف الأصول والقضايا التي يرد فيها ذكر الأصل والفرع. وبهذا الاعتبار، فهو يكاد أن يكون فكرة مجرّدة أو صورة ذهنية تتمثّل هي وما يتفرّع عنها في تطبيقاتها المشخّصة.(٤٠)

وممّا سبق ذكره نخلص إلى القول:إنّ الأصل هو ما ينبني عليه غيره، وفي الاستعمال هو أولى حالات الحروف أو الكلمة قبل أن يطرأ عليها تغيير كأن يقال:إنّ أصل الألف

---

(36) الصاحبي في فقه اللغة، ص ٣٤-٣٥.

(37) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ١/ ٢٣٦-٢٤٠.

(38) الكليات، ١/ ١٨٨-٢٠١، مادة(الأصل).

(39) نفسه، ١/ ١٨٨مادة (الأصل) وفي قضايا فقه اللغة العربية لصالح بلعيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ، دت، ص ٧٩.

(40) القياس في النحو، ص٣٢.

فيْ قالْ واو(قوَل)وأصلهافيْباعْ ياء (بيَع) ثمّ تحركت المادتّان وانفتح ما قبلهما فقلبت ألفاً، وإنّ أصل باعُبيَعْ، فتحركت الباء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً.(41)

ومبدأ الأصل يعتمد على مفهوم رياضيّ خصوصاً في الاشتقاقات التي بينها صلات القرابة ؛ لأنّ المسائل الفقهية إنّما تتفرّع عمّا يبتنى عليها وما قيس عليه من الأصول؛كما يعتمد على نظرة تاريخية من حيث ظهور الصيغ في وقت أسبق من الصيغ التي تلتها.فمن حيث الدلالة على الكمية، أي الدلالة على الأشياء، نجد التعبير بصيغة الإفراد والتثنية والجمع بحيث جعل العلماء المفرد هو الأصل وما سواه فرعٌ له.(42) أمّا من حيث الدلالة على الجنس والعدد، فقد جعلوا المذكّر هو الأصل والمؤنّث فرعٌ عليه.(43)وعند تعظيمهم الشيء وتحقيره نجد المكبّر والمصغّر، فالمكبّرهو الأصل والمصغّر هو الفرع.(44) كما نظروا إلى الفعل ودلالته الزمنية، فجعلوا الماضي والمستقبل والحال وأيّ زمن آخر هو فرعٌ عنها. (45)

وممّا تقدّم من أمثلة يتبيّن لنا أنّ أحكام علماء اللغة بأنّ الأصل في بعض الأشياء كذا ولعلّه كذا، ليست من باب تسليط الاعتبارات العقلية على أوضاع اللغة، وإنّما هي أحكام وقوانين مستنبطة من استقراء الكلام وعقد المقارنات.وممّا يصدّق قولهم هنا أنّ هذه الأشياء التي سمّوها أصولاً تقدّم لنا تفسيراً بيّناً للظواهر التي نلمحها في الواقع وهو تفسير تتقبّله البداهة.(46)

---

(41) معجم المصطلحات النحوية والصرفية لمحمد سمير نجيب اللّبدي، مؤسسة الرسالة ودار الفرقان، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ص ١١، مادة (أصل).

(42) في قضايا فقه اللغة العربية، ص ٨١.

(43) القياس في النحو، ص ٣٤.

(44) في قضايا فقه اللغة العربية، ص ٨٠.

(45) ينظر:زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته – دراسة في النحو العربي- لعبد الجبار توامة، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٤م، ص ٣.

(46) القياس في النحو، ص ٤٦.

ج-الفرع لغة:

الفاء والراء والعين أصل صحيح يدلّ على عُلُوّ وارتفاعٍ وسُمُوّ وسُبُوغ.فالفَرْعُ، وهو أعلى الشيء، ويجمع على فروع، لايكسّر على غير ذلك.وفَرَعْتُ الشَّيْءَ فَرْعاً:عَلَوْتُه.ويقال: أفْرَعَ بنو فلان، إذا انتجعوا في أوّل النّاس.والفَرَعُ المالُ الطَّائل المعَدّ، والأفْرَعُ: الرّجُل التّامّ الشَّعْر وقد فَرِعَ.(47)

د- الفرع اصطلاحاً:

الفرع هو ما كان جزءاً من الأصل، أي أنّه متفرّع عنه، فالضّمير "هوَ" مثلاً أصل في الدّلالة على الغائب وله فروعٌ تتفرّع عنه، وهي كلّ ضمائر الغائبين من مثل:هيَ وهما وهُنّ.(48)وعلى ذلك فالفرع هو ما يبنى على غيره.(49)

هـ - علاقة الأصل بالفرع:

لم يُعْنَ اللغويون القدماء بمعنى الكلمة وما تدلّ عليه فحسب، بل اعتنوا كذلك ببحثي الاشتقاق والأبنية المتعلقَيْن بشكل الكلمة ومادتها.على أنّ من الصعوبة بمكان الفصل التامّ بين المبنى والمعنى وإفراد كلّ منهما بالبحث دون ملاحظة الوجه الآخر.(50) وعلى هذا الأساس، فإنّ بحث الاشتقاق وردّ الألفاظ إلى أصولها لابدّ أن يتغيّر فيه المعنى، فهو الذي يعين على معرفة الأصل ويدلّ عليه.(51) وقد رأى ابن فارس أنّ للغة العرب مقاييس صحيحة وأصولاً وفروعاً تُحمَل عليها(52)، ثمّ قال:إنّ لعلم العرب أصلاً وفرعاً.أمّا الفرع، فمعرفة الأشياء والصفات كقولنا:فَرَسٌ ورجُلٌ.وأمّا الأصل، فهو

---

(47) معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٤٩١، مادة (فرع) ولسان العرب، ٨/ ٢٤٦، مادة(فرع).

(48) معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص ١٧٠، مادة (فرع).

(49) لسان العرب، ٨/ ٢٤٦، مادة (فرع).

(50) في قضايا فقه اللغة العربية، ص ٧٩.

(51) فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية للكلمة العربية وعرض بمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد لمحمد المبارك دار الفكر، ط٥، بيروت، ١٩٧٢م ص ١٥٣.

(52) معجم مقاييس اللغة، ١/ ١.

القول على موضوع اللغة وأوّليتها ومنشئها، ثمّ على رسوم العرب في مخا طبتها وما لها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً.(٥٣)

والنّاس عنده في ذلك رجلان: رجلٌ شُغِلَ بالفرع فَلاَ يعرف غيرَهُ، وآخرُ جمع الأمْرَيْن معاً، وهذه المرتبةالعليا، ذلك أنّ طالب العلم العُلْويّ يكتفي من سماء " الطّويلْ بالطّويل، ولا يَضيرُه أن لا يعرفْ الأشَقّ " (الطويل)وْ الأمَقّ (الطويل طُولاً فاحشاً)، وإن كان في علم ذلك زيادةُ فضْل.وإنّما لم يضِرْه ذلك خفاء ذلك عليه ؛ لأنّه لايكاد يجد منه في كتاب الله جلّ ثناؤه شيئاً فَيُحْوَجُ إلى علمه ؛ ويقلُّ مثله أيضاً في ألفاظ رسول الله ﷺ، إذ كانت ألفاظه ﷺهي السّهلة العذبة.(٥٤)

وإذا كان ابن فارس قد ركّز على وجوب المعرفة لما يصبّ في حقل الأصول، فإنّه في المقابل رأى في عدم إظهار المراد من سؤال ما يتعلّق بالفروع أمراً مسوغاً ولا يعَدّ نقصاً شائناً ؛ لأنّ الكلام العربي أكثر من أن يحصى، وإن كان العلم به زيادة فضل؛ إذ لو سئِل متوسّم بالأدب عن الجَزْمِ والتسويدْ، كإحدى الطّرق في علاج النّوق، فتعفّف في أمر الإجابة لم ينقصه ذلك عند أهل الأدب شيئاً ؛ لأنّ الأمر متعلّق بالفروع دون الأصول.(٥٥)

أمّا ما نصّ عليه ابن جنّي في الخصائص في (باب في أنّ ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب)قائلاً: " ألا ترى أنّك لم تسْمَع أنتَ ولاَ غيْرُكَ اسم كلّ فاعل ولا مفعول، وإنّما سمِعْتَ البَعْضَ فقِسْتَ عليه غيرَه. فإذا سمِعْتَ (قامَ زَيْدٌ) أجَزْتَ (ظَرُفَ بِشْرٌ)، و(كَرُمَ خالِدٌ)، فيفهم منه أنّ الفرع هو المقِيسُ وأنّ الأصل هو المقُاسُ عليه.(٥٦)، وهوما جعله النحاة واللغويون ركناً من أركان القياس.(٥٧)

---

(53) الصاحبي في فقه اللغة، ص ٣٣-٣٤.

(54) نفسه، ص ٣٤.

(55) الصاحبي في فقه اللغة، ص ٣٤-٣٥.

(56) الخصائص، ١/ ٣٥٧.

وقد ذهب بعض الدارسين المحدثين إلى أنّ المعاجم العربية، فيما يبدو، لم تقتصر على هذا النّوع من الدراسة لمعاني الألفاظ ولم تحاول ربط أواصر القربى بين المفردات التي تشترك في أصل واحد، ولا تحليل تعدّد معاني الكلمة الواحدة أو الرّبط بينها، إلاّ إذا استثنينا "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس، الذي هو مثلٌ رائعٌ للمعاجم التي تعنى بمعاني الألفاظ ومحاولة الرّبط بينها وإعادتها إلى أصول تفرّعت عنها.(٥٨) فقد لاحظ ابن فارس أنّ الناس ألّفوا في جوامع اللغة ما ألّفوا، ولم يُعْربوا في شيءٍ من ذلك عن مقياس من المقاييس ولا أصلٍ من الأصول الذي أومأ إليه وهو بابٌ من العلم جليل وله خطَرٌ عظيمٌ.وقد صدّر كلّ فصل من"معجم المقاييس "بأصله الذي يتفرّع منه مسائله.(٥٩) وهو يعني بالمقاييس ما يسميه بعض اللغويين (الاشتقاق الكبير) الذي يرجع مفردات كلّ مادة إلى قدر معنوي مشترك بينها، وإن كان لا يعتمد اطّراد القياس في جميع مواد اللغة. (٦٠) وعن ذلك يقول ابن فارس:" أجمع أهل اللغة، إلاّ من شذّ منهم، على أنّ للعرب قياساً، وأنّ العرب تشتقّ بعض الكلام من بعضٍ.وأنّ اسم الجِنّ من الاجْتنان. وأنّ الجيم والنّون تدلاّن أبداً على السّتر.تقول العرب للدّرْع:جُنّة...وهذا جنينٌ، أي هو في بطن أمّه أو مقْبور."(٦١)

---

(57) ينظر: شرح جمل الزجاجي لجلال الدين ابن هشام الأنصاري، دراسة وتحقيق علي محسن مال الله عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ص٣٥٥ والاقتراح في علم أصول النحو، ص٩٦ والصاحبي في فقه اللغة، ص ٦٦-٦٧).

(58) فقه اللغة وخصائص العربية، ص١٥٥.

(59) معجم مقاييس اللغة، ١/ ١.

(60) ينظر: مقدمة تحقيق معجم مقاييس اللغة، ١/ ٣٩.

(61) الصاحبي في فقه اللغة، ص ٦٦-٦٧.

والحقّ أنّ فكرة الأصول في معجم مقاييس اللغة هي حصيلة العدول عن نظام التقاليب الذي كان قائماً عند رائــدي المدرستين المعجميّتين: الأولى والثانية، فعدّت بذلك أولى الخصائص التي انفرد بها معجم ابن فارس عن سائر المعاجم الأخرى وتبنّاها فكرةً دعا إليها وعَمَد إلى بلورتها في معالجة مواد كتابه بعد أن كان للخليل وابن دريد فضل الإشارة والتمهيد لها في بعض مواد كتابيهما العينْ، والجمهرة " بحكمهما مصدرين عاد إليهما ابن فارس في جمع أغلب مواده اللغوية.(٦٢)

على أنّ المتصفّح لمعجم مقاييس اللغة يجد مواده إمّا على أصل واحد وإمّا على أصلين أو ثلاثة أصول، وقد يتعدّاها في ذلك إلى أربعة أو خمسة أصول (٦٣) لينبّه فيها على ما ليس بأصل، كأن يكون الحرف محوّلاً من حرف آخر.ومثال ذلك قوله في (أذّ): "وأمّا الهمزة والذال فليس بأصل، وذلك أنّ الهمزة فيه محوّلة من هاء ".(٦٤).كما يلاحظ أنّه قدّم هذه الأصول، ثمّ بنى عليها فروعاً، ومن ذلك قوله: " الهمزة والخاء والراء أصل واحدٌ إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التقدُّمْ".(٦٥) وحمْلُ الفروع على الأصول يكون لعلاقة تربط بينها لفظاً ومعنىً، وإن غابت العلاقة عدّها شاذّة نحو قوله في مادة(هدج) الدّالة على ضربٍ من المشيِ والحركة:"وممّا شذّ عن هذا الأصل التهدُّج: تقطُّعُ الصَّوْتِ".(٦٦)

---

(62) ينظرعلى سبيل المثال:معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٣٧، مادة (حذِر) ويوازن بما جاء منها في العين، ٣/ ١٩٩-٢٠٠، مادة (حذِر)و(ينظر على سبيل المثال:معجم مقاييس اللغة، ٦/ ٢٦، مادة(هيف) ويوازن بما جاء منها جمهرة اللغة، ٣/ ١٦٢، مادة (هيف).

(63) ينظرعلى سبيل المثال: معجم مقاييس اللغة، ١/ ١٢، ١٠، ١٨، ١٤١، ١٨٧، المواد (أزّ، أخّ، ألّ، أنى، بل).

(64) امعجم مقاييس اللغة، ١/ ١٢.

(65) معجم مقاييس اللغة، ١/ ٧٠، مادة(أخر).

(66) نفسه، ٦/ ٤٤، مادة، (هدج).

وإذا كان ابن فارس قد عمد إلى التدليل على مبدأ الأصالة في بعض الكلمات والفرعية في بعضها الآخر أو حملها على تلك الأصول، معلناً عن ميلاد نظرية أراد لها أن تكون ذات معالم واضحة خاضعة للدراسات والمناقشات الجادّة حولها، فإنّ مثل هذه الاستثناءات، كما أشرنا قبلُ، لا تعدو أن تكون ضرباً من الاستقراء غير التّام لموادّ كتابي'العين'و' الجمهرة' كما سقطت إلى ابن فارس في 'مقاييس اللغة' ممثّلاً لمعاجم الألفاظ وتغييباً كذلك لحقّ معاجم المعاني في التدليل على الأصول والفروع على نحو ما نجده في كتاب المخصص الذي يعدّ أكثر أمثلتها أهمية على نحو ما سنتثبته من استنطاقنا لمواده.

فمن عبارات التركيز على عبارات العلاقة بين الأصول والفروع ما ورد في باب (الإفزاع والخوف)من المخصص: 'صاحب العين:الحَذَرُ:الخِيفَة، وقد حَذِرْتُهُ حَذَراً، ورجلٌ حذِرٌ وحَذُرٌ وحَاذُورٌوحاذُورَة:شديدُ الحَذَر، وحاذِرٌ: مُتَأهِّبٌ مُعِدٌّ، وفي التنزيل:﴿و إنّا لجميعٌ حَاذِرُون﴾[٦٧] أي مُعِدّون، ومن قرأ﴿حَذِرون﴾أراد فَزِعُون.'[٦٨]

---

(67) الآية ٥٦ من سورة الشعراء. وتجدر الإشارة إلى أنّ و﴿حذِرُون﴾ بالقَصْر و﴿حَاذِرون﴾ بالمَدّ لغتان، علماً أنّ كتابتهما في رسم المصحف بطرح الألف، وهي بالألف قراءة الكوفيين وابن مسعود وأبي عمرو بن العلاء وابن ذكوان وهشام من طريق الداجوني، وبطرحها عند الباقين.يقال: حَذِر يحْذَر فهو حذِر، وحاذِر، إلاّ أنّ ' حاذِراً فيه معنى الاستقبال.وقد قيل: إنّ معنى ' حَذِرون' خائفون.ومعنى'حاذِرون' مستعدّون بالسّلاح وغيره من آلة الحرب. ينظر:كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٤-١٤٠٧ـ١٩٨٧م، ٢/ ١٥١وإملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ٢/١٦٧م وإيضاح الرموز ومفتاح الكنوز الجامع للقراءات الأربعة عشر لمحمد بن خليل بن أبي شمس الدين بن عبد الله الشهير بالقباقبي، دراسة وتحقيق فرحات عياش، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ١٩٩٥م، ص ٣٣٥ومعاني القرآن للفراء، ٢/ ٢٨٠.

(68) المخصص، ١٢/ ١٢٥.

وجاء في باب (الأرض الغليظة من غير ارتفاعٍ والصُّلبة)من أنَّ "أبو عبيد: الحِذْرِيَةُ: الأرض الخَشِنَةُ.ابن دريد: وهي الحِذْرِياءُ".[69]وهو ما أورده ابن فارس ضمن مادة (حذر)، فقال:" الحاء والذّال والراء أصل واحدٌ، وهو من التّحَرُّز والتّيَقّظ. يقال:حَذِرَ يحْذَرُ حَذَراً، ورجُلٌ حَذِرٌ وَمحْذُورٌ وحِذْرِيَانٌ:مُتَيَقِّظٌ متحرّزٌ.وقُرِئَتْ: ﴿وإنّا لجميعٌ حَاذِرُونَ﴾ قالوا: مُتَأهِّبون.و﴿حَذِرُونَ﴾:خائفون.والمحذورة الفَزَعُ.فأمّا الحِذْرِيَةُ:فالمكان الغليظ.ويمكن أن يكون قد سمّي بذلك لأنّه يُحْذَرُ المشْيُ عليه".[70]

فالملاحظ على هذه المادة أنّ ابن سيده كابن فارس يعدّ صيغة (حذِر) أصلاً حُمِل عليه فرعٌ واحدٌ من جهة اللفظ وذلك حين قال:الحِذْرِيَةُ ومثلها(الحِذْرِياء)، بزيادة لم تكن من المادة المكوِّنة للأصل.أمّا من جهة المعنى، فكون المشي ومجرّد الوقوف على الأرض الخشنةكما دلّت عليها عبارة أبي عبيد يستوجب بشكل تلقائي الحيطة والحَذَر من وقوع ما لا تحبّذه النّفس، وهو أمر مفزعٌ إذا ما قيس بالأرض التي لا نتوء بها.وذلك ضربٌ من المغامرة التي تتطلّب كثيراً من الاستعداد والإعداد، وهو ما أوضحه الخليل تفسيراً لقوله تعالى:﴿وَإنّا لجميعٌ حَذِرُونَ﴾، أي مستعِدّون.[71] وهو ماذهب إليه الفراء في تفسيره لها من وجهين بقوله:"و﴿إنّا لجميعٌ حاذِرون﴾ يقولون:مُؤْدونَ في السّلاح.يقول: ذَوُوا أداة من السّلاح و﴿حَذِرُونَ﴾ وكأنّ الحاذر:الذي يحْذَرُك الآن.وكأنّ الحَذِرَ: المخلوق حَذِراً لاتلقاه إلاّ حذِراً".[72] و"الحَذْرِيَةُ لفظ مؤنّثٌ على وزن" الفِعْلِيَةْ فرعٌ محمولٌ على الأصل" حَذِرٌ، وهو من مسموع كلام العرب أتى به ابن فارس وابن سيده قياساً على ما وجداه موفوراً عند كلّ من الخليل وأبي عبيد من أنّ بعض قبائل العرب، كقبيلة بني أسد بن

---

(69) نفسه، ١٠/ ٨٥.

(70) معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٣٧.

(71) العين، ٣/ ١٩٩، مادة(حذِر).

(72) معاني القرآن للفراء، ٢/ ٢٨٠ وينظر: إملاء ما منّ به الرحمن، ٢/ ١٦٧ وتنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس لعلي محمد الضبّاع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ص ٣٠٩ وتفسيرمفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث لسميح عاطف الزّين، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ص ٢٢٤).

خزيمة، كانوا يطلقون اسم"حُذار"على قاضيهم أبي ربيعة(٧٣) ولم يكن ذلك منهم جزافاً ؛ لأنَّ القاضي يُحتَكَم إليه ولابدّ أن يتّصف في أحكامه باليقظة والاحتراز من أن يخرج عن حدود العدل في حقّ من يقضي له أو يقاضيه.

وجاء في باب(الغضَب)من المخصص:"أبو عبيد: غَضِبْتُ له إذا كان حيّاً، فإن كان ميّتاً قيل: غضِبْتُ به... وقال: رجُلٌ غُضُبَّةٌ: يغْضَبُ سريعاً.ابن دريد: وغضَبَّةٌ وقال: فصَلَ قوْمٌ من أهل اللغة بينَ الغَيْظِ والغَضَبِ فقالوا: الغيظُ أشَدُّ من الغَضَب، وقال قوْمٌ:سَوْرَةُ الغَضَب أوّلُهُ.صاحب العين: رجُلٌ غَضِبٌ وغُضُبٌ وغَضُوبٌ. سيبويه: هو غَضْبانُ والجمع غِضابٌ، وقد أغضَبَه ذلك. وقال ابن جني: الغَضَبُ مشتقٌ من غَضَبَة الرّأس وهي جِلْدَتُه، أي صار حَمْيُ قلبه إلى جِلْدَة رأسه كما قيل: أَنِفَ أي حَمِيَ أَنْفُهُ غَضَباً.صاحب العين: رجُلٌ غَضُوبٌ وامرأةٌ غَضُوبٌ: عَبُوسٌ منه."(٧٤)

وجاء في بابي (الجبال وما فيها)و(نعوتها، أي الصّخر، من قِبَل رخاوتها وتنخُّرها وعِرَضِها):"صاحب العين:الغَضْبَةُ:الصّخْرةُ الصّلْبَةُ المُرَكّبَةُ في الجَبَل المخالفة له.قطرب:الغَضْبُ والغَضَبَةُ: الصّخرة الرّقيقةُ. ابن دريد:هي صخرة مستديرة...وقد تقدّم أنّ الغَضَبَة طائفة من الجبَلِ."(٧٥)كما أورد ابن سيده في (باب الحيّات ونعوتها وأسمائها)فأورد قول صاحب العين من أنّ "الغَضوبُ: الحيّة الخبيثة."(٧٦)

وممّا جاء منه أصلٌ واحدٌ وحمل عليه فرعٌ كذلك قولابن فارس:"الغين والضاد والباء أصل صحيح يدلّ على شدّة وقوّة.يقال: إنّ الغَضْبَة: الصّخرةُ الصّلْبَةُ. قالوا: ومنه اشتُقَّ الغَضَبُ ؛ لأنّه اشتداد السُخْطِ. يقال: غَضِبَ يَغْضَبُ غَضَباً، وهو غَضْبانُ وغَضُوب.

---

(73) العين، ٣/ ٢٠٠، مادة(حذر).

(74) المخصص، ١٣/ ١٢٠.

75)المخصص، ١٠/ ٧٤، ٩٦

(76) المصدرنفسه، ٨ / ١١١.

ويقال: غَضِبْتُ لفلان، إذا كان حيّاً ؛ وغَضِبْتُ به، إذا كان ميّتاً...ويقال: إنّ الغَضُوب: الحيّة العظيمة.[٧٧]

ويبدو من استنطاقنا لمادة (غضبَ) أنّ معناها في أصل الوضع يتّصل بالصّخرة الصّلبة لما فيها من شدّة وقوّة وبَأْسٍ وهو معنى حسّي، ثمّ حُملَ عليه الغضَب أصلاً مجرّداً، لأنّه يبدأ سَوْرَةً ويشتَدُّ غَيْظاً وسُخْطاً.كما حُمِل عليه فرعٌ يُطلق على الأفعى في خبثها أو عِظَمِها.على أنّ تتبّعنا لهذا الفرع المَقِيس من حيث المبنى والمعنى أوقفنا على أنّه مكوّن من الجذور الثلاثة المكوّنة لأصل المادة مضافٌ إليها حرفٌ مُنوّعٍ للمعنى هو الواو.أمّا من حيث المعنى، فالعلاقة وطيدة بينه وبين الشدّة والقوّة اللّتين تدلاّن عليها المادة الأصلية ؛ وذلك لاتّصاف الحيّة أو الأفعى بالخبث(دون العِظَم) الذي تستتبعه شدّة اللّدْغِ الواقع على المُصَابِ وخطورة ذلك عليه، وقد وجد فيه ابن سيده سبباً ضعيفاً في إحداث الأذى، وهو ما استبعده ابن فارس نفسه حين صدّره بقوله: ' ويقال: إنّ الغَضُوب: الحيّة العظيمة'.

٢)- إطلاق الدلالة:

أ-الإطلاق لغة:

ارتبط مفهوم الإطلاق بالدلالة على الفتح والتّخلية والإرسال.[٧٨] يقال: أطْلَقَ الأسير، وهو طَلِيقٌ:خلاّه وحرّره من قيده، وهومن الطُّلَقَاء.وأطلَقتُ النّاقة من عقالها، وهي طالِقٌ وطُلُقٌ، وإبِلٌ أَطْلاقٌ.وناقةٌ طالِقٌ: ترعى حيث شاءت لاتمْنع والطّلْقُ: الشيء الحلالُ، كأنّه قد خلّيَ عنه فلَمْ يُحْظَر. ويقال للظّبي إذا مرّ لا يلوي على شيء: قد تطلّقَ. وطلّق السّليم وهو مطلّقٌ: إذا سكن وجعُهُ من سُمٍّ.واستَطْلَقَ الرّاعي ناقةً لنفسه: إذا خلاّها. ومن المجاز: طَلُقَتِ المراةُ وطُلّقَتْ فهي طالقٌ وهُنّ طَوالِق. ورجلٌ مِطْلاقٌ ومِطْلِيقٌ وطلاّقٌ.ويُقال: طَلَقَ يَدَهُ بالخيْر وأطْلَقَها، فهو طَلِقُ اليدَيْن.وقد طَلُقَ وجهُه

(77) معجم مقاييس اللغة، ٤/٤٢٨، مادة (غضبَ).

(78) معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٤٢٠، مادة (طلق) والكليات، ١/ ٢١٧، مادة(الإطلاق).

طَلاقَةً، فهو طَلْقَهُ وطِلْقَهُ وطَليقَهُ. ورجلٌ مُنْطَلِقُ اللّسان وطَلْقَهُ وطِلْقَهُ وطَليقُهُ وطَلْقُ اليدَيْن: سمْحُهُما. (٧٩)

ب- الإطلاق اصطلاحاً:

أمّا المعنى الاصطلاحي للإطلاق، فليس ببعيد عن المعنى اللغوي؛ وهو أن يذكر الشيء باسمه لاتقرَنُ به صفةٌ، ولا شَرْطٌ، ولا زمانٌ، ولا مكان، ولا عددٌ ولا شيء يشبه ذلك.(٨٠) أي ذلك اللفظ المجرّد ممّا يعيّنُ المعنى والذي يصِحُ وقوعه على مدلوله دون اجتماع تلك الشروط والصّفات، وهو نوع من دلالة الألفاظ. (٨١)

ولهذا النّحو من الدلالة مصطلحات أخرى ذكرها ابن فارس في (باب الخطاب المطلق والمقيّد)(٨٢)و أبو منصور الثعالبي في(باب في الأشياء تختلف أسماؤها وأوصافها باختلاف أحوالها) (٨٣) والسيوطي ضمن (المطلق والمقيّد).(٨٤)

ومن أمثلة المطلق قول امرئ القيس:(٨٥)

ترائِبُها مَصْقُولةٌ كالسّجَنْجَل

فشبّه صدرها بالمرآة، ولم يزد على هذا.(٨٦)

---

(79) أساس البلاغة، ص، ٣٩٤ مادة(طلق) ومعجم مقاييس اللغة، ٣/ ٤٢٠-٤٢١، مادة (طلق) والقاموس المحيط، ٣/ ٢٦٧، مادة(طَلُقَ).

(80) الصاحبي في فقه اللغة، ص ٢٠٠ وينظر:الكليات، ١/ ٢١٧، مادة(الإطلاق).

(81) رسالتان في اللغة لأبي علي الحسن بن عيسى الرُّمّاني، منازل الحروف- الحدود، تحقيق وتعليق وتقديم إبراهيم السّامرّائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ١٩٨٤م، ص ٧٠ وينظر: المدخل إلى فقه اللغة العربية، ص٢١٧.

(82) الصاحبي في فقه اللغة، ص ٢٠٠.

(83) فقه اللغة وسر العربية، ص ٤٠

(84) المزهر، ١/ ٤٤٩.

(85) ديوانه، دارصادر، بيروت، دت، ص ٤٢، وهو عجز بيت من معلّقة ' قفا نبْكِ'، وصدره:

مُهَفْهَفَةٌ بيْضاءُ غير مُفاضَةٍ

(86) الصاحبي في فقه اللغة، ص ٢٠٠-٢٠١.

ومن أمثلة الإطلاق ما ساقه صاحب المخصص لأبي حاتم السجستاني في(باب الحيّات ونعُوتها وأسمائها)قوله أنّ: الأقْزَلَ:ضَربٌ من الحيّات[87]، وتابعه في ذلك ابن سيده.غير أنّ معاجم اللغة تكاد تتّفق على أنّ القزَل أسْوَأُ العَرَج وأشدّه مع دقّة السّاقيْن لذهاب لحمهما. يقال: قَزِلَ يقْزَلُ قَزَلاً ووقَزَلَ يقْزِلُ قَزْلاً، وهو أقْزَلُ، ولا يكون كذلك حتى يجمع بين الصّفتين السّابقتين وأن يمشي مِشية المقطوع الرِّجْل والعُرْجَان والمتَبخْتِرِ.والأقزَلُ: حيّةٌ أو ضربٌ من الحيّات، ويقال ذلك للذِئْب واستعاره بعضُهم للطّائر. [88]وعلى ذلك فكلّ دابّة أوهامّة أو طائر ساءَ عَرَجُه ودقّت ساقه أو ساقاه ومشى مِشْيَة المقطوع الرّجل أو تَبختَر في مَشْيه فهو أقْزَلُ، وهو ما سكت عنه ابن سيده، وإن قصره على ضرب من الحيّات لم يتبيّن كنهه وفضّل إيراده مطلق الدّلالة، فلعلّ مردّ ذلك إلى أنّه لم يرَ العرَجَ أو ما ساء منه ممّا يمكن أن تحيط به كلمة 'الأقْزَلُ' فقال في(صفات القدَم وأعْراضِها): وقد عَرِجَ أسْوأَ العَرَجِ: إذا لم يَكُنْ خِلْقَةً وأصابهُ في رِجْلِه شيءٌ فمشى مِشْيَةَ الأعْرَجِ، وعَرجَ:صارأعْرَج وتعارَجَ:حَكَى مِشْيَةَ الأعْرَجِ وفيه عُرْجَةٌ[89].

والغريب في الأمر أنّ هذا المعنى قد تداخل مع كلام ساقه ابن سيده دليلاً على تساوق فكره عرّف به ما كان حقّه أن يتقدّم وهو لفظ 'العُرْجَةُ' بقوله نقلاً عن كتاب العين:'صاحب العين: العُرْجَةُ: مَوْضِعُ العَرَجِ من الرِّجْلِ.وجمعُ الأعْرَجِ عُرْجانٌ'.[90] فابن سيده يرى أنّ العَرَجَ حالةٌ عَرضيَةٌ غيرُ خِلقِيَة، لا يمكنها أن تجتمع مع صفة خِلْقية وهي دقّةُ السّاقَين، وقد وجد ما يدلّل عليها بدقّة عند أبي عبيد القائل في(صفات السّاق):

---

(87) المخصص، ٨/ ١١١.

(88) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٥/ ٨٥، مادة(قزل) والقاموس المحيط، ٤/ ٣٨، مادة (القَزَلُ) ولسان العرب، ١١/ ٥٥٦-٥٥٧، مادة(قزل) ويوازن مع ما جاء في المخصص، ٣/ ١١١-١١٢، (باب التبختُر) و(باب مِشْيَةُ المقيّد والمقطوع الرِّجْل ونحوهما).

(89) المخصص، ٢/ ٥٩.

(90) المصدر نفسه، ٢/ ٥٩ والعين، ١/ ٢٢٣، مادة(عرج).

الكَرَعُ: دِقّةُ السّاقيْن، رجُلٌ أكْرَعُ وامرأةٌ كَرْعاءُ، وهو دقيقُ مقدّم السّاقين، وقد كَرِعَ كَرَعاً. [91]

ومن أمثلة الإطلاق قول ابن سيده في تعريف " المِصْحاة" نقلاً عن أبي عبيد وأبي حنيفة الدينوري في(باب الآنية للخمر وغيرها)، من المخصص:" أبو عبيد: المِصْحاةُ: إناءٌ لا أدري من أيّ شيءٍ هو؟ أبو حنيفة:هي المِصْحَاة والجَامُ والطّاس"[92]ولم يزد على ما قالا به. وقد جاء في المقاييس والقاموس المحيط:المِصْحاةُ:كالجَام أو الطّاس يُشْربُ فيه.[93] وجاء في الأساس: "ووَجْهُه كمِصْحاة اللُّجَيْن وهي نحو الجَام يُشْرَبُ به" [94] والُلُّجَيْن:الفضّةُ.[95] فَالجَام:"إناءٌ من فضّةٍ جمع أُجْؤُم بالهمز وأَجْوامٌ وجاماتٌ وجُومٌ."[96]

وإذا كانت الطّاء والواو والسين ليست بأصل، إلاّ أنّه يقال فيه الذي يقال له الطّاوُوس: وهوطائرٌ (معرّب) تصغيرُه طُوَيْسٌ جمع أطْواسٌ وطَوَاويسُ، وهي تطلق كذلك على الجميل من الرجال.وتطوّست المرأةُ: تزيّنت.[97] والطّاسُ: إناءُ يُشْرَبُ فيه وتطلق على الفضّةكذلك.[98] وزاد الزمخشري قيداً مفاده أنّ العرب تقول من باب المجاز:"وعنده الطّاووس أي الفضّة بلسان اليمن..وهوطاوُوس اليماني".[99]وذكرالجواليقي انّ"طاؤُوس:"أعجميّ وقد تكلّمت به العرب قديماً وسمّت به."[100] فليس مستبعَداً،

---

(91) المصدرنفسه، ٢/ ٥٤.

(92) المخصص، ١١/ ٨٢.

(93) القاموس المحيط، ٤/ ٣٥٣، مادة(الصّحْو) معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٣٣٥، مادة (صحو).

(94) أساس البلاغة، ص ٣٤٩، مادة(صحو).

(95) معجم مقاييس اللغة، ٥/ ٢٣٥، مادة(لجن).

(96) القاموس المحيط، ٤/ ٩٣، مادة(الجَمُّ).

(97) معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٤٣١، مادة(طوس) وأساس البلاغة، ص ٣٩٧-٣٩٨، مادة (طوس) والقاموس المحيط، ٢/ ٢٣٥، مادة (الطّوْس).

(98) القاموس المحيط، ٢/ ٢٣٥، مادة(الطّوْسُ).

(99) أساس البلاغة، ص ٣٩٨، مادة(طوس).

(100) المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ص ٢٧٣.

والحال هذه، أن يكون بعض العرب قد اتّخذوا الطّاوُوس زينة لأوانيهم الفِضّيّة (المِصْحاة والجَام والطّاسُ) على غرار ما كان عند الأعاجم وخاصّة إذاكان الأمر يتعلّق بالمنادمة وما تتطلّبه من أسباب المباهاة التي تمثّل أحد طقوسها.

٣)-تقييد الدلالة:

أ-التقييد لغة:

هوخلاف الإطلاق.يقال:قيّدتهُ أُقَيِّدُهُ تقييداً بمعنى جعلتُ القيد في رِجْلَيْه.والقَيْدُ: وثاقٌ تشدُّ به رِجْل الدّابة وغيرها فيمسكها، والجمع أَقْيادٌ وقُيود.ويقال للفرس: قيْد الأوابد ؛ لأنّه سريع العَدْو يُدرك الوحوش ويمنعها الشّرَاد، فكأنّه قيْدٌ لها، وقيْد الأسنان لِثّتها.وقيّد الكتاب وكتابٌ مُقَيَّدٌ: مشكولٌ.والمقيَّدُ موضِعُ القيْد من الفرس وموضع الخَلْخال من المرأة، ومن الشّعر خلاف المُطلَق، وهو ما كان حرف رويِّه ساكناً ليس حرفَ مَدٍّ.ومن الشّعر أيضاً:الجاري على أوزان البحور القديمة أو المستحدثة الخاضعة لقواعد العروض والقافية، ويقابله الشّعر المُرْسَل، وهو الذي لا يخضع لنظْم ولا قواعد ضابطة.(١٠١)

ب-التقييد اصطلاحاً:

هو أن يُذكر الشيء موصولاً بقرينٍ من بعض ما ذكرناه من شروطٍ وصفاتٍ، فيكون ذلك القرين زائداً في المعنى.(١٠٢)فقد لاحظ اللغويون أنّ هناك نوعاً من الألفاظ لايصحّ وقوعه على مدلوله مالم تجتمع له شروط أو صفات ؛ فهذا المقيّد، وهو نوع من دلالة الألفاظ(١٠٣)ومن ذلك قول القائل: زيدٌ لَيْثٌ مشبّهاً إيّاهُ بليث في شجاعته. فلو

---

(101) ينظر: القاموس المحيط، ١/ ٣٤٣-٣٤٤، مادة(القَيْدُ)وأساس البلاغة، ص ٥٣٠، مادة(قيد) ومعجم مقاييس اللغة، ٥/ ٤٤، مادة(قيد) والمعجم الوسيط، ٢/ ٧٦٩، مادة(قيد).

(102) الصاحبي في فقه اللغة، ص ٢٠٠و رسالتان في اللغة، منازل الحروف –الحدود، ص ٧٠.

(103) المدخل إلى فقه اللغة العربية، ص ٢١٧.

قال: هو كاللّيثِ الحَرِبِ فقد زاد الحَرِبُ وهو الغَضْبان الذي حُرِبَ فريستَهُ، أي سُلِبَها. فإذا كان كذا كان أدهى له.(١٠٤)

ولهذا النّحو من الدلالة مصطلحٌ آخر ذكره ابن فارس في(باب الأسماء كيف تقع على المسميات) و(باب الخطاب المطلق والمقيّد)و أبو منصور الثعالبي في باب في الأشياء تختلف أسماؤها وأوصافها باختلاف أحوالها والسيوطي ضمن المطلق والمقيّد. (١٠٥) ومن ذلك الظعينة لاتكون ظعينة حتى تكون امرأة في هودج على راحلة.والقلم لايكون قلماً إلاّ وقد بُرِيَ وأُصْلِح، وإلاّ فهو أنْبوبَةٌ.و الكُوزُ لايقال له: كوز إلاّ إذا كانت له عُرْوَةٌ، وإلاّ فهو كوبٌ.ولا يقالُ للمائدة مائدة حتى يكون عليها طعامٌ، وإلاّ فهي خِوانٌ.ولا يقالُ وقودٌ إلاّ إذا اتَّقَدَت فيه النّار، وإلاّ فهو حَطَبٌ.ولا يقالُ مُغَلغَلَةٌ إلاّ إذا كانت محمولةً من بلدٍ إلى بلدٍ، وإلاّ فهي رِسالةٌ. (١٠٦)

ونمثّل للضّرب الأوّل بما نقله ابن سيده في(باب الحيّات ونعُوتها وأسمائها) مقيّداً عن أبي حاتم السجستاني حين عرّف الغُولَ بقوله:الغُولُ:الحيَّةُ، والجمع أغْوال. وأنشد:(١٠٧) *كأنْيابِ أغْوالِ* وقال:يريد أن يُكَبِّرَ بذلك ويُعَظِّمَ، ومنه قوله تعالى:﴿كأنّه

---

(104) الصاحبي في فقه اللغة، ص ٢٠٠.

(105) ينظر:الصاحبي في فقه اللغة، ٩٧ وفقه اللغة وسر العربية، ص ٤٠.

(106) فقه اللغة وسر العربية، ص ٤٠-٤١ والصاحبي في فقه اللغة، ص ١٠٠والمزهر، ١/ ٤٤٩ وينظر:المخصص، ١٠/ ٣٤، ٦٢، ٦٦، ١٥٦ و١١/ ٧٩، ٨٦.

(107) والقول لامرئ القيس، ديوانه دار صادر، بيروت، دت، ص١٤٢.والبيت بتمامه:

أيَقْتُلُني والمَشْرَفِيُّ (*) مُضاجِعي ومَسْنونةٌ زُرْقٌ كأنْيابِ أغْوالِ؟ !

و(*) المشرفيُّ: أحد نعوت السيف، وهو منسوب إلى المشارف، وهي قرى من أرض العرب تدْنوُ من الرّيف. ينظر: كتاب السلاح (من الغريب المصنف)، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٧.

رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[١٠٨]، وقريشُ لم تَرَ رأسَ شَيْطانٍ قَطُّ، وإنّما أراد تَعْظيمَ ذلك في صُدُورهِمْ.[١٠٩]

فجعلَ الغُولَ مرادفاً للحيّة بل وقصره عليها، مع أنّه لم يفته أن يلحظ أنّها من غَوَلَ وجمعها أَغْوَالٌ وغِيلاَنٌ،وتدلّ على كل ماختَل وأخذ الإنسان من حيث لا يدري فاغتاله فأهلكه.[١١٠] كما أنّها تطلق في عرف العرب على الصّداع، والسّكْرِ، وبُعْدِ المفازة[*] والمشقّة والمَنِيّة[١١١] وعلى الهَلَكَة، والدَّاهِية، والسّعْلاَة،[*] والحيّة، وساحرة الجنّ والمنيّة، ومن يتلوّن ألواناً من السّحرة والجنّ أو كلّ مازَال به العقلُ[١١٢] وتزعم العرب أنّه نوع من الشياطين يأكل الناس أو دابّة رأتها العرب وعرفتها وقتلها تأبط شرًّا (ت٨٠ ق.هـ)[١١٣].

---

(108) من الآية ٦٥ من سورة الصافات.

(109) المخصص، ٨/ ١١١.

(110) ينظر:المخصص، ٦/١٢٨-١٢٩، (باب الهلاك وأفعال) و٦/ ١٢٣، (باب أسماء الموت) ومعجم مقاييس اللغة، ٤/ ٤٠٢ مادة (غول) والقاموس المحيط، ٤/ ٢٧، مادة(غَالَهُ) وتهذيب إصلاح المنطق، ص ٣١٥.

(*)بعد المفازة: ويسمى غَوْلاً، لأنه يغتال من مرّ به. ينظر: معجم مقاييس اللغة٤/ ٤٠٢، قال رؤبة:

يَمْشي به الأُدْمَانُ كالمُؤَمّه   به تمطّتْ غَوْلَ كُلِّ مِيلَهِ

ديوان رؤبة بن العجاج وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه، اعتنى بترتيبه وتصحيحه وليم بن الورد البْروسيّ، ط٢، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م ص١٦٧.والأُدْمَانُ: وهي الإبل أُشْرِبَ لونُها سوَاداً أو بياضاً واضحاً. (ينظر: القاموس المحيط، ٤/ ٧٤). والمِلَهُ: الذي يولّهُ سالِكهُ أي يحيّرُهُ. الأمالي في لغة العرب، ١/ ١٢.

(111) القاموس المحيط، ٤/ ٢٧مادة(غَالَهُ)وينظر:المخصص، ٦/ ١٢٢، (باب أسماء الموت).

(*)السّعلاة: أنثى الغول، وهي من أخبث الغيلان، ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٧٤، مادة (سعل).

(112) القاموس المحيط، ٤/ ٢٧ مادة (غاله).

(113) المصدر نفسه، ٤/ ٢٧ مادة (غالة) وينظر: المعجم الوسيط لإبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحد، دار الفكر، بيروت، ٢/ ٦٦٧، مادة (غَالَهُ).

لقد شبّه امرؤ القيس النّبالَ في جدّتها ومضائها بأسنان الأغوال، وهو تشبيه وهمي أدرك ابن سيده كنهه (114)، ونحن نعلم أن القياس يستلزم وجود لغة حديثة مقيسة على لغة قديمة من باب موازنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ أو استعمال باستعمال أو معنى بمعنى (115) ؛ وهذا القياس لا يتمّ إلاّ بطريقة منطقية لأنّه يساعدنا على صياغة ألفاظ جديدة واشتقاقات قد تكون شائعة في اللغة القديمة، وقد تكون نادرة فيهاأو قد تكون غير موجودة إطلاقاً؛ فما بالك والمعاني بعدُ ليست قائمة إلاّ على سبيل التوهّم ؟ وبهذا، فإن القياس يعتمد في الدرجة الأولى على ذات اللغة ويستعين بقواعد النحويين والصرفيين.وقد كان استعمال امرئ القيس لهذا المخلوق الوهمي والمتعدّد الاحتمال المعنوي في أصل الوضع ومن حيث القياس جائزاً، (116) وللضرورة الشعرية جعل له أنياباً من باب الاستعارة قياساً على نظير يشترك معه في معنى عام، وهو الاغتيال والخَتْل والهَلَكة، وهو يريد بذلك أن يكبّر ويعظّم فحمل قياسه المعنوي على ما أكّده القرآن الكريم بعد ذلك من صحة معتقدات العرب وإيمانهم بها على سبيل التجريد لما وقع

---

(114) ينظر: دلائل الإعجاز، ص٨٦.

(115) ينظر:الخصائص، ٣٥٨/١، والاقتراح في علم أصول النحو لجلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، تحقيق أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة ط١، ١٩٧٦، ص٩٦ وشرح جمل الزجاجي لابن هشام الأنصاري تحقيق علي محسن مال الله، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ص٣٥٥.

(116) لا نستبعد أن يكون امرؤ القيس (الشاعر الجاهلي) قد التزم فيه بصحة قياس الفروع على فساد الأصول أي صحة جواز القياس على أصول فاسدة أو على فرضيات وهمية غير دقيقة، وهو ما عالجه ابن جني ضمن(باب في المستحيل، وصحة قياس الفروع على فساد الأصول) وأجازه، فذهب إلى إمكان ذلك. فمن أمثلة معالجته الموضوع القياس بمنظوره الخاص قوله:"كأن يقول لك قائل: لو كانت الناقة من لفظ (القِنْوِ) ما كان يكون مثالها من الفعل.فجوابه أن تقول: عَلفَة وذلك أن النون عينٌ والألف منقلبة عن واو، والواو لام القِنْو، والقاف فاؤه. ولو كان القِنْو مشتقاً من لفظ الناقة لكان مثاله لَفَع.فهذان أصلان فاسدان، والقياس عليهما أوِ بالفرعين إليهما". ينظر:الخصائص ٣/ ٣٢٧، ٣٣٩.

عليهم من أذاها عياناً معبّراً عنها بوجه من وجوه القياس مع الفارق، فقال تعالى في إشارة إلى شجرة الزّقوم التي تخرج في أصل الجحيم جزاءً للظالمين:﴿طلْعُها كأنّهُ رُؤوسُ الشّيَاطِينِ﴾ [117]ومع أنّ قريشاً لم ترَ رأسَ شيْطانٍ قطُّ إنّما أرادَ تعْظيمَ ذلك في صُدُورِهِم.فقدْ زعم أهل اللغة أنّ كلّ متمرِّد من جَنٍّ أو إنْسٍ يقال له شيطان وأنّ تَشَيْطَنَ إنّما معناه تخبّثٌ وتُنكِر وقد قال جلّ وعزّ: ﴿شَيَاطِين(*)الإنسِ والجِنِّ﴾. [118] [119] وكذلك الْغُولْ، فليس المراد به عموم الجنس، وإنّما أشير بالكلمة إلى ما يحوم حول النّاس فيختلهم فجأة ويلحق بهم الأذى كالحيّةالتي عرفها النّاس لصفة فيها مميّزة،لما تكرّر من ظهورها وأذاها في البراري وفي اللّيالي الدّامسة، إذلم يُخبِرصادِقٌ قطُّ أنّه رآها[119].

وفي الضّرب الثاني نجد ابن سيده يقيّد الأشياء بصفات حتى تصحّ تسميتها، فيقول: صاحب العين : العِهْنُ: الصُّوفُ المصبوغ.وقيل: كلُّ صوفٍ عِهْنٌ الواحدة: عهنةٌ وهي العُهونُ[120] أمّا ما ورد عن الخليل دون تصرّف فقوله:ألعِهْنُ:المصبوغُ ألْواناً من

(117) الآية ٦٥ من سورة الصافات.

(*) قال المبرّد: زعم أهل اللغة أنّ كلّ متمرِّد من جِنٍّ أو إنْسٍ يُقالُ له شيطانٌ، وأنّ قولهم: تشَيْطَنَ، إنّما معناه: تخبّثَ وتنكّرَ. ينظر: الكامل في اللغة والأدب، ٢/ ٩٤.

(118) من الآية ١١٣ من سورة الأنعام. وذكر المبرّدُ أنّه " قد اعترضَ مُعْتَرضٌ من الجَهَلَة المُلْحِدينَ في هذه الآية، فقال: إنّما يُمَثّلُ الغائبُ بالحاضر ورُؤُوس الشّيَاطين لم نَرَها، فكيف يقع التمثيلُ بها وهؤلاء في هذا القول؟....وهذه الآيةُ قد جاء تفسيرها ضربيْن، أحدهما: أنّ هناك شَجَراً يُقالُ له الأسْتِنُ مُنْكِرُ الصُّورة يُقالُ لثمَره: رؤوس الشّيَاطين، وهو الذي ذكرَ النّابغة في قوله:*تَحِيدُ من أسْتَنٍ سُودٍ أسَافِلُهُ* وزعم الأصمعي أنّ هذا الشّجَر يُسمّى الصَّوْمَ.والقول الآخر: وهو الذي يسبق إلى القلب أنّ الله جلّ ذكرُه شنّعَ صورة الشّيَاطين في قلوب العباد، وكان ذلك أبْلَغُ من المعاينة ثمّ مَثّلَ هذه الشّجَرة بما تُنْفِرُ منهُ كلُّ نَفْسٍ. ينظر: الكامل في اللغة والأدب، ٢/ ٩٢-٩٣ وديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٦م، ص ٢٢٠.وعجز البيت فيه: * مَشْيَ الإمَاء الغَوَادِي تَحْمِلُ الحُزَمَا*

(119) ينظر: الكامل في اللغة والأدب، ٢/ ٩٣-٩٤.

(120) المخصص، ٨/ ٦.

الصّوف.ويقالُ: كلُّ صوفٍ عِهْنٌ.قال عزّام: لايقال إلاّ للمصبوغ، والقطعةُ:عِهْنَةٌ والجمعُ عُهُونٌ.[121]

ويبدو أنّ ابن سيده تصرّف في عبارة الخليل بما يعطي الأولوية للقول بما أقرّه أكثر أهل اللغة[122]والمفسّرين[123]من أنّ العِهْن هو الصّوف المصبوغُ أوالملوّنُ، وبما يكفل عدم استبعاد قول الأصمعي: كُلُّ صوفٍ عِهْنٌ، [124]وهو ما رواه الخليل دون عزوٍ، مضعّفاً بذلك قول من قال: لايقال إلاّ للمصبوغ،و اعتماداً فيما يبدو على ماورد عن ابن مسعود، رضي الله عنه، أنّه كان يقرأ ُ:﴿كالصُّوفِ المنفُوش﴾في قوله تعالى:﴿كالعِهْنِ المنفُوشِ﴾ [125]، مع أشباه لهذا كثيرٌ يخالف فيها المصاحف القديمة والحديثة.[126]

وهناك مجموعة من الأمثلة التي يمكن أن تسلك في الدلالة المقيّدة وهي التي تتعلّق بألفاظ لاتقع على معانيها إلاّ باجتماع صفات أو شروط، فإن لم يجتمع لها مثل ذلك لايصحّ أن تقع على تلك المعاني.من ذلك ما ذكره ابن سيده من أنّ في كلام العرب أشياء تختلف أسماؤها باختلاف أوصافها، كقولهم فيما رواه ابن دريد: رَحَبَةٌ من ثُمامٍ [*]، وأَيْكَةٌ من أَثْلٍ [*]، وقَصيمُ غَضَى[*]، وحاجرُ رِمْث[*]،

---

121) العين، ١/ ١٠٨، مادة(عهن).

(122) ينظر: الكامل في اللغة والأدب، ٣/ ٤١. وقال ابن فارس في باب الشّعرمن الفَرْق: ' وللضّأن شعرٌ؛ وهو الصّوف فإن صُبِغ بعد الجزّ فهو: عِهْنٌ '.الفرق لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص ٥٣).

(123) تفسير غريب القرآن، ص ٥٣٧ وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص ٥١٨.

(124) الكامل، ٣/ ٤١.

(125) الآية٥ من سورة القارعة.

(126) تأويل مشكل القرآن، ص٢٤-٢٥.

(*) الثّمام: واحدته ثُمامةٌ وجمعه ثُمٌّ، وينبُت معاً خِيطاناً دِقاقاً صِغار العِيدان كالكَوْلاَن (نبتُ البَرْدِيّ: واحدته بَرْدِيَّةٌ، فما كان منه في الماء فهو أبيضُ وما فوق ذلك فهو أخضرُ. ونباتُه كنبات النَّخْلَة، إلاّ انّها لا تطُولُ ولها شَحْمَةٌ بيْضَاءُ، وساقٌ بيضَاء غليظة)، تأكله الإبلُ والغَنَم وطولُه قعدةُ الرّجُل أو

وصِرْمَةُ أَرْطَى(*)، وسليلُ سلَمٍ (*)، ووَهطُ عُرْفُطٍ (*)، وحَرْجَةُ طَلْحٍ(*)، وجُلْبَةُ عَرْفَجٍ(*)، ورَهطَ عُشَرٍ (*)،

أطولُ قليلاً، وله ورَقٌ كورق الحَبِّ ثمَرُه حَبٌّ كثيرٌ ويَمْتارُ منه النَّمْلُ لكثرته وهو أبقى شجَرٍ نَجْدٍ عند السَّنَة لكثرته كذلك. وقيل هو مثل بِرْكَة البعير ويسمّى أيضاً:الغَرْفُ أو الجليل بلغة أهل الحِجَاز.ينظر: المخصص، ١١/، ١٤٢، ١٦٧ والقاموس المحيط، ٤/٤٨، مادة (كول).

(*) الأَثْلُ: شجرٌ ليس له شوك طويل مستقيم الخشب وورقُه هَدَبٌ(ما لم يكُن له عَيْرٌ، أي طرٌ ناتيءٌ.فمن النّبات ماليس بورقٍ إلاّ أنّه يقوم مقام الورق أو كلُّ ورَقٍ ليس له عَرْضٌ، الواحدة: هَدَبَةٌ وهُدّابَةٌ جمع أهْدَابٍ وهُدْكُبٍ) طِوال دِقاقٌ، ومنه تصنعُ القِصاعُ والأقداح.وجعله الزّمخشري مرادفاً للسَّمَ(على ما سنذكر) وهو إلى النباتات الشوكية أقرب.ينظر:المخصص، ١١/ ١٨٧ وأساس البلاغة،ص١٢،مادة(أثل)وتهذيب إصلاح المنطق،ص١٠٩والقاموس المحيط،١/ ١٤٤،مادة(الهُدْب).

(*) الغَضَى: واحد وجمع وقيل واحدته: غَضَاةٌ، وهو شَجَرٌ دائمُ الخُضْرَة، وهو من شَجَر الحَمْض الكِبَار ورقُها مثل الهَدَب. ولا يكون غَضًى إلاّ في الرَّمْل. ينظر: المخصص، ١١/ ١٦٣ والأمالي في لغة العرب، ٣/ ١٣٩.

(*) الرِّمْثُ: من الحَمْض واحدته رِمْثَةٌ، ورقه طِوالٌ دِقاقٌ، تُحَمِّضُ به الإبلُ والغَنَم وتعيشُ، ورُبّما خرج فيه عسَلٌ أبيَضُ كأنّه الجُمانَ واللُّؤلُؤ، وله وَقْدٌ حارٌّ يُنتَفَعُ بدُخَانه من الزُّكام. وقد يَثْبُت في الرَّمْل وهو قَدْرُ قِعْدَة الرَّجُل ينْبُتُ نبات الشّيح إلاّ أنّ الشّيحَ أغْبَرُ.وقيل:هو خيْرُ الحِمْض حَشْوِ القِدْر والنَّفع للمال.ينظر:المخصص، ١١/ ١٥٢ وينظر:أساس البلاغة، ص٢٥٠، مادة(رمث).

(*) الأَرْطَى: واحدته أرطَاةٌ، وجمعُه أَرَاطٍ وأَراطَى، وهو شجَرٌ يَنْبُتُ عِصِيّاً من أصلٍ واحِدٍ يطُول قَدْر القامَة ووَرقُه هَدَبٌ وله نَوْرٌ مثْلَ نَوْر الخِلاف(الصَّفْصاف)، غير أنّه أصغر منه ورائحتُه طيّبة وعُروقه شديدةُ الحُمْرَة.ولا شَوْكَ للأرْطى وله ثَمَرَةٌ كالعُنّاب تأكلها الإبلُ غَضّة..ينظر: المخصص، ١١/١٦٣-١٦٤، ١٨٩.

(*) السَّلَمُ: واحدته سَلَمةٌ من أعرَف الأشجارالشوكية العظيمة يستعمل في دبغ الجلود، وله ثَمَرأو وعاء حَبٌّ يُدعى الحُبْلَةُ. ينظر: المخصص، ١١/١٨١، ١٨٤ والقاموس المحيط، ٤ /١٣١ ومعجم مقاييس اللغة، ٣/ ٩١، مادة(سلم).

(*) العُرْفُطُ: الواحدة عُرْفُطَةٌ، وهو فَرْشٌ على الأرضِ لا يذهَبُ في السَّماء وله ورَقَةٌ عَرِيضةٌ وشَوْكَةٌ حديدةٌ حَجْنَاءُ (معطوفة معوجّة) يُصنَع من لِحائِه الأَرْشِيَةُ(وهي الحِبَالُ، جمع رِشَاء)، وله ثمرةٌ بيْضاءُ وهو خَرعُ العِيدانِ وليس له خَشَبٌ يُنْتَفَعُ به، وله نَفْحَةُ ريحٍ ليست لشيءٍ من الأشجار

وخَبْراءُ سِدْرٍ (*).وقد أورد ابن سيده كلّ ذلك في(باب رِحاب الشّجر) (١٢٧)، مقتفياً آثار ابن دريد في ذلك ومتصرّفاً في بعض عباراته. (١٢٨)

العظيمة الشّائكة من جنسها.(المخصص، ١١/ ١٨٤و٩/ ١٧٠، (باب حبال الاستقاء وغيره) والقاموس المحيط، ٤/ ٢١٤، مادة (حجن) و٢/ ٣٩٧، مادة(رشى).

(*) الطَّلْح:واحدته طَلْحَةٌ، وهو أعْظَمُ الأشجار الشوكية العظيمة، وأكْثَرُها وَرَقاً وأشَدُّها خُضْرَةً وله أشْواكٌ ضِخام طِوالٌ حَادَّةٌ وله ثَمَرةٌ صفراءُ طَيِّبَة الرِّيح تصيرُ حُبلة وفيها حبَّةٌ خضراءُ تُؤكَلُ وفيها شيءٌ من مَرارَةٍ تجِدُ بها الظِّباءُ وَجْداً شديداً وتختبِلُ بها. ويدعى الطَّلح شجَر أمِّ غيلان. المخصص، ١١/ ١٨٣وأساس البلاغة، ص ٣٩٣، مادة(طلح) وتهذيب إصلاح المنطق، ص ٦٦ وأدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق وتعليق وفهرسة محمد الدّالي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص ٦٨.

(*) العَرْفَجُ: واحدته عَرْفَجَةٌ، وهو شجرٌ طيِّبُ الرّائحة أغبَرُ إلى الخُضْرَة، وله زهْرةٌ صفْراءُ. وليس له حبٌ ولا شَوْكٌ، وقد يكون في الجبل، وأصل العَرْفَج واسعٌ يأخُذُ قطعةً من الأرضِ وتنْبُتُ له قُضْبانٌ كثيرةٌ بقدْر الأصل وليس لها ورقٌ له بالٌ إنّما هي عِيدانٌ دِقاقٌ يُتّخذُ منها الجارِفُ يعني المكانِس. المخصص، ١١/ ١٥٢.

(*) العُشَرُ:شجَرٌ عريضُ الورَق ينْبُتُ صُعُداً في السّماء وله سُكّرٌ يخرُج من فُصُوص شُعَبه ومواضع زهْرِه، فيه مَرارَةٌ يخرُجُ له نُفّاخٌ كالشّقاشق (جمع شِقْشِقَة، وهي لهاةُ البعير أو الفحْل؛ لأنّها منشقّةٌ) وفي جوفه حُرّاقٌ من أجْوَد ما يُقْتَدَحُ به ولخفّته يُحشَى وتُتّخذُ منه عُمُدٌ وخذارِف(فِلَكٌ فيها خُيُوطٌ يُدْخِل الصّبيّ أصابع يديْه في أطرافها ثمّ يجذِبُها تارة ويُرخيها أخرى، فيدور بذلك دوراناً شديداً حتّى لاتضبطَه العين).ونَوْرُ العُشَر كنَوْر الدِّفْلى. المخصص، ١١/١٨٧ ومعجم مقاييس اللغة، ٣/ ١٧٢، مادة (شق) وأساس البلاغة، ص ٣٣٤، مادة (شقق).

(*) السِّدْرُ: شَجَرُ النَّبِق الواحدة سِدْرَةٌ والجمع سَدْراتٌ وسِدِرَاتٌ وسِدَرَاتٌ وسِدَرٌ وسُدُرٌ، ومنه الشّاكي ولاشَوْك فيه.القاموس المحيط، ٢/ ٤٧، مادة(السّدْر) والمخصص، ١١/ ١٨٥.

(127) المخصص، ١١/ ٤٣.

(128) وهوما رواه ابن دريد عن لأصمعيّ تحت عنوان (قال الأصمعي: أسماء رِحَابِ الشّجر):رَحَبَةٌ من ثُمَام، وأَيْكَةُ أَثْلٍ، وقَصِيم غضًى، وحَاجِر رِمْثٍ، وصِرْمَةُ أرْطَى وسَمَر، وسَليل سَلَمٍ، ووَهْط عُرْفُطٍ، وحَرَجَة طَلْحٍ، وحديقةُ نَخْلٍ وعِنَبٍ، وخَبْراء سِدْرٍ، وخُلّةُ عُرْفُجٍ، ورَهْط عُشَرٍ .جمهرة اللغة، ٣/ ٤٧٦.وهو ما نقله ابن فارس عنه دون عزوٍ. ينظر: الفَرْق، ص ١٠٢.

فأمّا الحديقة والجنّة والعُقْدةُ(وقد جعلها ابن سيده مرادفاً لها) فوعد بأنّه سيأتي ذِكْرُها في كتاب النّخْل، إن شاء اللهُوهو وَعْد تصدّره اسم أبي حنيفة الدينوري؛ [(129)] مّما يدلُّ على أنّ ابن سيده مَالَ مؤقّتاً إلى رأي أبي حنيفة دون رأي ابن دريد في أمر الجنّة والحديقة، وهورأي اتّخذه تكأةً ليتفرّد برأي أخير ينحو بها جميعاً (بما في ذلك العُقْدَة) نحو الالتفاف الذي نراه في النّخل مستدلاً بأقوال بعض العلماء، على نحوما سنرى بعد تحليلنا للنماذج الأولى.

ويبدو أنّ ابن سيده وجد صعوبة في الإقرار برأي ابن دريد وغيره من العلماء بأنّ الرّحْبَة مجتمع الثّمَام ومنبته [(130)] ؛ ذلك أنّه وجد في قول أبي حنيفة (الدينوري) ما يدلّلُ على أنّها: مَوضِع العِنَب كذلك فأدرجها ثانية ضمن (باب صفَة الكَرْم ونَبَاته). [(131)] وقد يشفع لهذا التردّدما يتطلّبه الثّمام والكَرْم من سَعة المكان ورَحابَتِه، ذلك أنّ رَحْبَة المكان ورَحَبَتُه:ساحته ومتّسَعُه ومن الوادي مَسِيل مائه من جانِبَيْه فيه والأرْضُ الواسعةُ. [(132)]

كما أنّ ابن سيده في(باب ذِكْر ما يَعُمُّ الشّجَر ويَخُصُّهامن المَنابِت)لم يسلّم بما ذهب إليه ابن دريد بأنّ الأيْكَة: مجتمع الأثْل [(133)]، فهي عنده جماعة الأرَاك [(*)] ؛ لأنّه، يقال استَيْأَك الأرَاكُ:إذا التفّ، أي صارَ أيكةً.علماً بأنّ الجماعة قد تُجْعَلُ من كلّ شَجَرٍحتّى

---

(129) المخصص، ١١/٤٣.

(130) المخصص، ١١/٤٣، ٧١ والفرق لابن فارس، ص ١٠٢والقاموس المحيط، ٤/ ٧٥، مادة(الرُحْب).

(131) المخصص، ١١/ ٧١.

(132) القاموس المحيط، ٤/ ٧٥، مادة(الرُحْب).

(133) ينظر:المخصص، ١١/ ٤٣ والفرق لابن فارس، ص ١٠٢.

(*) الأرَاك: واحدتُه: أراكَةٌ، وهو شجرٌ من الحَمْض يُسْتَاكُ به. وفيه شيءٌ من الشّوْك. ويقال لصغاره: العَرْمَضُ واحدته: عَرْمَضَةٌ. وله ثلاثُ ثمَراتٍ: المَرْدُ: واحدتُه: مَرْدَةٌ وهو أشدُه رُطُبَةً وليناً، والكَبَاثُ: ضخامُ تشبه التّينَ، والبَريرُ: واحدته: بَريرَةٌ، وهي كالخَرَز الصّغَار إلاّ أنّ لون الثّمَرة واحدٌ.وهذا كلّه تأكلُه النّاسُ والمَاشِيَةُ، وفيه حَرَاوَةٌ على اللّسان. المخصص، ١١/ ١٨١، ١٨٦ والقاموس المحيط، ٣/ ٣٠١، مادة(الأرَاك).

من النَّخْل، إلاَّ أنَّ الأوَّل أعْرَفُ.كما قيل:الأَيْكَةُ:غَيْضَةٌ (*) تُنْبِتُ السِّدْرَ والأَرَاكَ ونحوهما من كَرِيم الشَّجَر.(١٣٤)

أمّا كون القَصيم لايكون إلاَّ من غضَى والصَّرِيمة إلاَّ من أرْطَى، فيُعدّ في نظر ابن سيده من المسائل الخلافية ما دام أبو حنيفة الدينوري قال بذلك، إذ: يُقال لِمَنْبَتِهِ(أي الغَضَى):القَصِيمةُ والصَّرِيمَةُ، وقد تكون الصَّرِيمَة من الأَرْطَى.(١٣٥) ؛ لأنّ أبا حنيفة يجعل الصَّرِيمة للجماعة من العِضَاه والأرْطَى.(١٣٦) فوسّع دائرة التقييد لما كان حقّه أن يُقيِّد بالأرطَى حصْراً.

غير أنّنا بالرُّجوع إلى معاجم اللغة بقسميها اللفظي والمعنوي وجدنا ما يدلّل على أنّ القَصِيمَة:رَمْلَةٌ تُنْبِتُ الغَضَى أوجماعة الغَضَى المتقَارِب.(١٣٧) وأنّ الصَّرِيمة، كما ذهب ابن سيده نفسه: ما انقطع من مُعْظَم الرَّمْلِ(١٣٨).كما تدلّ على الأرْض السَّوداء التي لاتنْبِتُ شيئاً فَبدَتْ كالمحصُود زرعُها ؛ لأنّه لاماء بها.(١٣٩) وهذا ما يستبعدُ أن تكون الصَّرِيمة منْبَتاً للعَضَاه (*)كلِّها (أي لما عَظُم وطال من الشَّجَر الشّاكي) وأنّ مَنْبَتَها موقوفٌ على الأرْطى مادام ينْبُتُ عِصِيّاً ومن أصل واحد لايطول أكثر من قَدْر القامة لاشَوْكَ له،

(*) الغَيْضَةُ:الأَجَمةُ(الشَّجَر الكثيف الملْتَفُّ)، جمعه:غِيَاضٌ وأَغْيَاضٌ. المخصص، ١١/ ٤٤ والقاموس المحيط، ٢/ ٣٥٢، مادة (غاض) و٤/ ٧٤، مادة (أَجَم).

(134) المخصص١١/ ٤٥ والقاموس المحيط، ٣/ ٣٠٣، مادة(الأَيْك).

(135) المخصص، ١١/ ١٦٣.

(136)المصدر نفسه، ١١/ ٤٧.

(137) القاموس المحيط ١٦٧/٤، مادة (قَصَمَهُ) وينظر: الفرْق لأبن فارس، ص ١٠٢.

(138) المخصص، ٤٧/١١ وينظر: معجم مقاييس اللغة، ٣٤٥/٣، مادة(صرم) والقاموس المحيط، ٤/ ١٤٠، مادة(صَرَمَهُ)

(139) القاموس المحيط، ٤/ ١٤٠، مادة(صَرَمَهُ) ومعجم مقاييس اللغة، ٣/ ٣٤٥، مادة (صرم).

(*) العِضاه: اسم يقع على ما عَظُم من شجرِ الشّوك وطال واشتدّ شَوْكه، فإن لم تكن طويلة فليست من العِضاه.وقيل:عِظامُ الشّجر كلّها عِضاه.المخصص، ١١/ ١٨١ والقاموس المحيط، ٤/ ٢٩٠، مادة(العَضَاهَةُ).

وله عُروقٌ شديدة.(١٤٠) وعلى هذا فما ذهب إليه الشّاعر من أمر اقتران الصَّرِيمة بالأراك (١٤١) مستبعدٌ أيضاً استبعاد ابن سيده لمذهب من جعلها للقطعة من النّخل(وهو رأيٌ لأبي حنيفةالدينوري)(١٤٢)، أو جعلها من النّخْل وسائر الشّجَر في قوله:

كأنّها صَرَائِمُ نَخْلٍ أوْ صَرائِمُ أَيْدَعِ

فقال ابن سيده:وأحْسَبُ الاختلاف جاء من قِبَلِ إرادَة القِطْعَة المُجْتَمِعَة المُنْصَرِمَة، والصَّرِيمة: ما انقَطَع من معظم الرَّمْل والجمع صَرِيمٌ وصَرائمٌ.(١٤٣)

وقوله: وحَرْجَةُ طَلْحٍ هو أحد أقوالٍ لأهل اللغة فيه.فالأوّل لابن دريد وقد ساقه ابن سيده في(باب رِحَاب الشّجَر).(١٤٤).أمّا الثاني فقول أبي حنيفة الدينوري وقد ضمّنه ابن سيده(باب أسماء جماعة الشّجَر وذكْرُ الشّجَر الكثيف المُلْتَفُ من الآجَام ونحوها): الحَرَجَةُ: جماعةُ الشّجَر وجَمعُها:حِرَاجٌ وأحْرَاجٌ وحَرَجٌ وهي المَحَارِيجُ أيضاً،وإنّما سميّت حَرَاجاً لالتفافها وضِيقِ المَسْلَك فيها، ومنه مكانٌ ضَيِّقٌ حَرَجٌ وحَرِجٌ وكذلك الحَرَجُ في اليمين. وقال بعضُهم: الحَرَجَةُ تكونُ من السَّمُر(*) والطَّلْح والعَوْسَجِ والسَّلَم والسِّدْر.

---

(140) المخصص، ١١/ ١٦٣-١٦٤، ١٨٩.

(*) (141) وهوقول الشّاعرفي وصف ظَبْيَةٍ:

فَمَا جَأْبَةُ المِدْرَى خَذُولٌ خَلاَلَها أَرَاكٌ بِذِي الرَّيَّانِ غَادٌ صَرِيمُها

علي(أي ابن سيده): غادٌ على هذا فَعَلٌ من الغَيْدِ: وهو التّثَنِّي واللِّيُّ .ينظر: المخصص، ١١/ ٤٧.

142)المصدر نفسه، ١١/ ١١٦.

(143)المخصص، ١٠/ ١٣٥و١١/ ٤٧.

(144)المصدر نفسه، ١١/ ٤٣

(*) السَّمُر: واحدته سَمُرَةٌ، وهو من الأشجار الطويلة الكثيفة والصغيرة الورق والقصيرة الأشواك يعمل من لحائه أرْشِيَةٌ (الحِبَال)، وله ثَمَرةٌصفراءُ تصير حُبْلَةً مُتَعَكِّشَةً مُجْتَامِعَةً كأنّها قُرون اللُّوبيا إلاّ أنّها مثنّيَة مجتمعَة ولها زَهْرةٌ تَنْبُتُ في جَوْفِه يقال لها العَنَمُ واحدُها عَنَمَةٌ يشبّه بها البَنَان، وقيل: هي اغْصَانٌ تَنْبُتُ في أصْلِه حُمْرٌ لا تُشْبِهُ سائر اغْصَانِه. وذكر ابن قتيبة انّ السَّمُر هو شَجَرُ أُمّ غَيْلان. المخصص، ١١/ ١٨٤ وادب الكاتب، ص ٦٨.

وقيل: الحَرَجَةُ: الشَّجَرةُ تكون بين الأشْجَار فلا تَصِلُ إليها الآكِلَةُ ".[١٤٥] أمّا القول الثالث فلأبي ريّاش[١٤٦](ت٣٤٩هـ)، وقد أورده ابن سيده ضمن الباب السّابق الذكر، مؤدّاه: " إذا اجتَمَعَ الشَّجَرُ في عَرْضٍ وطُولٍ فهو حَرَجَةٌ.[١٤٧]

والملاحظ أنّ ابن سيده فضّل أن يذهب بالحَرَجَة إلى أصل معناها لما فيها من الالتفاف وضيقِ المَسْلَك دون أن يزيد على ما قاله أبو حنيفة بشأنها إلاّ ما يدخل في امتدادها الدلالي الذي ارتضاه لها أبو ريّاش وبما لا يُسُدّ الطريق تماماً أمام من جعلها تستغرق أغلب العِضَاهِ من سَمُرٍ وعَوسَجٍ (*) وسَلَمٍ وسِدْرٍ وطَلْحٍ كذلك. والحقّ أنّ ما ذهب إليه ابن سيده من تقييد مبدئي لدلالة " الحَرَجَةْ وهو ما أقرّه جلّ اللغويين الذين أطلقوها على المكان الضّيّق الكثير الشّجَر وجعلوا جمْعَها لُمجْتَمَع الشّجَر، والتحْريج تضْييقاً.[١٤٨]

غير أنّ استنطاقنا لدلالات الأشْجار التي قد تكون ممثّلةً للحَرَجَة ففيه نَظَرٌ، إذ يمكننا انطلاقاً من الالتفاف وكثافته وضيق المسلك الذي عليه الحِراجُ أن نخرج في اطمئنان العَوْسَجَ والسّلَمَ والسّدْرَ من دائرة اهتمامها وأن نُبْقيَ على حظوظ السَّمَر والطّلْح فيها قائمة على أن نتَصِرَ لأحدهما أخيراً.

---

(145) المصدرنفسه، ١١/ ٤٤.

(146) والغالب أنّه:أحمد بن إبراهيم الشّيباني. الفهرست، ص٣٦٩هامش ١٣٠.وجاء في(بغية الوعاة، ١/ ٤٠٩): هو إبراهيم بن أبي هاشم أحمد أبو رياش الشّيباني. وقيل القيسي اليَمامي، كان من حفّاظ اللغة، ومن رواة الأدب.

(147) المخصص، ١١/ ٤٤.

(*) العَوْسَجُ:واحدته عَوْسَجَةٌ، وهو شجَرٌ ذو شَوْك وهو قصيرالأنبوب صغيرالوَرَق صلْب العُود ولا يَعْظُمُ، وقد يطول فيسمّى غَرْدَقَةً . والمُصعَةُ ثَمَرُه، جمع مُصَعٌ. ويقال للعَوْسَج القَصَدُ. المخصص، ١١/ ١٨١، ١٨٦وتهذيب إصلاح المنطق، ص ٨٧٩.

(148) القاموس المحيط، ١/ ١٨٩، مادة(الحَرَجُ)ومعجم مقاييس اللغة، ٢/ ٥٠، مادة(حرج) والأمالي في لغة العرب، ١/ ٦٧ وأساس البلاغة، ص ١١٩، مادة(حرج)

فالعَوْسَجُ: شَجَرٌ شائكٌ، قصيرُ الأُنْبوب، صغيرُ الوَرَق، ولا يَعْظُمُ، وقد يطولُ.(١٤٩)
أمّا السَّلَمُ فقد تقدّمَ أنّه إلى السَّلَم أقْرَبُ، بينما يبقى السِّدْر شَجَراً للنَبِق، فمنه الشّاكي ومنه غيرُ ذلك. (١٥٠) ومجتمعه الخَبْراءُ.(١٥١)

أمّا السَّمُرُ والطَّلْحُ فيظلاّن من أوْفَر العِضَاه حَظّاً للظَّفَر بمدلول الحَرَجَة؛لأنّ السَّمَرَ:من الأشْجَار الطويلة الكثيفة والصَّغيرة الوَرَق والقصيرة الأشْوَاك؛وانّ الطَّلْحَ:من أعْظَمِ الأشْجَار الشوكِية العَظيمة، وأكْثَرها وَرَقاً وأشَدّها خُضْرَةً، وله اشْواكٌ ضَخْمَةٌ طَويلةٌ حَادّةٌ.(١٥٢)

والموازنة بين التعريفيْن تُرجّحُ كَفّةَ الطَّلْح لأن يكون مثالاً مناسباً ورائعاً للشّجِر الذي يجمعُ بين العَظَمِ وكثافة الالتفاف في عَرْضٍ وطُول لكثرة ورقه ودَوَام خُضْرَتِه مّما يسبّبُ صعوبة المسَالك فيه، الأمر الذي قد يتوفّرُ للسَّمُر بوجه أقلّ بالنَّظَر إلى طوله وقِصَر شَوْكِه، يضَاف إلى احتمال أن يُشَكّل السَّمُرُ صَرِيمَةً (التي هي من الأرْطى أساساً).(١٥٣) فإذا كان ذلك حالُ السَّمُر غيرُ مُسْتَنكَرٍ سَقَط الاستدلال به.

أمّا وأن يكون الحَاجِرُ للرِّمْثِ والسَّليلُ للسَّلَم والوَهْطُ للعُرْفُط والجُلْبَةُ للعَرْفَج والرَّهْطُ للعُشَرِ والخَبْراءُ من سِدْرٍ، فيبدو أنّ ابن سيده لم يجد عناءٍ في إثبات ذلك، من منطلق أنّ الحاجِر في أصل الوضع: الأرْضُ المُرْتَفِعَةُ ووَسَطُها مُنْخَفِضٌ فيعدُ بذلك مَنْبَتاً للرِّمْث ومُجْتَمَعِه ومُسْتَدَارِهِ.(١٥٤) خاصّةً إذا علِمنَا أنّ الرِّمث:من الحَمْض الذي يقِلُّ أن ينْبُتَ في الرَّمْل.(١٥٥)

---

(149) المخصص، ١١/ ١٨١، ١٨٦.

(150) القاموس المحيط، ٢/ ٤٧، مادة (السِّدْر) والمخصص، ١١/ ١٨٥وجمع الأمثال، ١/ ٢٤٦.

(151) المخصص، ١١/ ٤٣ والفرْق لابن فارس، ص ١٠٢.

(152) المخصص، ١١/ ١٨٤.

(153) الفَرْق لابن فارس، ص١٠٢.

(154) القاموس المحيط، ٢/ ٥، مادة (الحَجْرُ).

(155) ينظر: المخصص، ١١/ ١٥٢وأساس البلاغة، ص٢٥٠، مادة(رمث).

ويكاد موقف ابن سيده السّابق يتكرّر مع لفظ السُّليل الذي جعله أبو حنيفة (الدينوري) بمعنى السَّالّ وجمعُه: السَّلائِل والسُّلاَّن ودلّل به على:مُطْمئنٌ من الأرْض يكْثُرُ به الشّجَرُ، والسَّمُر خاصّةً، مستَبْعِداً أن يكون للسَّمُر حَظٌّ فيه. وهو ما تدلُّ عليه عبارته:"وقيل:يُنْبِتُ السَّمُر.وهذا غَلَطٌ."[١٥٦]كما قلّل أبو حنيفة من أهمّية قول بعْضهم أنّ السَّليلَ والسَّالُّ مثله:"سَهْلٌ يُنْبِتُ الضّعَةَ (*) واليَنَمَةَ (*) والحَلَمَةَ(*)."[١٥٧]، وهي كما شرحنا من النّباتات التي تضاربت آراء العلماء حولها وسكتت عن الخوض في منابتها.

---

(156) المخصص، ١١/ ٤٢.

(*) الضّعَةُ: نبتٌ كالثّمام وهوادقُ منه وتَمَرُته الأَرَاى، وإذا يبِسَت ابْيَضّت، ولها حَبٌ أسْوَدُ قليلٌ.وقد يَنْبُتُ في الجَبَل.المخصص، ١١/ ١٦٠.

(*) اليَنَمَةُ: وجمعها: اليَنَمُ، نَبتٌ من الأحْرار (ما يُؤكَلُ غيرَ مَطْبُوخٍ)تكثُر في الأرْض، لها بُرْعُومَةٌ كأنّها سُنْبُلَةٌ فيها حَبٌّ كثيرٌ، وليس لها زَهْرٌ وهي طيِّبَةُ الرّائحَة. وجمعها: اليَنَمُ. وقيل:هو بَقْلَةٌ تُشْبِهُ البَاذَرُوجَ (بَقْلَةٌ تقَوّي القَلْبَ جِداً وتَقْبِضُ إلاّ انْ تُصَادِفَ فَضْلَةً فَتُسْهِلَ.) تَسْمَنُ الإبِلُ عليها ولا تَغْزُرُ(لايكْثُرُ لَبَنُها).وقيل:هي بِزْرُ قَاطُونا(بُذُورُ نَباتٍ عُشْبيّ حَوْليّ، من فصيلة لسان الحَمَل، يَنْبُتُ في الأراضي الرَّمْليّة من بلاد البحرالمتوسّط، وتُستعمَل في حالة الإمْسَاك االحَادّ)، ونَباتٌ آخَرُ يُخْتَبرُ في الجِرَاحَات، ينظر: المخصص، ١١/ ١٥٤ والقاموس المحيط٤/ ١٩٥، مادة(اليَنَمُ) و١/ ١٨٥، مادة (البَدّجُ) والمعجم الوسيط، ١/ ٥٤، مادة(بَزَرَ) و١/ ١٦٥، مادة (حرّ).

(*) الحَلَمَةُ: شَجَرَةٌ ترتَفِعُ دُونَ الذّرَاع لها وَرَقَةٌ غَليظَةٌ وأفْنَانٌ كثيرةٌ وزهْرَةٌ مثل زَهْرة شقائق النُّعْمَان.(سميت لحمرتها تشْبيهاً بشقيقة البَرْقِ وأُضيفَت إلى ابن المُنْذِر ؛ لأنّه أوّل من حماها بعد أن قصد موضِعَها وقلاعتمٌ نَبْتُهُ من أصْفَر وأحْمَر، وفيه من الشّقائق ما راقه واستحسنها، فقال: احْمُوها).، إلاّ أنّها أكْبَرُ وأغْلَظُ وهي كثيرةُ البراعِم كأنّ بَرَاعِيمَها حَلَمُ الضُّرُوع.وقيل الحَلَمةُ: نَبْتٌ من العُشْب فيه غُبْرَةٌ له مسٌ أخْشَنُ أحْمَرُ الثَّمَرَة. وقيل:الحَلَمَةُ شجَرةُ السَّعْدَان(نَباتٌ له شَوْكٌ كحَسَك القُطْب(نبتٌ ينهب حِبَالاً على الأرْضِ طُولاً، وله زهرَةٌ صفراء، وشوكَةٌ إذا أحْصَدَ ويَبِسَ يشُقُّ على النّاس انْ يطؤوها، مُدَحْرَجَةٌ كأنّها حصَاةٌ) غير أنّه غليظٌ مفرطح كالفَلْكَة، ونباته سمّي الحَلَمة، وهي من أفضل المراعي وهومن أحرار البقول) القاموس المحيط، ٤/ ١٠١، مادة(الحُلْم). المخصص، ١١/ ١٥٤وكتاب المأثور من اللغة(ما اتفق لفظه واختلف معناه)، ص ٧٨ والقاموس

أمّا قول ابن دريد:ولا يُقال للوَهْط وهطٌ إلاّ إذا كان من عُرْفُطٍ، فقد قال أبو حنيفة الدينوري:ْومن جماعة الشّجَر: الوَهْطُ والكثيرُ الأوْهَطُ. وقيل: الوَهْطُ من العُرْفُط خاصّةً.ْ(١٥٨)وجاء في القاموس المحيط: ْ الوَهْطُ: الجماعة وما كَثُر من العُرْفُط.ْ (١٥٩) والتجوّز في إطلاقها على غير الوَهْط سهلٌ ظاهِرٌ، خاصة وقد لحا بها ابن سيده لحو الالتفاف الذي عليه تجمُّع العُرْفُط وغيره، وقد أورده ضمن (باب أسماء جماعة الشّجَر الكثيف الملْتَفّ من الآجام ولحوها)والأَجَمَةُ:الشّجَرُ الكثيرُ الملتفُ. (١٦٠) كما أنّ في عبارتيْ توهَّط في الطِّينِ ْوتوهَّط الفِراشْ ما يدلُّ على غيابه فيه أو امْتِهَادِه له.(١٦١)وفي ذلك ما يعكس طبيعة العُرْفُط ومواصفاته، فهوفَرْشٌ على الأرْض لايذهبُ في السّماء.ْ(١٦٢).وعلىهذا يكون كلّ ّتجمُّعٍ والتفاف للعُرْفُط وَهْطاً.

أمّا وأن تكون الجُلْبَةُ للعَرْفَجِ فلم يُبْدِ ابن سيده بشأنه رأياً صريحاً ؛ لأنّه وجَدَ فيه أَحَدَ احتمالين، ثانيهما:ْإذا اجتمع ْ العَرْفَجُ بمكان وكَثُرَ سمِّي المكانْ الحَوْمَانْ، وهو رأي لأبي حنيفة الدينوري(١٦٣).وهو تفصيل لم يطُلْ الجُلْبَةْ البَتّة حين اكتفى ابن سيده في (باب رِحَاب الشّجَر) بنسبة القول فيها مقيّداً بالعَرْفَجِ إلى ابن دريد.(١٦٤)، مّما يجعلنا

المحيط، ٣/ ٢٥٩، مادة(شَقَّهُ) والعين١/ ٣٢٣، مادة(سعد) والمعجم الوسيط، ٢/ ٧٤٣، مادة(قَطَبَ).

(157) المخصص، ١١/ ٤٢.

(158) المصدر نفسه، ١١/ ٤٨.

(159) القاموس المحيط، ٢/ ٤٠٧، مادة(وَهَطَهُ).

(160) المخصص، ١١/ ٤٤.

(161) القاموس المحيط، ٢/ ٤٠٧، مادة(وَهَطَهُ).

(162) المخصص، ١١/ ١٨٤.

(163) نفسه، ١١/ ١٥٢.

(164) المخصص، ١١/ ٤٣وينظر:الفَرْق لابن فارس، ص ١٠٢. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ ما وجدناه في نسخة الجمهرة المعتمدة لدينا تجعلُ الحَلَمْنبتاً ومجتمعاً للعَرْفَج.(الجمهرة، ٣/ ٤٧٦).وهو أمر يضعنا أمام احتمال:أن يكون ابن سيده وابن فارس قبلَه قد اعتمدا رواية أخرى من الجمهرة، وهو

نعتقدُ بداهةً أنّ ابن سيده كان إلى الاحتمالين أميل لَمَا وجَدَه، فيما يبدو، في دلالة الحَوْمَانة نفسها كذلك على: المكان الغليظ المُنْقَاد، والجمع:حَوْمَانٌ وحَوامِينُ، (١٦٥) أوهي الأرْضُ المُسْتَديرَةُ، أو تلك التي يُطيفُ بها رَمْلٌ.(١٦٦) وأنّ الجلبة تدلُّ، فيما تدلّ عليه، على: القِطْعَة المتفرِّقَة من الكَلأ والعِضَاه المُخْضَرَّة. وبهذا يمكننا القول لاجتماع العَرفَج مع تفرُّق يجعلُ جُلْبَةً ولتجمُّعه مع كثرةٍ حَومَاناً.

وفي اعتقاد ابن سيده كسالفيه ابن دريد وابن فارس أنّ الرَّهْط في مجال النَّبات لايكون إلاّ للعُشَر (١٦٨)، ذلك أنّ الرَّهْطُ أو الرَّهَطُ أصلٌ يدلُّ على:العِصَابَةُ من ثلاثةٍ إلى عَشَرةٍ.وذَوُو رَهْطٍ:أي مجتمِعون.(١٦٩).ولخفَّتِه يُحْشَى وتُتَّخذُ منه عُمُدٌ وفِلَكٌ فيها خُيُوطٌ

أمرٌ مستبعدٌ، خاصة إذا علمنا أنّ ابن فارس نفسه قد نقل بأمانة ما ذهب إليه ابن دريد في الموضع نفسه قولاً أثبت ابن سيده خَطَلَه.ويتعلّق الأمر بالصَّرْمَة (أوالصَّرِيمَة) التي جعلها ابن دريد لجماعة الأرْطَى والسَّمَرْعلى حدٍّ سواء وتابعه ابن فارس في ذلك بأمانة، ودون أن يزيد عليه شيئاً(الجمهرة، ٤٧٦/٣والفَرْق، ص ١٠٢).بينما قَصَرها ابن سيده على الأرْطى مدلِّلاً ضمنا على غَلَط ابن دريد وابن فارس كليهما. (المخصص، ٤٣/١١).ومثل هذه الإشارات والتنبيهات يؤكِّدُها ابن فارس نفسه حينما تصرّف في عبارة ابن دريد بما يحقّقُ للعَرْفَجِ مرتعًى هوْ الجُلْبَةْ وليس ْ الخُلَّةْ وهو ما عمد ابن سيده إلى إثباته، دون أن ينبِّها على مجانبة ابن دريد للصَّوَاب فيما ذهب إليه.(ينظر:الفَرْق، ص١٠٢ والمخصص، ٤٣/١١).؛ نظراً لأنّه قصرٌ لم يَقُلْ به غيره؛ ذلك أنّ الخلّة من النَّبات: ما كان فيه حَلاوةٌ. ويوضَعُ عادة في مقابل الحَمْضِ الذي يطلق على ما كان فيه مُلُوحةٌ منه.(ينظر: الأمالي في لغة العرب، ١٩٦/١والمخصص، ١٧٠/١١ولسان العرب، ٢١٢/١١، مادة (خلل).والأهمُّ من ذلك أنّ ابن سيده يرى في الخُلّة:شجَرَةٌ شَاكَةٌ .لسان العرب، ٢١٣/١١، مادة (خلل). والعَرْفَجُ: واحدته: العَرْفَجةٌ:شجَرَةٌ لا شَوْكَ لها.(المخصص، ١٥٢/١١). فأين الأولى من الثانية ؟ وهو ما انتصر ابن سيده له ضمناً وبتصرُّف.

(165) القاموس المحيط، ١٠٣/٤، مادة(الحَوْم).

(166) معجم مقاييس اللغة، ١٢٢/٢، مادة(حوم).

(168) المخصص، ٤٢/١١ وجهرة اللغة، ٤٧٦/٣ والفرْق لابن فارس، ص ١٠٢.

(169) معجم مقاييس اللغة، ٤٥٠/٢، مادة (رهط)وأساس البلاغة، ص ٢٦١، مادة(رهط) والقاموس المحيط، ٣٧٥/٢، مادة (الرَّهْط).

يُدْخِلِ الصَّبيّ أصابع يديْه في أطرافها ثمّ يجذِبُها تارة ويُرخيها أخرى، فيدور بذلك دوراناً شديداً حتّى لاتضبِطَه العين.(١٧٠)وهذا يقوم دليلاً على تجمُّع هذا النّوع من النبات في مَرَابِع النّاس ومَسَالِكِهم اليومية، فمَنَابِت العُشَر السَّهْلُ وقِيعَانُ الأَوْدِيَة(١٧٠). فإذا جاز لنا في العشيرة أن نقول: هؤلاء رَهْطُنا وأَرْهُطُنا، وهم رجالُ عَشِيرَتِنا جاز أن يدلّ الرَّهْطُ على تجمُّعٍ في النّاس وغيرهم.(١٧١)

أمّا ما نقله ابن سيده في (باب رِحاب الشَّجَر)، نقلاً عن ابن دريد من أنّ الخَبْرَاء لا تكون كذلك إلاّ إذا كانت تجمّعا من سِدْر. (١٧٢)

ففي معاجم القدماء وكتبهم ما يؤيِّدُه فالخَبْرُ: السِّدْر.وجعله الخليل للسِّدْر والأَرَاك وما حولهما من العُشْبِ، واحِدتُه: خَبْرَةٌ وخَبْرَاءُ الخَبْرَة: شَجَرُها. (١٧٣)

على أنّ دلالة الخَبْر على الأَرَاك وما حولهامن العُشْب فمن باب التجوُّز في إطلاق الدلالة؛ لأنّه، يقال: استَيْأَك الأَرَاكُ:إذا التفّ، أي صارَ آيكةً.(١٧٤) كما يقال: مُؤْتَرِكٌ: كثيرٌ مُلْتفٌّ.(١٧٥) وعلى هذا فالخَبْرَاءُ لمجتَمَعِ السِّدْرِ.

وقدوفّى ابن سيده أخيراً بوعوده حين عمد ضمن(باب جُمَّاَعِ النَّخْل)من(كتاب النّخل) من المخصص رواية عن أبي حنيفة الدينوري إلى الحديث عن خصوصية كلٍّ من العُقْدَة والحديقة والجنّة،فقال:العُقْدَةُ:الجماعة من النّخْل، ومنه قيل: آلَفُ من غُرَابِ العُقْدة.(١٧٦)

وجاء في(باب أسماء جماعة الشّجر وذكرُ الشَّجَر الكثيف الملتفّ من الآجَام ونحوها):علي(ابن سيده): وكذلك الحديقة: يُرَادُ بها الجماعة المُلْتفّةُ ولذلك قيلت في

(170) المخصص، ١١/ ١٨٧.

(171) معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٤٥١-٤٥٠ مادة (رهط).

(172) المخصص، ١١/ ٤٣)والفَرْق لابن فارس، ص ١٠٢.

(173) القاموس المحيط، ٢/ ١٧/ مادة (الخَبْر) وينظر: العين، ٤/ ٢٥٧، مادة(خبر).

(174) المخصص١١/ ٤٥ والقاموس المحيط، ٣/ ٣٠٣، مادة(الأيك).

(175) القاموس المحيط، ٣/ ٣٠١، مادة (الأَرَاك)

(176) مجمع الأمثال، ١/ ٨٧.

العُشْبِ والنَّخْل وقد جاءت في الشَّجَر وفي النَّخْل أكثرُ. والجَنَّةُ: الحديقةُ ذاتُ الشَّجَر وأحْسَبُها سمِّيَت جَنَّةً...؛ لأنّها تُجِنُّ وتَسْتُرُ وتُخْفي."[177]

ويتّضحُ ممّا سبق أنّ ابن سيده يستبعد أن تكون الحديقة من نخل وعِنَبٍ على نحو ما ذهب إليه ابن دريد [178] فقال جرياً على مذهب أبي حنيفة الدينوري:"العُقْدَةُ: الجماعة من النَّخْل، ومنه قيل:آلَفُ من غُرابِ العُقْدة، وهي أرْضٌ كثيرةُ النَّخْل لا يطيرُ غُرابُها، لكثرة شَجَرها"[179] لينحو بها منحى الترادف مع الجَنّة لما وجده من صوابٍ في رأي أبي عليّ الفارسي رواية عن خالدٍ:"[180] الجَنّةُ:جماعة النّخل والجمعُ جِنانٌ؛إنّما ذلك لالتفافها.وقال في التّذكرة [*]:لاتكون جنّةٌ في كلام العرب إلاّ وفيها أعْنابٌ، فإذا كانت أشجاراً لا نخْلَ فيها ولا أعنابَ فهي الحدائقُ وسائرُ النّبات الرّياضُ."[181] وهو ما يدلُّ عليه تعليقه في (باب أسماء جماعة الشّجر وذكرُ الشّجر الكثيف الملتفُّ من الآجام ونحوها) والذي رمى من خلاله إلى وضع حدودٍ فاصلة بين الجنّة والحديقة، فقال:"وكذلك الحديقة: يُرادُ بها الجماعةُ الملتفّةُ ولذلك قيلت في العُشْب والنَّخْل وقد جاءت في الشَّجَر وفي النّخْل أكثرُ."[182]

---

(177) المخصص، ١١/ ٤٧.

(178) الجمهرة٣/ ٤٧٦.

(179) القاموس المحيط، ١/ ٣٢٧، مادة (عَقَدَ).، وهوقول نسبه الميداني(ت٥١٨ هـ) في(مجمع الأمثال، ١/ ٨٧) إلى محمد بن حبيب(ت ٢٤٥هـ)"(هو أبو جعفرمحمد بن حبيب بن أُمَيّة بن عَمْرو.روى عن ابن الأعرابي وقطرب وأبي عبيدة وغيرهم.الفهرست، ص ٤٧٤ وبغية الوعاة، ١/ ٧٣-٧٤).

(180) لعلّه خالد بن كلثوم الكلبي. ذكره الزبيدي في الطبقة الثالثة من اللغويين الكوفيين من طبقة أبي عمرو الشيباني(ت٢٠٦هـ) (ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ص ١٩٤)، وفي بغية الوعاة، ١/ ٥٥٠ عن كتاب البلغة:" لغوي، نحوي، راوية، نسّابة ؛ له تصانيف، منها أشعار العرب والقبائل".

(*) وهي من كتب أبي عليّ الفارسي: ينظر:بغية الوعاة، ١/ ٤٩٦.

(181) المخصص، ١١/ ١١٦.

(182) نفسه، ١١/ ٤٧.

ويبدو أنّ ذهن ابن سيده فيما ذهب إليه لم يكن خلاءً من مضمون الجنّةْ والصنْوَانْ الذي جاء صِفَةً للنّخيل، وهوما وقف عليه أبو عبيدة في قوله تعالى﴿في الأرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وجنّاتٌ من أعْنَابٍ وزَرْعٌ ونَخيلٌ صِنْوَانٌ وغَيْرُ صِنْوَان﴾[١٨٣]، فقال: والمعنى أن يكونَ الأصْلُ واحداً ثمّ يَتَشَعّبُ في الرُّؤُوسِ فتصيرُ نَخْلاً ويَحْمِلْنَ.[١٨٤] ومستبعداً بذلك أن تكون الحديقة مرادفةً للبُسْتَان[١٨٥] ويحمل معنى الحدائق في قوله تعالى: ﴿حَدَائقَ وأعْنَاباً﴾[١٨٦] على أنّها بُسَاتِينَ نَخْلٍ[١٨٧]؛ لأنّ في قول من قال في تفسيرها: هي ما أحيط عليها من الشّجَر والنّخْلْ، [١٨٨] ما يتطابق مع قول من قال من أنّه: لا يُقالُ للبُسْتان حديقةٌ إلاّ إذا كان عليه حائطٌ[١٨٩] أوالرَّوْضَةُ من الشّجَرمن غير تفرقةٍ بين ما أحاطَ به حائطٌ وغيره، [١٩٠] إن كان الأصل يقتضيه من حيث الاشتقاق ؛ لأنّه من أحْدَق به: إذا أحاط، وطاف به.[١٩١] مّما يحملُ على القول بأنّ المعنى الثاني للحديقة يبقى الأقربَ إلى مضمون الحديقة في منظور ابن سيده، إذ لا يبعُد أن يكون المقصود بها القطعة من الأرض المستديرة أحاط بها النّخْل من كلّ جانبٍ استدارة السّوار بالمِعْصَمِ، فصارت

---

(183) الآية ٤ من سورة الرعد.

(184) المخصص، ١١/ ١١٤.

(185) ينظر: القاموس المحيط، ١/ ١٤٩، مادة(البُسْت).

(186) الآية ٣٢ من سورة النّبأ

(187) تفسير غريب القرآن، ص ٥١٠.

(188) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص ٤٩٩.

(189)دُرّة الغواص في أوهام الخواص لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٢٩٩هـ ص١١.

(190) القاموس المحيط، ٣/ ٢٢٦، مادة(الحَدَقَةُ).

(191) ينظر:نفسه، ٣/ ٢٢٦، مادة(الحَدَقَةُ) ومعجم مقاييس اللغة، ٢/ ٣، مادة (حدق).

بذلك دالّةً على ُالقطعة من النَّخْل[١٩٢]من باب اتّساع المعنى ليشمل غيره، وأنّ معناها في أصل الوضع لا يعدو أن يكون:ُالأرضُ ذات الشَّجَر.ُ[١٩٣]

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ تفصيل المعاني القائمة [١٩٤]لم يُنْسِ ابن سيده وضع ما تقارب منها ضمن حقول دلالية استمدّ حدودها ممّا أمكنه الوقوف عليه من آراء العلماء فيها، وصادف هوى في نفسه بعد أن أمعن النّظر فيه فأقرّ بصواب مذهبه أوصواب مذهب غيره فيه، فكان منه: (باب رِحاب الشّجر)و(باب ذِكْر ما يَعُمُّ الشَّجَر ويَخُصُّها من المَنابِت) و(باب أسماء جماعة الشّجر وذكرُ الشّجر الكثيف الملتفّ من الآجام ونحوها) و(باب جُمّاَعِ النَّخْل).ولذلك أمكن ابن سيده أن يقف في الحقل الدلالي الواحد على ما كان طرفاً بين العلماء من حيث دلالته على ُالموضعْ أو بعض ما يعرف به من حيث ُ الاطمئنانْ أو ُالاستواءؤ أو ما يتّصل بالنبات عموما من خصائص تتّصل بـُ المُنْبَتِ أوْ الالتفافْ أو تخصّ نباتاً أو شجراً بعينه نحوْ النّخل ُ مثلاً أوْما تجمّع منهْ.لذا وجدناه يخرج بعضاً ممّا تبدّى للعلماء المختصّين(كأبي حنيفة الدينوري) ضَعْفُ اتّصاله مع غيره من المعاني أو الفصائل التي تتقارب بوجه من الوجوه من حيث خصائصها أوصفاتها.وكان لهذه الأسباب، أن رأينا ابن سيده يرجئ ُ النّظر في أمر ُالحديقة والجَنَّة والعُقْدَةُ إلى باب يكون أكثر ملاءمة لمضمونهما لما فيها من التجمّع والالتفاف جرياً، و بما يفي بإبداء رأي أو استصواب رأيٍ في أمرهما.

ويبدو أخيراً أنّ ما ساقه ابن سيده أمثلةً للدلالة المقيّدة قام على ملاحظة مجال استعمال هذه الكلمة أو تلك مع ما يصاحب ذلك من ظروف أو صفات ترافق الحدث

---

(192) القاموس المحيط، ٣/ ٢٢٦، مادة(الحَدَقَةُ).

(193) معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٣٤، مادة(حدق).

(194) إنّ أغلب ما أورده ابن سيده ضمن عناوين مختلفة جاء مُجْمَلاً ودون عزوٍ في (باب فرْقٌ في الأجام) منْ الفرْقْ لابن فارس.، فدلّنا بذلك على بعض مصادره كالجمهرة لابن دريد.ينظر: الفرق لابن فارس، ص ١٠٢ ويوازن مثلاً بما جاء في المخصص، ١١/ ٤٣.

اللغوي.ومن ثمّ ذهب اللغويون، وابن سيده واحد منهم، إلى اتّخاذ هذه الظّروف والصفات شروطاً لاتصحّ الدلالة إلاّ بوجودها. ولئن كان في هذا السّعي نوع من التلفيق والتفريق، لقد آل ذلك إلى تضييق لمسالك الكلام والحكم على كلّ مخالفة بالخطأ.(١٩٥)

٤)- التعدّد والاحتمال في الدلالة:

إنّ من طبيعة المعنى المعجمي أن يكون متعدّداً ومحتملاً، وكلُّ صفة من هاتين الصفتين تقود كلٌّ منهما إلى الأخرى، فإذا تعدّد معنى الكلمة حال انعزالها تعدّدت احتمالات القصد، ويعدُّ ذلك تعدُّداً في المعنى.والذي يجب ألاّ يغيب عن أذهاننا أنّ الكلمة في المعجم لا تُفهم إلاّ منعزلةً عن السياق ؛ لأنّه لا يُمكن الإتيان بجميع السياقات التي يمكن أن ترد فيها "المفردة هذه المفردة التي تأخذ في حال التضامّ مع المضاف إليه، أو في حال دخولها في سياق جملة مكوّنة من مسند ومسند إليه فضل معنى لانجده لها في حال بقائها مفردةً" أو منعزلةً عن السياق."(١٩٦) ممّا حدا ببعض الدارسين المحدثين إلى القول بضرورة قطع الصّلة بالمعاني التي استقرّت في المعجم ؛ لأنّ الكلمة وفق المناهج الحديثة لا معنى لها ولا قيمة إذا أخذت منعزلة عن السياق اللغوي والمقام الاجتماعي.(١٩٧)والحقُّ أنّ النّظر إلى هذا الأمر ينبغي أن يكونَ مُتَوَازِياً ؛ لأنّ المعنى المعجمي، على الرّغم من تعدّده وعمومه، يمثّلُ النويّات المعنوية التي تدخلُ في بناء كلّ جانبٍ من جوانب الدلالة.(١٩٨)

---

(195) المدخل إلى فقه اللغة العربية، ص ٢١٨.

(196) اللغةالعربية معناها ومبناها،ص٣٢٣ والمعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق،ص٢٤٠.

(197) ينظر:علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص٢٦٣-٢٧١واللغة العربية معناها ومبناها، ص ٣٣٠-٣٣١والمعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، ص٢٤١ والمعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث لمحمد أحمد أبو الفَرَج، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، ط١/١٩٦٦، ص٩٥-٩٧.

(198) مصنّفات اللحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري، ص ٩.

وندلّل على تعدّد المعنى واحتماله في حالة الإفراد بمثالين هما كلمتا: ' صاحبْ والحالْ.

فأمّا كلمة صاحب فيتعدّد معناها على النحو التالي:(١٩٩)

-لقب(أي ذو) ______ نحو: صاحب الجلالة.

- مالك __________ نحو: صاحب البيت.

- صديق ________ نحو: صاحبي.

- رفيق________ نحو: صاحب رسول الله ﷺ

منتفع________ نحو: صاحب المصلحة.

مستحق_______ نحو: صاحب الحق.

مقتسم _______ نحو: صاحب نصيب.

فكلمة صاحب بمفردها تحتمل هذه المعاني السّبعة ولا تختصُّ بواحد منها إلاّ عند التضامّ مع المضاف إليه. وهذا التضامُّ أضعف صورة من صور الدخول في سياق، ولذلك يعدُّ كلُّ مثالٍ من الأمثلة السّبعة الواردة ممّا يحدّد معنى واحداً معيناً في الكلمة.ولا يأتي المعجم بكلّ تفصيلات الكلمة على هذا النّحو، ولكن سيأخذ منها القاسم المشترك، فيجعله معنى معجمياً للكلمة، وسيشغل نفسه أحياناً ببقية مشتقات المادة عن مشتقٍّ بعينه، في الوقت الذي يكون قد فاته أن يُشيرَ إلى تغيُّر المعنى مع كلّ ضميمةٍ تتوارد مع الكلمة أو تتلازم معها فيقول في الحالة السابقة مثلاً: صاحب ُالدّار مالِكُهاْوْ صاحب رسول الله رفيقهوْ صاحب الفضيلة المثقّف في الشريعة الإسلاميةوْ صاحبُ الجلالة المَلِكُ وْصاحبُ المعالي الوزير وْ صاحبي صديقي وهلمّ جرّاً،(٢٠٠) ممّا يدلّل على قصور المعنى المعجمي عن أن يحدّد المدلول تحديداً يحفل بالكثير من القرائن

(199) اللغة العربية معناها ومبناها، ص٣٢٤.

(200) المرجع السابق، ٣٢٤ -٢٥، ٣٣١.

الحالية والمقالية التي قد تُعطي الكلمة من المعاني ما لايردُ على بال صاحب المعجم نفسه.(٢٠١)

وتعدّ مفردةالخالْ مثالاً للكلمة التي لها معاني مختلفة لا قاسم يجمع بينها وإذا ما بحثت عنها في المعجم تجدها في صورة المعنى الشّائع:أخو الأمّ.فمن معانيها التي قد لا يحفل المعجم بها:(٢٠٢)

---

(201) نفسه، ص٣٢٣-٣٢٥ والمعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، ص٢٤٠-٢٤١.

(202) عوامل التطور اللغوي، دراسة في نموّ الثروة اللغوية لأحمد عبد الرحمن حمّاد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٧٣. إنّ ما سنسوقه من معانيالخالالمتفقة لفظاً المختلفة معنًى غيض من فيض ما أحصته معاجم اللغة بقسميها اللفظي والمعنوي ولعلّه يقوم دليلا على احتفال المعجم العربي بمعانيالخالوغيرها(ينظر على سبيل المثال ما يتّصل بلفظالأمّ:المخصص، ١٣/ ١٨٠-١٨٥) وفق سياقات ورودها:

١- فالخَالُ: اخو الأمِّ:أورد ابن سيده في(باب النَّسَب في العَمّ والخَال) قول صاحب العَيْن: الخَالُ: أخوُ الأمِّ والجَمْعُ أخوال، والخَالَةُ: أُختُها.(ينظر: تهذيب إصلاح المنطق، ص٧٦٧ وأدب الكاتب، ص ٣٤٣و لسان العرب، ١١/ ٢٣٢، مادة(خيل).

٢- والخَالُ: علامةٌ على الخَدّ أو العلامة مطلقاً على الجَسَد:جاء في المخصص ضمن باب (الخَال والشّامَة) قول صاحب العين:الخَالُ: شَامَةٌ سَوْدَاءُ وجمعهُ خِيلانٌ. كما انّ الشّامَةُ، علامَةٌ مُخالِفَةٌ لسائر اللَّوْنُ(.المخصص، ٢/ ١١١ وينظر: تهذيب إصلاح المنطق، ص ٧٥٣ والعين، ١/ ٣٠٤، مادة (خول)، وجاء فيه: الخَالُ: بَثْرَةٌ في الوجه تضربُ إلى السَّواد، وجمعهم خِيلانٌ، وينظر: لسان العرب، ١١/ ٢٣٢).وجاء في الجمهرة: الخالُ: الأثرُ في البَدَنِ.(جمهرة اللغة، ٣/ ٢٤٠، مادة(خول).

٣- والخَالُ: سَحابةٌ ممطرَةٌ:جاء في (باب البَرْق)من المخصص قول أبي زياد الكلابي(ت٢١٥هـ) (هو يزيد بن عبد الله الحُرّ، أعرابيٌّ بَدَوي، قدم بغداد في خلافة المهدي(ت٢٥٦هـ) وأقام بها أربعين سنةً، وبها مات وكان شاعراً، وهو من بني عامر بن كِلاب.(ينظر: الفهرست، ص٢٠٧).:في الخَال الذي ذكَرَتِ العربُ في أشعارها هو البَرقُ، وأنشد:

أَلَمْ أكُ ذَا قُرْبَى وحَقِّيَ وَاجِبٌ فتُخبِرَني بالخَالِ أَيْنَ يُصيبُ

...وقد يجوز أن يكونَ الخَالُ في هذا البيْت غيرَ ما قاله ولكنّه قال كُثَيِّر:

يَشِمْنَ بآفاقِ ابْن لَيْلَى مَخيلَةً عَرِيضاً سَنَاهَا مُكْفَهِراً صَبِيرُها

فهذه المَخِيلَةُ هو البَرْق ُقال: وقال أبو زياد(الكلابي): وينظرُ النّاسُ إلى السّماء عَشِيَّةً فيقولون: إنّها لَمَخيلَةٌ أن تَبْرُقَ أي أنّها شَبيهَةٌ أن يكونَ ذاكَ.قال: وإنْ رأوا سَحَاباً حينَ يُمْسُونَ ولَمْ يَرَوا بَرْقاً فليس بِخَال... وكذلك قول الآخر:

لِشَمَّاءَ بَعْدَ شَتَاتِ النَّوَى وقد بِتُّ أَخيَلْتُ بَرْقاً وَلِيفاً

والوَلِيفُ: بَرْقَتَان بَرْقَتَانِ كانَ ذلك أَصْدَقَ له.ثمّ بيّن بأكثر من هذا فقال:

أَجَشُّ رِبَحْلاً لَهُ هَيْـدَبٌ يُرَفِّعُ للخالِ رَيْطاً(*) كَشِيفاً

فجعل الخالَ تكشُّفَ السَّحَابِ عن البَرْقِ وشَبَّهَ بَيَاضَ البرق أو السّحابِ بالرَّيْطِ.(المخصص، ٩/ ١٠٩-١١٠ وينظر: أدب الكاتب، ص ٣٥٧ وتهذيب إصلاح المنطق، ص ٥٩٦ وجهرة اللغة، ٣/ ٢٤٠، مادة(خول).و(الرَّيطُ: جمع رَيْطَة، وهي سُحُبٌ من نسْجٍ واحدٌ وقطعةٌ واحدة.ينظر: القاموس المحيط، ٢/ ٣٧٥، مادة(الريطة) والأمالي في لغة العرب، ١/ ١٥١).وعن أبي حنيفة (الدينوري): وهو(أي السّحاب) حينئذٍ إذا سدَّ الآفاقَ كلّها سُدٌّ والجَمْعُ سُدُودٌ، وأنشد:

قَعَدْتُ لَهث وشَيَّعَني رِجَالٌ وقد كَثُرَ المَخَايِلُ(*) والسُّدُودُ

فإذا ثَبتَ ولم يَبْرَحْ اليَوْمَ واللّيلَةَ فهو الصَّبِيرُ أُخِذَ من الصَّبْرِ وهوالحَبْسُ.(المخصص، ٩/ ٩٥، (باب السّحاب وأنواعه)وينظر: لسان العرب، ١١/ ٢٣٣، مادة (خيل).والمَخَايِلُ: جمع مَخيلَة من خيَّلَت السّماء للمَطَر، وما أحسَنَ مَخيلَتَها وخالَها! أي: خَلاقَتَها للمَطروعن أبي العبّاس ثعلب أنّ أكثرُ ما يُقالُ: أخلَت السَّماءُ وهي مُخيلَةٌ.ويقالُ هذا على اربعة أوْجهٍ: خَلَتْ، وأخالَتْ، وخَيَّلَتْ، وتَخَيَّلَتْ وأصلها من المَخِيلَة، يُخَيِّلُ إليك أنّها مَاطِرَةٌ. تهذيب إصلاح المنطق، ص ٧٦٦.

٤- الخالُ: التكبُّر والخُيَلاءُ والتباهي والتفاخُر: عن ابن السكّيت أنّهُ قال:رَجُلٌ مُخْتَالٌ وذو خُيَلاءَ وذوخَال، وأنشد:

يا ابْنَ الحَيَا إنّه لولاَ الإلهُ ومَا قال الرَّسُولُ لَقَد أَنْسَيْتُكَ الخَالاَ

يعني الخُيَلاءَ.(المخصص، ١٢/ ١٩٨-١٩٩، (باب الكِبْر والفَخْر والإباء والتعَدّي) وتهذيب إصلاح المنطق، ص ٧٨٤و ينظر: جمهرة اللغة، ٣/ ٢٤٠، مادة(خول) ولسان العرب، ١١/ ٢٣٢).وجاء في (باب الرّقيق من الثّياب)من(كتاب اللّبَاس) من المخصص:* والخَالُ ثَوْبٌ من ثِيَابِ الجُهّال* قال أبو علي (الفارسي): الخَالُ هاهنا الخُيَلاءُ وتفسيرُ من فَسَّرَه بالثّوب خطأٌ.(المخصص، ٤/ ٦٤ والعين٤/ ٣٠٤، مادة(خول). وجاء في جمهرة اللغة، ٣/ ٤٩٧، (باب ما يتكلّم به بالصفة ويُلقى منه الصفة فيُفضي الفعل إلى الاسم): والخَالَةُ: جمعُ خال من الخُيلاء. قال الشّاعر:

أَوْدى الشّبَابُ وحُبُّ الخَالةِ الخَلَبَهْ وقد صَحَوْت فمَا النَّفْـــسُ من قَلَبَهْ

وهو ممّا قرأه أبوعلي القالي على أبي بكر بن دريد للنّمر بن تولب ومنه قوله:

وقد تَثَلَّمُ أنْيَابِي وأدْرَكَنـــــــي قِرْنٌ عليَّ شَديدٌ فاحــــــــشُ الغَلَبَهْ

وقد رَمَى بُسْرَاهُ اليَوْمَ مُعْتَمِداً في المَنْكِبَيْنِ وفي السَّاقَيْنِ والرَّقَبَهْ

فأودى: ذهب وهلَكَ. والخَالَةُ جمعُ خائل.والخلبةُ جمع خالب. والشاعر يخبرُ أنّه شيخٌ قد ترك صحبةَ الشّباب والفتيان وهم الخالةُ الخلبة الذين يختالون في مشيَتِهم ويخلُبُونَ النّساء. ثمّ قال: برِئتُ أي بَرِىءَ صدري من وُدّهم والعلاقة بهم فما به قَلَبَةٌ أي وجعٌ من وُدّهم. وقوله: وأدركني قرنُ الهرَم، وقوله: وقد رمى بسراه اليوم معتمداً، فالسُّرَى جمع سُرْوَة وهو نَصْلُ السّهْم إذا كان مُدَوَّراً مُدَمْلَكاً ولا عَرْضَ له. يريد: أنّ الهَرَمَ قد رمى بسهامه في جميع جسده فأضعفه كما قال:في المَنْكِبَيْن والسّاقَيْن والرَّقَبَة.(ينظر: الأمالي في لغة العرب، ١/ ٢٢٧).

٥- الخَالُ: ضربٌ من الثّياب أو بردٌ من بُرود اليَمَن:جاء في (باب الرَّقيق من الثّياب)من(كتاب اللِّبَاس) من المخصص:قال صاحب العين:' ثَوْبٌ خَالٌ: رَقيقٌ... وعن ثعلب أنّ الخال:' ثوبٌ نَاعِمٌ من ثِيَاب اليَمَن، وأنشد: (٩٠)

وثَوْبَانِ من خَالٍ وسَبْعُونَ دِرْهَمَا على ذاكَ مَقْرُوظٌ(*) من الجِلْدِ المَاعِزُ

وقال ابن الكلبي(هشام بن محمد) (ت ٢٠٤هـ):' الخَالُ: الثَّوْبُ الذي يُخيِّلُه الرَّجُلُ على المَيّت يَسْتُرُه بهِ'. المخصص، ٤/ ٦٤ والعين٤/ ٣٠٤، مادة(خول) وجمهرة اللغة، ٣/ ٤٩٦، باب ما يُتكلّم به بالصفة وتُلقى منه الصّفة فيُفضي الفعلُ إلى الاسم). وجاء فيها كذلك:' الخالُ: ثوبٌ نَاعِمٌ من ثِيَاب اليَمَنِ'. ينظر: جمهرة اللغة، ٣/ ٢٤٠، مادة(خول) وينظر: لسان العرب، ١١/ ٢٣٣، مادة(خيل).و مقرُوظٌ: مَدْبُوغٌ أو مصبُوغٌ بالقَرَظ ومُجتَنى أو مأخوذ من جلد الماعز. ينظر: القاموس المحيط، ٢/ ٤١٢، مادة (القَرَظُ). ونسب الميداني البيت للشّمّاخ بغير لفظ، وهو:

وبُرْدَانِ من خالٍ وسَبْعُونَ دِرْهَماً عَلَىَ ذَاكَ مَقْرُوظٌ مِنَ القَدِّ مَاعِزُ

ومنه المثل:' إنَّهُ مَاعِزٌ مَقْروظٌ'. ويضربُ للتامِّ العَقْل الكامل الرّأي.(ينظر: مجمع الأمثال، ١/ ٥٣).

٦- الخَالُ:اللِّواءُ:(*)

جاء في (باب الرّايات) من المخصص أنّ ابن دريد أطلق لفظ الخال على:'اللِّوَاء'.(ينظر: المخصص، ٦/ ٢٠٥ وينظر: العين، ٤/ ٣٠٥، مادة(خول) وجمهرة اللغة، ٣/ ٢٤٠، مادة(خلو). جاء فيها:' وزعمَ قوْمٌ أنّ الخالَ لِوَاءُ الجيش'.واللِّواء: العَلَمُ، جمع ألْوِية وألْوِيَات.ينظر: القاموس المحيط، ٤/ ٣٩٠، مادة(لَوِيَ).

ويبدو ممّا سبق أنّ ابن سيده عمد إلى أغلب معاني الخال التي وردت عند بعض المصنّفين المتقدّمين والمتأخّرين الذين تناولوا بإسهاب ظاهرة المشترك مثل أبي العَمَيْثَل الأعرابي ذكر أبو العَمَيْثَل أنّ الخَال على خمسة أوجه:'الخالُ الخُيَلاءُ...والمُخْتَالُ نَفْسُه، وضربٌ من البرود، والرّايَةُ، والسّحابُ

المُخيلُ للمَطَر، وشَامةٌ. ينظر: المأثور من اللغة، ص ١٠٥-١٠٦) وأبي منصورالثعالبي فيما رواه (في وقوع اسم واحدٍ على (أشياء مختلفة) لفظ الخَالُ الدالّ على: أخو الأم والاختيالُ، ونَوعٌ من البُرود والغَيْمُ.(ينظر: فقه اللغة وسرّ العربية، ص٤١٠). وابن الشّجري. (الخالُ عند ابن الشّجري تدلُّ على: الخُيَلاء وهو الكِبْر، والمُختالُ وهو المتكبِّرُ، و ضَربٌ من البُرُود، والرّايَةُ، والشّامَةُ، والسَّحَابُ المُخَيِّلُ للمَطَر. ينظر: ما أتّفق لفظه واختلف معناه، ص ٩٩). غير أنّه لم يكن في منأى عن التطورات الدلالية والظّلال المعنوية التي اكتسبتها دلالةالخالْ في كتب المتقدّمين أو المتأخّرين، مّمَن عالجوا ظاهرة المشترك عرضاً فدلّلوا على ما وقر منها في الأخبار الواردة أو الشّعر أو الأقوال المأثورة، ولذلك رأيناه يعمد إلى إثباتها.فممّا أثبته لهامن دلالات:

١- الخَالُ: المَاضي:أورد ابن سيده ضمن (هذا باب عِلْم كلّ فِعْلٍ تعدّاكَ إلى غَيْرِكَ) ما سمعه سيبويه من بعض الحيِّ من العرب قولهم: * وهَلْ يَنْعِمَنْ مَنْ كانَ في العُصُرِ الخَالي*(المخصص، ١٤/ ١٥٣-١٥٤وينظر: لسان العرب، ١١/ ٢٣٢، مادة(خيل)، والقول لامرئ القيس، والبيت بتمامه في ديوانه، ص١٣٩، وقد روي فيه بغيرلفظ:

الاَ عِمْ صباحاً أيّها الطَّلَلُ البَالي وهلْ يَعْمِنْ من كانَ في العُصُرِ الخَالي

وهو غير موجود ضمن شواهد كتاب سيبويه، طبعة عالم الكتب المعتمدة في بحثنا هذا).

٢- الخَالُ: حُسْنُ القيام على الأمر أو الشيء وإصلاحه:وقد أورد ابن سيده في (باب نعوتها (الرِّماح) من قِبَل اشتدادها وصلابتها واستوائها وضعفها) قول صاحب العين:قَنَاةٌ صَمْعَاءُ صَلْبَةٌ مُسْتَوِيَةُ الكُعُوب مُكْتَنِزَةٌ، ورُمْحٌ أَصْمَعُ، وأنشد: المخصص، ٦/ ٣١-٣٢ وينظر: العين١/ ٣١٦، مادة(صمع) وجاء فيه: قَنَاةٌ صمعاء: لطيفةُ العُقَد، مُكتنِزَةُ الجَوْف.

والعميد: الرَّجل المعمُود، الذي يستطيع الجُلُوس من مرضه حتّى يُعْمَد من جوانبه بالوَسَائدْ. (معجم مقاييس اللغة، ٤/ ١٣٨، مادة(عمد).و مُخْوَل: مُتفرِّس أو معهود إلى غيره ليُحسن القيام عليه.(ينظر: القاموس المحيط، ٣/ ٣٨٣، مادة (الخَالُ).و شَحا: فَتَحَ. معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٢٥٢، مادة(شحوى).وأصمعُ: سيفٌ القاطعُ، والأَصْمَعُ: القلبُ الذّكيُّ المتيَقّظُ، والأصْمَعان: هو الرّأي الحازمُ.(ينظر: القاموس المحيط ٣/ ٥٣، مادة(الأَصمَعُ).

وكَأَيِنْ تَرَكْنَا من عَميد(*،(مُخوَل(*) شَحَا(*)فَاهُ مَحْشُورُ الحَديدَة أَصْمَعُ(*)

وجاء في الجمهرة:ورَجُلٌ خالُ مال وخَائلُ مال:إذا كانَ حَسَنُ القيام عليهْ.(جهرة اللغة، ٣/ ٢٤٠، مادة(خول) و٣/ ٤٩٧، (باب ما يُتكلّم به بالصفة وتلقى منه الصفة فيُفضي الفعلُ إلى الاسم).

٣-الخالُ: الخلاءُ والفَراغُ:

أورد ابن سيده ضمن فصل(ومن المكسورالأوّل)من (باب ما يُقصَرُ فيكون له معنًى، فإذا مُدَّ كان له معنًى آخر)ما حكاه كُرَاعُ النّمل (هو أبو عليّ بن الحسَن الهُنائي المعروف بكُراع النّمْل، من أهل مصر، أخذ عن البصريين وكان نحويّاً كوفيّاً. وقد صنّف المُنَضَّد في اللغة سنة سبعٍ وثلاثمائة وكتباً أخرى كالمجرَّد ومختصره، وأمثلة غريب اللغة، والمُصحَّف المنظّم. ينظر: بغية الوعاة، ٢/ ١٥٨). من أنّ: الحِسَا: مَوْضِعٌ، قال: *وحِزءُ الحِسَا مِنْهُمْ إذا قلَّ ما يَخْلُو*(المخصص، ١٣٦/١٥وينظر: لسان العرب، ١١/ ٢٣٢، مادة (خيل).وجاء في باب(فَعَلْتُ وافْعَلْتُ) قول زهير يمدح سنان بن أبي حارثة:

وكنْتُ إذا ما جئْتُ يَوْماً لِحَاجَةٍمَضَتْ واجَمَّتْ(*)حَاجَةُ الغَدِمَا تَخْلُو(*)

(المخصص، ٢٣٢/١٤ وينظر: ديوان زهير بن أبي سُلْمى ربيعة بن رياح المُزني، دار صادر، بيروت، ص٥٨.واجَمّت:حانَ وقُوعها.المخصص، ٢٣٣/١٤.قال ابن دريد: أجَمَّت الحاجةُ لاغَيْرُ.ينظر: جمهرة اللغة، ٤٣٨/٣، (باب الحروف التي قُلِبَت وزعمَ قومٌ من النّحويين أنّها لغاتٌ). وما تخلُو: بمعنى لا تُعدَمُ، أي لا يَخلُو الإنسان من حاجة، وكنّى بالغد عمّا يُستأنفُ زمانه. ينظر: هامش ٣ من ديوان زهير بن أبي سُلْمى، ص ٥٨.وفي ذلك يقول عبيد الأبرَص:

دِيَارُهُمْ إذهُمْ جَميعٌ فَأَصبَحَتْ بَسَابِسَ إلاّ من الوَحْشِ في البَلَدِ الخالي

ديوانه، ص ١١٧و ينظر: لسان العرب، ٢٣٢/١١، مادة(خيل). والبَسَابِسُ: جمع بَسْبَس: القَفْرُ الخَالي. ينظر: القاموس المحيط، ٢٠٨/٢، مادة (البسّ).

أمّا بالنّسبة إلى الخال الدّال على المكان أو البلد غير المعمورة أو القَفْر (*) فيبدو أنّ ابن سيده فصّل قول من قال بشأنها بعد أن عقد باباً خاصاً سمّاه(ذكْرُ ما لم يُوطَأ من الأرض ولا استعملَ):الأرضُ المِعْيَاسُ والجَادِسَةُ التي لم تُعْمَر ولا حُرِثَتْ-والقولان لأبي عبيد-(ينظر: المخصص، ١٤٦/١٠) والأرضُ العَفْرَاء هي التي لم تُنْزَلْ قطُّ والقول لابن دريد.(ينظر: نفسه، ١٤٦/١٠ وجمهرة اللغة، ٢/ ٣٨٠، مادة(عفر). والسّاهِرَةُ: وهي في عرف ابن الكلبيْ التي لم تُوطأْ.(ينظر:المخصص، ١٤٦/١٠. وذهب أبوزيد القرشي إلى أنّ السّاهرة الفلاةُ.ينظر:جمهرة أشعار العرب، ص ٨ وعليه يوجّه قوله تعالى:(فإذا هُمْ بالسَّاهِرَة)(الآية١٤ من سورة النّازعات) والخِطُّ والخِطّةُ:الأرضُ تُنْزَلُ من غير أن ينزلَها نازلٌ قبلَ ذلكْ، والقول لابن دريد.(المخصص، ١٤٦/١٠و في جمهرة اللغة١/ ٦٧، مادة(خطّ): الخَطِيطَةُ).

٤- الخال:العسكرُ:جاء في(باب كتائب الخَيل)و(باب الرّايات) أنّ الخال تطلق كذلك على:العَسْكَر.يقالُ:عَسْكَرٌ خالٌ ومتَخلْخِلٌ:ليس بمُحتَشٍ يعني مُجتَمِعاً، وهو قول لابن السكّيت.

(المخصص، ٦/ ٢٠٢، ٦/ ٢٠٥).ومما جاء من هذا المعنى في معاجم اللغة قول ابن دريد: وعَسْكَرٌ خالٌ: مُتَضَعْضِعٌ قليلُ الأَهْلِ.(جمهرة اللغة، ٣/ ٢٤٠، مادة(خلو).

على أنّ تفرُّد ابن سيده بدا واضحاً في وقوفه وإيراده مضامين غابت في إحصاءات القدماء والمحدثين.(ينظر: المشترك اللغوي نظريةً وتطبيقاً، ص ٢٦١-٢٧١.) لها.ويتّضح ذلك في دلالةْ الخالْ كذلك على:

١-التفرّق: جاء في(باب الذهاب في كلّ وجه والتفرّق)من المخصص قول أبي عبيد: تفرّقَ القَومُ أَخْوَلَ أَخْوَلَ: أي واحداً واحداً، وأنشد:

يُسَاقِطُ عنه رَوْقُهُ (*) ضَارِيَاتِها سِقَاطَ حَدِيدِ القَيْنِ(*) أَخْوَلَ أَخْوَلاَ

(المخصص، ١٢/ ١٣١و ينظر: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ص ١٦٩١، مادة(خيل)، والبيت منسوبٌ فيه إلى ضابىء." وقال الأصمعي: ضَبَأَ فهو ضَابِىءٌ: إذا لَصِقَ بالأرْضِ. (ينظر: الأمالي في لغة العرب، ١/ ١٠٢).

والرَّوقُ: القَرْنُ.القاموس المحيط، ٣/ ٢٤٦، مادة(الروق).و القَيْنُ: الحدّادُ. نفسه، ٤/ ٢٦٣، مادة(قان).وقال الجوهري:وذهبَ القَوْمُ أَخْوَلَ أَخْوَلَ، إذا تَفرّقوا شتّى.(الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ١٦٩١، مادة(خيل).

٢- الطّائر:وفي(باب ألف التّأنيث التي تلحقُ قبلَها ألِفٌ فتُقْلَبُ الآخِرةُ منها همْزةً لوقوعها طَرَفاً بعد ألِفٍ زائدةٍ) أنشدنا ابن سيده قول الشاعر:

* فَمَا طَائِرِي عليْكَ بِأَخْيَلاَ *(*)

(المخصص، ١٦/ ٩٤) والأَخْيَلُ: قال الخليل:هوَ طائرٌ يسمّيه الفُرسُ كاجُول، خُضْرَتُه مُشْرَبَةٌ حُمْرَةً، يتشاءمُ به العرب.والأَخْيَلُ: الشّاهينُ، والجمعُ: أخايل." والأَخْيَلُ: تذكير الخُيَلاء.(ينظر: العين، ٤/ ٣٠٤، مادة(خول). وقال ابن قتيبة:هوَ طائر الشَّرِقْرَاقِ يقالُ هو الشِّقِرّاق والعرب تَشَاءمُ به، وأهلُ اللغة يقولون: الشَّرِقْرَاق. ثمّ (.ينظر: أدب الكاتب، ص ١٩١والعين، ٤/ ٣٠٤، مادة (خول) ونسب الجوهري القول للفرّاء.(ينظر:الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ١٦٩٣، مادة (خيل).و يظنُّ ابن فارس أنّه ذو ألوان. (ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٢٣٥، مادة (خيل)، وهو ما يفهم من مضمون (باب ما يخصّ الطّائر من الألوان غير الصّفات التي غلبَت عليها الأسماء كالأخيَل) (ينظر:المخصص، ٨/ ١٣٦).ويتّفق جميعهم على أنّه طائرٌ يُتشاءَم منه).

أمّا ما غاب عن المخصص من معاني الخالْ لأسباب منهجية اقتضتها طبيعة التأليف في معاجم المعاني، فيبدو أنّ ابن سيده استدركه في المحكم وهو المشتمل على ألفاظ اللغة والدالّ على معانيها.ومن هذه الدّلالات:

١- الخالي: الذي لاهَمَّ عنده:يقول ابن سيده:"وأنتَ خَلِيٌّ من هذا الأمر، أي خالٍ فارغ.(المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ٥/ ١٧٩، مادة (خلو).
وقال الخليل:" والخَلِيُّ الذي لا هَمَّ له".(العين، ٤/ ٣٠٧، مادة (خلو).
٢- الخالُ: العَزَبُ، أو الذي لا زوج له:وعن ابن سيده:" الخَالي: العَزَبُ".المخصص٥/ ١٨٠، مادة(خلو).
فالخاليّ:قال الأصمعي:الذي لا زوجةَ له. جمهرة اللغة، ٣/ ٤٩٧٨، (باب ما يُتكلَّم به بالصفة وتلقى منه الصفة فيفضي الفعل إلى الاسم).
٣- الخالُ: الذي يُتوسَّمُ فيه الخير:يقول ابن سيده:" والخَالُ ما تَوَسَّمْتَ فيه من الخَيْرِ".(المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ٥/ ١٨٢، مادة(خول).
على أنّه من البديهي أن يعتدّ ابن سيده بسلامة رأيه بإسقاط بعض الدّلالات الإضافية للفظ الخال، أو أن لا يقدم على سوق بعض الدلالات التي اكتسبتها اللفظة بعد إنحازه المعجمي، ومنها دلالته على:
١- الخَيالُ:قال الخليل:"الخَيَالُ: كلُّ شيءٍ تَرَاهُ العَيْنُ كالظِّلّ".(العين، ٤/ ٣٠٤، مادة(خول).
قال ابن السكّيت شارحاً البيت:"والخَيَالُ: ما يراهُ من صورة إنسانٍ في نَوْمِهِ".(تهذيب إصلاح المنطق، ص٥٧٧)؛ لأنّه كما قال ابن فارس:" يَتَشَبَّه ويَتَلَوَّنُ".(معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٢٣٥، مادة(خيل). (١٢٦)
وإذا كان لنا أن نبرّر غياب " الخال" بمعنى الخيال في المخصص فإنّنا نميل إلى القول: إنّ ابن سيده رأى في لفظ" الخيال"نفسه ما يمتُّ بصلة إلى"المشترك فيدلّ كذلك على" الخَشَبَة عليها ثيابٌ سُودٌ تُنصَبُ للطَّير والبَهائم فتظنُّه إنساناً.وفي ذلك يقول الشّاعر:

أخي لاَ أُخلِي بَعْدَهُ غَيْرَ أنّني كَرَاعِي خَيَالٍ يَسْتَطِيفُ بِلاَ فِكْرِ

كما تنعتُ به أرضٌ لقبيلة تغلب، وفي ذلك يقول الشّاعر:

لِمَنْ طَلَلٌ تضمّنَهُ أُثَـالٌ فَسَرْحَةٌ فالمَرَانَةُ فالخَيَـالُ
وعِنْدَهُ كـــــــاتِيَاهُ شَاهِدَاهُ ورَبُّهُ ذُو المحَــالِ

(ينظر:الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ص ١٦٩١، مادة(خيل)وينظر: معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٢٣٥، مادة(خيل).
١-الظّنّ: أمّا الخَالُ بمعنى الظّنّ، فيبدو أنّ ابن سيده لا يرى فيه صواباً، وذلك لأنّ الظنّ قد يكون بمعنى الحُسْبَان وهو خلاف العِلْم وهو الصّكّ، في رأيه، بباب التّضاد؛ كما استعمل أيضاً لمعنى اليَقين على المجاز.(ينظر: المخصص، ١٣/ ٢٦٠).

الشّامة في الوجه.

السّحاب المُمْطِرُ.

البَرْقُ.

الثّوب النّاعِمُ

الاختيال

التكبُّرُ.

٦- السَّمَاحة:قال الخليلُ: الخالُ الرَّجُلُ السَّمْحُ. العين، ٤/ ٣٠٥، مادة(خول).

٧- مَوضعٌ أو أرضٌ لقبيلة تغلب:جاء في اللّسان:* أتَعْرِفُ أطْلالاً شَجَوْنَكَ بالخَالِ* (لسان العرب، ١١/ ٢٣٢، مادة(خيل). وأنشد الجوهري:

لِمَنْ طَلَلٌ تَضَمَّنَهُ أُثالٌ فَسَرْحَةٌ فالمَرَانَةُ فالخَيَالُ

(ينظر:الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ١٦٩١، مادة(خيل).

٨- الجَبَلُ أو البَعيرُ الضَّخْمُ:قال الشّاعر:

غثاء كثيرٌ لاَ عَزِيمَةَ فِيهِمُ ولكِنْ خِيلاتاً عليها العَمَائمُ

(ينظر: لسان العرب، ١١/ ٢٣٠، مادة(خيل).

١٠- الجَبَانُ الضَّعيف:قال ابن منظور: الخَالُ:المَنْخُوبُ(*)الضّعيفُ.قال الشّاعر:

وَلاَ أرْتَدِي إلاّ المُرُوءَةَ حُلَّةًإذا ضَنَّ بَعْضُ القَوْمِ بالعَصْبِ والخَالِ

(لسان العرب، ١١/ ٢٣٢، مادة(خيل).و المَنْخُوب: الجَبَانُ الضعيف لا خيرَ فيه. ينظر:القاموس المحيط، ١/ ١٣٥، مادة (النَّخْبَة).

١١- ظَلْـعُ الرِّجْـلِ:جـاء في لسـان العـرب: الخَـالُ: ظلـع في الرِّجْـلِ.(لسـان العـرب، ١١/ ٢٣٢، مادة(خيل).

ويبدو أنّ ابن سيده لم يرَ في الخَالِ ما يدلُّ على ظَلْعِ الرِّجْلِ فلم يُرِد لها ذكـراً في بـابي(القَـدَم) ينظـر: المخصص، ٢/ ٥٣-٥٧. و(صفات القَدَم وأعراضها) ينظر: نفسه، ٢/ ٥٧-٦١). لأنّه وجد في لفظ الظَّلْعِ نفسه ما يفي بالتدليل على:العَمْز في الرِّجْلِ مِنْ دَاءٍ فيها...، نفسه، ٢/ ٥٩، (بـاب صـفات القَدَم وأعْرَاضها) وينظر: الأمالي في لغة العرب، ١/ ١١٦) وأنشد:

مَعِي كُلُّ مُشْتَرِي الإزَارِ كأنَّهُ إذا مَشَى مِنْ أخْمَصُ(*) الرِّجْلِ ظَالِعُ

(ينظرنفسه، ٢/ ٥٧، (باب القَدَم). والأخْمَصُ: بَاطِنُ القَدَم الذي يتجافَى عـن الأرض لا يُـصيبُها إذا مَشَى الإنسانُ. ينظر: نفسه، ٢/ ٥٦-٥٧، (باب القَدَم).

ولعلّ في تعدّد المعاني واحتمالها من جهة وتحدّدها من جهة أخرىما يَعْكسُ الفارق الأساسي بين الكلمة التي في المعجم واللفظ الذي في السياق.(٢٠٣)

ومن أمثلة التعدّد والاحتمال في معاجم المعاني وكتب الموضوعات قول الأصمعي في (باب قضاء الحاجة):وطاف الإنسان يطُوفُ طَوْفاً (٢٠٤)، ويعني بها:إذ تغـوّطَ.ووافقـه ابن فارس بوجه حين قال في(باب الغائط):يُقال: طَاف الإنسان، والجى: إذا أحْدَثَ.(٢٠٥) غير أنّ كليهما لم يخشيا من تداخل دلالتها مع ما هو أسمى من ذلك، فلم ينبّها على أنّ من دلالةْ طافَ دَارَ، باعتبار الطواف حول الكعبة ركن أساسيّ من أركان الحجّ والعمرة ولا يصحّان إلاّ بها، فقولنا:طَافَ حول الكعبة وبها طَوْفاً وطَوَافاً وطَوَفَاناً.(٢٠٦)

ومن أمثلة التعدّد والاحتمال في المعنى ما ذكرة ابن فارس في(باب الثّدْي) و(باب ذِكْر الأيدي والأَرْجُل)من كتاب الفَرْق، وذلك نحو قوله في الأوّل: ويُقَالُ للضَرْعِ الذي لا يخْلُو من اللّبَن: الضَرَّةُ.(٢٠٧) وفي الثاني: ومن الخِنْصَرِ: الضَرَّةُ.(٢٠٨) فمعنى الضَرَّة في المثال الأوّل ذلكْ أصْلُ الضَرْعِ الذي لا يخلو بعد الحَلْبِ.(٢٠٩) أمّا في المثال الثاني فتعني: تلك اللحمة من الخِنْصَر إلى الكُرْسوُعِ(*) (٢١٠)

ومن أمثلة التعدّد والاحتمال ما جاء في المخصص، في (تحْلِية ماكان منه شَجَراً)من(باب أشجار الجِبَال): الحَلَمَةُ: شَجَرَةٌ ترتَفِعُ دونَ الذّرَاع لها وَرَقَةٌ غَلِيظَةٌ وأفْنَانٌ كثيرةٌ وزهرة مثل زَهْرة شقائق النُعْمَانِ، إلاّ أنّها أكْبَرُ وأغْلَظُ، وهي كثيرةُ البَراعِمِ كأنّ

---

(203) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٣٥.

203) (204) الفَرْق للأصمعي، ص ٧٩.

(205) الفَرْق لابن فارس، ص ٦٨.

(206) تهذيب إصلاح المنطق، ص٥٧٧ والقاموس المحيط، ٣/ ١٧٥، مادة (طَافَ).

(207) الفَرْق لابن فارس، ص ٥٩.

(208) نفسه، ص ٦٠.

(209) الفَرْق لثابت بن أبي ثابت، ص٢٧.

(*) الكُرْسُوع: النُشِزُ عن يُمْنَة الزّنْد، أي رأس الزند الذي يلي الخنصر. الفَرْق لابن فارس، ص ٦٠.

(210) ينظر: خلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت، ص ٢٢٦.

بَرَاعِيمَها حَلَمُ الضُّرُوعِ.وقيل الحَلَمةُ: نَبْتٌ من العُشْب فيه غَبْرَةٌ له مسٌّ أَخْشَنُ أَحْمَرُ الثَّمَرَة.[211]

وجاء في (باب الصَّدْروما احتزم عليه)من كتاب خلق الإنسان من المخصص:ثابت: وفي الثَّدْيِ حَلَمته.فأمّا حَلَمَته:فما نشَزَ منه وطَالَ، ويُقال لها:قُرَادُ الصَّدْر.[212]

وجاء منه في (باب الثَّدْي)من كتاب الفَرْق لثابت:اُلحَلَمَةُ: الهُنَيَّةُ الشَّاخِصَةُ من ثَدْيِ المرْأَة، ويُقالُ لها:القُرَدُ أيضاً.[213] ومثّل لها الأصمعي قبل ذلك في (باب ثمّ الثَّدْي) من فَرْقه فقال: الحلمةُ: الهَنَيَّةُ الشَّاخِصَةُ من ثَدْيِ المرْأَة والرَّجُل.[214]وتابعه ابن فارس بقوله:اُلحَلَمِةُ: ما شَخَص عن السُّعْدانَة (*)وحَلَمَةُ ثَدْيِ المَرْأة: القُرَادُ.[215]

والقُرَادُ نفسه متعدّد الدلالة. فمن معانيه في أصل الوضع: دُوَيْبَّةٌ، جمعها: قِرْدَانٌ[216]؛لأنّه في نظر أبي عبيد أوّل ما يكن صغيراً لا يكادُ يُرى من صِغَره يقال له: قَمْقَامَةٌ ثمّ يصيرُ حَمْنَانَةً والجمع حَمَنَانٌ ثمّ يصيرُ قُرَاداً ثمّ يصيرُ حَلَمَةً والجمع: حَلَمٌ...والحَلَمَةُ: دُودَةٌ تأكُلُ الجُلُود.[217]

---

(211) المخصص، ١١/ ١٥٤ وينظر: القاموس المحيط، ٤/ ١٠١، مادة(الحُلْم) والعين، ١/ ٣٢٣، مادة (سعد).

(212) المخصص، ٢/ ٢٢

(213) الفَرْق لثابت بن أبي ثابت، ص ٢٧.

(214) الفرْق للأصمعي، ص ٦٨.

(*) السُّعْدانَةُ:ما أحَاط بالثّدْي أو بحَلَمَته مّا خالَف لون الثَّدْي أو اسودّ حول الحَلَمَة. الفرق لقطرب، ص٥١ والفَرْق للأصمعي، ص ٦٨ والفرْق لثابت، ص ٢٧ والفرق لابن فارس، ص ٥٨ والمخصص، ٢/ ٢٢.

(215) الفَرْق لابن فارس، ص ٥٨.

(216) القاموس المحيط، ١/ ٣٣٩، مادة(القَرَدُ).

(217) المخصص، ٨/ ١٢٢-١٢٣.

ومن أمثلة التعدّد والاحتمال ما جاء في (باب الأصابع وما فيها) من المخصص، قول ابن سيده تعقيباً على قول ثابت من انّ: ألخَلَلُ والخَصَاصُ:الفَرَجُ التي بين الأَصَابِعِ، واحدتها:خَصَاصَةٌ، "(218)وهوقوله:"وكذلك من الأثافي(*)."(218)

على أنّ ما جاء في (باب فَعَلْتُ أفْعَلْتُ باختلاف المعنى) قوله ابن سيده: " بَسَّ السَّويقَ والدَّقيق: خَلَطَهُ بِسَمْنٍ أو زَيْتٍ، وبَسَسْتُ الخُبْزَ: جَفَفْتُهُ، وبَسَسْتُ لإبلَ: سُقْتُها."(219)

وجاء في قسم ما سمّاه ابن سيده:(ومّما هو في طريق الضدّ) الذي وضعه في مقابل قسم غالب تتوفّرُ في شواهده معاني الضِّدّية التي مثّل لها بإسهابٍ في (كتاب الأضداد)(220)"سَنَحَ عليه الشّيءُ يسْنَحُ سُنُوحاً: سَهُلَ، وسَنَحْتُ بالرَّجُل: إذا أحْرَجْتَهُ."(221)

وفي هذا المثال وغيره ممّا تقدّمه ما يشير إلى معنى قول ابن الأنباري: " ويجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التي تقعُ على المعاني المختلفة، وإن لم تكن متَضَادَةً، فلا يُعْرَفُ المعنى المقصود منها إلاّ بما تقدّم من حروفٍ ويتأخّرُ بعدَهُ ممّا يوضّحُ تأويلَهُ، كقولك:حَمَلٌ: للولَد من الضّأن، وحَمَلٌ:اسم رَجُلٍ لا يُعْرَفُ أحَدُ المعْنَيَيْن إلاّ بما وصَفْنا."(222)

ومع أنّنا نقر ُممّا سقناها من شواهد بأنّ المعنى المعجمي ليس كلّ شيءٍ في إدراك معنى الكلام، وذلك كشخصية المخاطب، وما بينها من علاقات، وما يحيط بالكلام من

(218) االمخصص، ٢/ ٨.

(*) الأثافي: جمع أثفية، وهي الحِجَارَةُ التي تُنْصَبُ عليها القِدْرُ. معجم مقاييس اللغة، ١/ ٥٧، مادة(أثف).

(218) نفسه، ٢/ ٨.

(219) المخصص، ١٥/ ٣.

(220) ينظر:نفسه، ١٣/ ٢٥٨-٢٦٦.

(221) نفسه، ١٣/ ٢٦٦.

(222) الأضداد لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦٠م ص٣- ٤.

ملابسات، وظروفٍ ذات صِلَة به، كالجوّ مثلاً، أو الحالة السياسية، وغيرها [٢٢٣]، فإنّنا نقرُّ في الوقت نفسه بأنّ المسألة في جوهر أمرها تعود إلى منهج المعجم نفسه، فهو يتعامل مع الكلمات المكتوبة، لا المنطوقة.لذا فهو يتعاطى مع الكلمة ضمن حدود مرسومة لا يتجاوزها، بقصد تحديد دلالتها، أو تفسير معناها، أو بيان مؤدّاها. وهذا الدّور من أهمّ جوانب العمل اللغوي عموماً، إذ الدلالة هي جوهر الظاهرة اللغوية، وبدونها لا يَتأتّى للألفاظ والتراكيب وظيفة وفاعلية؛[٢٢٤] الأمر الذي يجعل من عموم المعنى وتعدّده واحتماله في المعجم العربي عنصراً إيجابياً قد وصَل به إلى غايته المنشودة دون لُبْسٍ يُذكر، لا كما ذهب إليه أحد الدّارسين المحدثين.[٢٢٥]

(223) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص ٢٦٣.

(224) المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، ص٣٢٥

(225) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٣٣١.

الفصل الثاني

مظاهر التطور الدلالي

تعدّ دراسة التطوّر الدلالي المحور الرئيس لعلم الدلالة الحديث الّذي تركّزت جهود الباحثين فيه على جوانب التغيّرات المتعاقبة التي تحدّد المعنى، أو ما يدعى بعلم الدلالة التاريخي(SémantiqueHistorique) الذي يتوّج أبحاث التطور ويستكشف خصائص لغة أو لغات في حقبة تاريخية معينة. فقد كان من أهمّ ما شغل علماء اللغة موضوع تغيّر المعنى، وصُوَر هذا التغيّر وأسباب حدوثه، والعوامل التي تتدخّل في حياة الألفاظ أو موتها.[1]

والتطوّر الدلالي (Développement Sémantique)الذي يماثل في نظر بعض المحدثين وفي نظرنا تغيّر المعنى (Changements des sens)جزء من التطوّر اللغوي الذي يشمل قطاعات اللغة الرئيسة، وهي الأصوات والصّرف والنّحو والمفردات.كما أنّ مبدأ الانتقال من طورإلى طور أو التغيّر مطلقاً أصبح نظرية أساسية من نظريات العلوم، وإن كان منشؤه علم الطبيعة ؛ وذلك لأنّ المعارف في القرن الماضي تأثرت أيما تأثر بعلم الحياة (البيولوجيا)، فظهر نتيجة لذلك تعبيرْحياة الألفاظْ إذ شبّه علماء اللغة الكلمات بالأحياء وجعلوا لها مولداً وحياة وموتاً، وإن كان الشّبه بينهما ظاهريٌّ فقط ؛ لأنّ الكلمات لا تولد وتموت على الصورة التي بها يولد الإنسان ويموت، ممّا يدلّل على إسراف بعض الباحثين في وصف اللغة بأنّها كائنٌ حيٌّ خاضعٌ لناموس الارتقاء، ومن ذلك كتاب اللغويْدرمستترْ(Darmesteter) الذي عنونه بحياة الألفاظ (La vie des mots).[2] وعلى الرغم من تشعّب هذا البحث وما يتطلّبه من استقصاء [3]، فإننا

(1) علم الدلالة لأحمد مختار عمر، ص ٢٣٥، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص ٢٦٢ وينظر:Dictionnaire de linguistique,Larousse,Paris,1973,p.432

(2) ينظر: فقه اللغة لمحمد المبارك، ص ٢٠٦و اللغة، ص ٢٤٧ والتطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه لرمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط١، ١٤٠٤هـ-

سنركّز، نظراً لطبيعة بحثنا على جوانب رئيسة من جوانب التطوّر الدلالي هي أهمّ مظاهر التطوّر الدلالي: تخصيصاً وتعميماً أو اتّساعاً أو انتقالاً [٤]، مدلّلين على ما كان منها طرَفاً بين لغويي العرب القدماء والمحدثين بوجه عامّ وما وقَر منها في المخصص لابن سيده بوجه خاصّ.

١)-تعميم الدلالة:

أي تعميم الخاص ويتمّ ذلك بتوسيع معنى اللفظ ومفهومه، أو نقله من معنى الخاصّ الدّالّ عليه إلى معنى أعمّ وأشمَل؛ [٥] بحيثُ تُستعمل الكلمة الدّالّة على فرْدٍ أو على أفراد الجنس أو أنواعه للدّلالة على أفراد كثيرين أو على الجنس كلّهْ.[٦] وقد ذكر ابن دريد وأبو نصر الفارابي وابن فارس والثعالبي والسيوطي تعاريف متنوعة لهذه الظاهرة وأوردوا لها أمثلة متعدّدة.

جاء في (باب الاستعارات) من الجمهرة أنّ أصل(النُّجعة): طَلَب الغَيْث، ثمّ كثُر فصار كلّ طَلَبٍ انتجَاعاً.والأصلُ في (المَنِيحَة):أنْ يُعْطى الرَّجُل النّاقةأو الشّاة فيشرب

١٩٨٣م، ص ١١٤وعلم اللغة العام لتوفيق محمد شاهين، ص ١٦١ومصنفات اللحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري، ص ٢٩٥-٢٩٦.

(3) ينظر تفصيل أكثر في: دلالة الألفاظ ص ١٢٢-١٦٧ وعلم اللغة، ص٢٨٧-٣٠١ واللغة، ص ٢٤٧-٢٦٨ ودور الكلمة في اللغة لستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١٢، القاهرة، دت، ص ١٧٧-١٨٧والتطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص ١١١-١١٩ وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص ٢٨٠-٢٩٠و ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة لعبد العزيز مطر، دار المعارف، ط٢، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ص ٣٦٤-٣٧٥والتطور اللغوي التاريخي، ص ٢٧-٢٩

(4) التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، ص١١٤.

(5) فقه اللغة وخصائص العربية، ص٢١٨ وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة لعاطف مدكور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٨٩.

(6) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة لعبد العزيز مطر، دار المعارف، ط٢، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ص ٣٧٥والتطور اللغوي لرمضان عبد التواب، ص ١١٧.

لبنها ويجتزّ وَبَرها وصُوفها، ثمّ صارت كلّ عطية منيحة.و(الغَيْث): المطَر، ثمّ صار ما نَبَتَ بالغيث غيْثاً. و(السّماء) المعروفة:ثمّ كثُر ذلك حتى سمّي المطَرُ سمَاءً.وتقول العرب: ما زلنا نَطأُ السّماء حتى أتيْناكم، أي مواقع الغيث. و(النّدى): النّدى المعروف، ثمّ كثر حتى صار العُشْب نَدى.و(الورْدُ)، وهو في الأصل:إتيانُ الماء، ثمّ صار إتيانُ كلّ شيءٍ ورْداً.(٧) .وهو ما أورده السيوطي وزاد عليه في فصل (فيما وُضع في الأصل خاصّاً ثمّ استعمل عامّاً).(٨)

وقد كان للفارابي فضل تعريف هذه الظاهرة، فقال:"والاسم الذي يُقال بعموم وخصوص هو أن يكون اسماً لجنس تحته أنواع، ويكون ذلك الاسم بعينه لقباً لبعض أنواع ذلك الجنس، بما هو ذلك النّوع.فلذلك الاسم يُقال على ذلك النّوع من جهتين مختلفتين: إحداهما على العموم من حيث يشارك به سائر الأنواع القسيمة له، إذا كان اسم الجنس يُقال على جميع أنواعه.والثانية بخصوص، وذلك إذا استعمل لقباً له، دالاً على ذاته من حيث هو ذلك النّوع."(٩)

أمّا ابن فارس، فكانت له وقفة تطبيقية مع هذه الظاهرة ضمن بابي(العموم والخصوص)و(القول في أصول أسماءٍ قِيسَ عليها وأُلحِقَ بها غيرُها).فقد ذكر في الباب الأوّل أنّ العامُّ:هو الذي يأتي على الجملة لا يُغادر منها شيئاً.(١٠) وذلك كقوله جلّ ثناؤه:﴿خَلَقَ كلَّ دابّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾(١١) وقوله:﴿خَالِقُ كلِّ شيءٍ﴾.(١٢) وجاء في الباب الثاني

---

(7) جهرة اللغة، ٣/ ٤٣٢-٤٣٣.

(8) المزهر، ١/ ٤٢٩-٤٣٠.

(9) العبارة(وهو كتاب في المنطق) لأبي نصر الفارابي، تحقيق محمد سليم سالم، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٦م، ص ٢٢.

(10) الصاحبي في فقه اللغة، ص ٢١٤.

(11) من الآية ٤٥ من سورة النور

(12) من الآية ١٠٢من سورة الأنعام.و جعله الرّمّاني مثالاً للمبالغة بالصيغة العامّة في موضع الخاصّة من قبيل قول القائل، مع قياس في الفرق:"أتاني النّاسُ، ولعلّه لا يكون أتاه إلاّ خمسة فاستكثرهم وبالغ في العبارة عنهم". ينظر: النُّكتُ في إعجاز القرآن، ص ١٠٤.

قوله: كان الأصمعي يقول: أصل (الوِرْد): إتْيانُ المَاءِ ثمّ صار إتْيانُ كلِّ شيءٍ وِرْداً.و(القَرَبُ): طلَبُ الماء، ثمّ صار يُقال ذلك لكُلِّ طلَبٍ، فيُقال:(هو يَقْرَبُ كذا) أي يطلُبُه، و(لاَ تَقْرَب كذا).ويقولون:(رَفَعَ عَقِيرَتَهُ)أي صوتَهُ، وأصْلُ ذلك أنّ رَجُلاً عُقِرَتْ رِجْلُهُ فرَفَعَها وجعَلَ يَصيحُ بِأعلى صوته، فقيل بعد ذلك لكلّ من رَفَعَ صوتَه:رَفَعَ عَقِيرَتَه.ويقولون:(بينَهُما مسَافَةٌ)، وأصله من(السَّوْفِ)، وهو الشَّمُّ.ومثل ذلك كثير.[13]

ونحوذلك ما ذكره ابن مكّي الصَّقِلّيّ (ت٥٠١هـ) في(باب ما يجري في ألفاظ النّاس ولا يعرفون تأويله) من أنّ الأصمعي وغيره قال في تأويل قولهم: للّه دَرُّكَ أنّ أصل ذلك أنّه حُمِدَ فِعْلُ الرّجُل وما يجيءُ به، فقيل له: للّه دَرُّكَ أي ما يجيءُ منك بمَنْزِلَةِ دَرِّ النّاقة والشّاة، ثمّ كثُر في كلامهم حتى جعلوه لكلّ ما يَتَعَجَّبُ منه.[14] وتناول الثعالبي الظاهرة في فصل(العموم بعد الاختصاص) ومثّل لها بقوله عزّ وجلّ:﴿ولَقَدْ آتَيْنَاكَ سبْعاً من المَثَانِي والقُرْآنِ العَظِيم﴾[15] فخصّ الله تعالى السَّبْعَ ثمّ أتى بالقُرآن العامّ بعد ذِكْرِهِ إيّاها.[16]مثل هذا في اللغات الأوروبية (Arrive) الإنجليزيةو(Arriver) الفرنسية واللتان كانتا تعنيان في اللاتينية الورود أو الوصول إلى الشاطئ (Adripare)، وأصبحتا الآن لمجرّد الوصول، وكلمة(virtue)التي تعني الآن(الفضيلة) كانت في الأصل اللاتيني مقصورة على صفة الرّجولة.وكلمة(Panier) وأصل معناهاسلّة الخُبْزْ، لأنها من(Pain)وهو الخُبْزْ، ثمّ غدا معناها (السلّة) مطلقاً.[17] كما أنّ هناك اتساعاً عند الخروج من معنى

---

(13) الصاحبي في فقه اللغة، ص٩٦-٩٧.

(14) تثقيف اللّسان وتلقيح الجَنان لأبي حفص عمر بن خَلَف بن مكّي الصّقلّيّ، قدّم له وقابل مخطوطاته وضبطه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص ٢٣٣-٢٣٤.وجاء في مجمع الأمثال للّه دَرُّهُ: أي خيرهُ وعطَاؤه وما يُؤخذُ منه، وهذا هو الأصل، ثمّ يقالُ لكلّ متعجّب منه.مجمع الأمثال، ٢/ ١٩١.

(15) الآية ٨٧ من سورة الحجر.

(16) فقه اللغة وسر العربية، ص ٣٤٥-٣٤٦.

(17)ينظر: دور الكلمة في اللغة، ص ١٩٠ ودلالة الألفاظ ص ١٥٥-١٥٦وفقه اللغة وخصائص العربية، ٢١٨ وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة، ص ٢٨٩.

خاص إلى معنى عام مثل:(Boucher)الدّالّة على جزّار تيس الماعز ليشمل معناه بعد ذلك (Marchand de viande en général) أي بائع اللّحم بوجه عام.[١٨]

وقد ذكر ابن مكّي الصّقلّيّ أنّ عامّة الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين كانوا يستعملون كلمة "الهوى" في الخير والشرّ، مع أنّها لا تستعمل إلاّ في الشرّ ويحتجّ أكثر أهل العلم [١٩]بقوله تعالى: ﴿وأمّا من خافَ مَقَام رَبّه ونهى النّفسَ عن الهَوى﴾.[٢٠] والنّهْش:الأخذباليد(أو بالأضراس).وهذا أجود الأقوال.والنّهس بالفَم(التناول بأطراف الأسنان). والعامّة تجعل الكلّ نهشاً.[٢١]

وقد اعتمد الأصمعي وبعده ثابت بن أبي ثابت على ظاهرة التعميم في الدلالة، وتجلّى ذلك مثلاً في قولهما في باب(الفم): يقال: فَمُ الإنسان.وقد يجوزُ الفَمُ في كلّ شيءٍ من الطّير وغير ذلك.قال حميد بن ثَوْر يصفُ حمامةً: [٢٢]

عَجِبْتُ لها أنّى يكنُ غِناؤُها فَصيحاً ولَمْ تَفْغَر(*) بِمَنْطِقِها فَمَا !

فجعل للحمامة فَماً.

قال رؤبة يصف الحوت:[٢٣]

كالحُوتِ لا يرويهِ شيءٌ يَلْهَمُهُ يُصْبِحُ ظَمْآنَ وفي البَحْرِ فَمُهُ

فجعلا للحمامة والحوت فَماً.وهذا يدلّ على ما أجازه يونس بن حبيب (ت١٨٢هـ)من أنّ الفم لكلّ شيءٍ[٢٤]

---

(18) Christian Bylon-Xavier Mignot. Sémantique du Langage-Initiation-editions Nathan,Paris,1995,p215.

(19) تثقيف اللّسان وتلقيح الجَنان ص١٧٦-١٧٧.

(20) الآية ٤٠ من سورة النّازعات.

(21) تثقيف اللّسان وتلقيح الجَنان، ص ٢٦٦والقاموس المحيط، ٢/٣٠٣، مادة(نهَشَه).

(22) ديوان حميد بن ثور، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٥١م.

(*) قوله: تَفْغَر: أي تفتَح. الفرق لثابت بن أبي ثابت، ص ١٨. وهي في رواية قطرب (ولَمْ تَفْتَح).الفرق، ص ٤٣.

(23) ديوانه، ص ١٥٩.

ومثل ذلك قول ابن سيده فيما رواه عن أبي عليّ الفارسي في باب(الطّوال من النّاس): ويُستعمَلُ السّلْبُ في غير الإنسان وأنشد:

ومَنْ رَبطَ الجِحَاشَ فإنْ فينَا قَناً سَلِباً وأفْراساً حِسَانا

وأصلُ ذلك في الإنسان.[٢٥]

أمّا ما جاء من أمثلة التعميم في المخصص، فنمثّل له بما أورده ابن سيده في (باب الرّضاع والفطام والغذاء وسائر ضروب التربية)من كتاب خلق الإنسان من أنّ السُرْعُوف في عُرف أبي علي(القالي):هو النّاعم الريّانُ، وامرأةٌ سُرْعُوفةٌ: ناعمةٌ طويلةٌ.قال:كلّ نَامٍ سُرْعُوفٍ والسُرْعُفة النّماءُ.[٢٦] ومن أمثلته كذلك قول ابن سيده في باب(العَوْم في الماء والطّفْو والغطّ) قول صاحب العين:ذَرَع الرّجُلُ في سباحته: اتّسَعَ، وكلُّ ما اتّسَعَ فقد تَذَرَّعَ، وذرَّعَ بيديه: حرّكَهما واستعانَ بهما في سباحته أو غيرها.[٢٧]

وورد في باب(العيون) من المخصص قول ابن سيده:أبو عبيد:القَصَبُ: مجَاري الماء من العيون واحدته قَصَبَةٌ. أبو حنيفة (الدينوري كلُّ مَخْرَج ماءٍ قَصَبَةٌ.[٢٨]

وقد رأى ابن سيده أنّ (البَأس) تطلق على الحرب، وذلك فيما رواه عن أبي عبيد[٢٩] أوهي الشدّة في الحرب وبالقتال[٣٠]؛

ثمّ صار يطلق على كلّ شدّة.[٣١] غير أنّ تعميم الدلالات، وإن كان أقلّ شيوعاً في اللغات من تخصيصها وأقلّ أثراً في تطور الدلالات وتغيّرها[٣٢]، لا ينفي والحال هذه أن

---

(24) الفرق للأصمعي، ص ٥٥-٥٦والفرق لثابت بن أبي ثابت، ص ١٨والفرق لقطرب، ص٤٣، (باب الشّفة).

(25) المخصص، ١/ ٦٥.

(26) نفسه، ١/ ٢٧ وينظر: لسان العرب، ٩/ ١٥١، مادة(سرعف).

(27) المخصص، ٩/ ١٥٧وينظر: العين، ٢/ ٩٧، مادة(ذرع).

(28) المخصص، ١٠/ ٣٣.

(29) نفسه، ٦/ ٨٤.

(30) معجم مقاييس اللغة، ١/ ٣٢٨ والقاموس المحيط، ٢/ ٢٠٦، مادة (الباس) وتأويل مشكل القرآن، ص٥٠٥.

تكون كتب اللغة ومعاجمها قد احتفظت لنا بألفاظ أطلقت في الأصل على معانٍ خاصّة، ثمّ استعملت في معانٍ عامّة من الجنس نفسه، فتوسّعت دائرة دلالتها، وتعارفَ عليها النّاس، وانتشر استعمالُها الجديد بقدر ما تناسوا الاستعمال الأوّل وابتعدوا عنه.(٣٣)

٢-تخصيص الدلالة:

أي تخصيص العام أو تخصيص مجال الدّلالة وتحويلها من المعنى الكلّي إلى المعنى الجزئي، ويسمّى أيضاً بتقليص الدلالة.والتخصيص يعني قصرُ المعنى العامّ على بعض أفراده وتضييق شموله، (٣٤)وذلك أنّ مدلول الكلمة يتغيّر تبعاً للحالة التي يكثر فيها استخدامها.فكثرة استخدام اللفظ العامّ في بعض ما يدلّ عليه يزيل مع تقادم العهد عموم معناه، ويقصُر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله فيكسب دلالته المركزية ظلالاً جديدةً تؤدّي إلى تخصيص معناها في أغلب الأحيان.(٣٥)

على أنّ إدراك الدلالة الخاصّة أيسر من إدراك الدلالة الكليّة التي يقلُّ التعاملُ بها في الحياة العامّة وبين جمهور النّاس. فالفلاسفة وأصحاب العقول الكبيرة هم وحدهم المشغوفون بتلك الألفاظ الكلّيةفي تفكيرهم وتأمّلاتهم.والنّاسُ في حياتهم العامّة ينفرون عادةً من تلك الكلّيات التي لا وجود لها إلاّ في الأذهان، ويؤثرون الدلالات الخاصّةالتي تعيش معهم، فيرونها ويسمعونها ويلمسونها.ولذا يسهل عليهم تداولها والتعامل بها في حياةٍ أكثرُ ما فيها ملموسٌ محسوسٌ.وهم لقصورٍ في الذِهن أحياناً، أوبسبب الكسل والتماس أيسر السُّبل حيناً آخر، يعمدون إلى بعضِ تلك الدّلالات العامّة ويستعملونها استعمالاً خاصّاً، فيقدّر لمثل هذه الاستعمالات في الدّلالة أن تشيع وتنتشر بين جمهور

---

(31) دلالة الألفاظ ص ١٥٥وينظر: المزهر، ١/ ٤٣١.

(32) دلالة الألفاظ ص ١٥٤.

(33) بعض مظاهر علم الدلالة العربي من خلال ديوان حسّان بن ثابت لعمر صبور، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة، بإشراف الدكتور عاطف عبد الهادي علاّم، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ١٩٩٠م.

(34) فقه اللغة وخصائص العربية، ص٢١٩ وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة، ٢٨٨.

(35) دلالة الألفاظ ص ١٠٧وعوامل التطور اللغوي، ص ١٣٥.

النّاس؛فتتطوّر بذلك دلالات الألفاظ من العموم إلى الخصوص، ويضيق مجالها، وتقتصر على ناحية منها. وذلك هو العَرَضُ الذي نسمّيه بـ تخصيص الدّلالة، وهو الذي يصيبُ كثيراً من ألفاظ اللغات في العالم.[٣٦]

وأمثلة هذا النوع من التطور الدلالي في اللهجات العربية كثيرة منها:تخصيص كلمة الطّهارة لمعنى الخِتَان في أذهان النّاس، وتخصيص كلمةالحَرِيم للدلالة على النّساء بعد أن كانت تطلق على حمى محرم، أو الذي حُرّم مَسُّه أولمسُهُ فلا يُدْنَى منه.[٣٧]

ومن الأمثلة التي جاءت في كتاب تثقيف اللسان وتلقيح الجنان من هذا النّوع: قصرُ العامّة الإِسْكاف أو الأَسْكَفّ أو الأُسْكُوفّ على الخَرّاز مع أنّه في لغة العرب لفظ شامل لكلّ صانِع.[٣٨]كما أنهم يعمدون إلى قصر السُّوقَة على أهل الأسواق خاصةً، وإنّما السُّوقة في حقيقة الأمر لكلّ منكان ذا سلطان، أي دون عِليَة القوم.[٣٩]ومثل هذا الضربٌ من التضييق يكون عند الخروج من معنى عام إلى معنى خاص مثل (Traire) التي دلّت في الأصل علىالجَلْب عامّة Tirer، ثمّ خصّصت دلالتها فيالحَلْب أي جلب الحليب من ضرع الحيوان.وكذلك (Viande) التي كان تطلق قديماً علىالمواد الغذائية Vivres ,toute espèce de nouritures، ثم صارت تطلق على(لحم الحيوانات المعدّة للنّحر) Chair des animaux de boucherie.[٤٠]

---

(36) دلالة الألفاظ ص ١٥٣-١٥٤.

(37) التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، ص ١١٦و معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٤٦، مادة(حرم).

(38) تثقيف اللّسان وتلقيح الجِنان، ص ١٧٣ والمخصص، ، ١٧/ ٣ وفائت الفصيح لأبي عمر بن عبد الرحمن الباوردي المطرّز الزاهد غلام ثعلب، تحقيق ودراسة محمد عبد القادر أحمد، مطبعة السّعادة، ط٢، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م، ص ٥٨وينظر: جمهرة اللغة، ٣/ ٣٧٨، (باب ما جاء على أُفْعُول).

(39) تثقيف اللّسان وتلقيح الجِنان، ص ١٧٥.

(40) Christian Bylon-Xavier Mignot. Sémantique du Langage-Initiation-,p215.

على أنّ معظم المصطلحات الفقهية الإسلامية في العبادات وغيرها كالكُفْر والمؤمن والسّعي ونحوها محوّل من معانٍ لغوية عامّة إلى معانٍ اصطلاحية خاصة عن طريق القصد والتعمّد.(41)

فلفظ(الكُفْر)كان يدلُّ أوّل الأمر على السّتر والتّغطيّة مطلقاً، وأصبح يطلق على ضدّ الإيمان.(42)ولفظ(المؤمِن)من الإيمان الذي من معانيه:التصديق.وعلى هذا، فالمُؤمِن:هو المُصدِّقُ(43)،ثمّ ضاق مجال استعماله، فأصبح يطلقُ على مَنْ آمَنَ بالله تعالى ورسوله ورسالة الإسلام التي جاء بها، من غير ارتياب.(44)

وأصل لفظ(السّعي):الإسراع في المشي، وهو العَدْو أيضاً، ثمّ خصّصت دلالته في العمل والتكليف.(45)كقوله تعالى:﴿فَأُولَئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾.(46)

وقد تُنُووِلَت هذه الظاهرة في الدراسات الدلالية القديمة بما يكفل تعريفها والتمثيل لها.

---

(41) اللغة العربية معناها ومبناها، ص٣٢٢ وينظر:التطور اللغوي التاريخي، ص٤٩-٥٠.ومن أمثلة تلك القصدية التي وجدها ابن السيّد البطليوسي على تأخره، فيما موضوعه في اللغة على العموم ثمّ تخصّه الشّريعة كالمُتْعَة فإنّها عند العرب: اسمٌ لكلّ شيءٍ استُمْتِع به لا يُخصّ به شيءٌ دون آخر، ثمّ نُقلَت عن ذلك واستعملت في الشّريعة على ضربين: أحدهما: في المتعة التي كانت مُباحةً في أوّل الإسلام ثمّ نُهِيَ عنها ونُسِخَتْ بالنّكاح والوليّ.والثاني: ما تُمَتّعُ به المرأةُ من مَهرها، كقوله تعالى: ﴿ ومَتّعُوهُنّ على المُوسِعِ قَدَرُهُ وعلى المُقتِر قَدَرُه﴾ (من الآية ٢٣٦ من سورة البقرة) الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم، ص ١٥٢.

(42) معجم مقاييس اللغة، ٥/ ١٩١، مادة(كفر) وينظر:القاموس المحيط، ٢/ ١٣٢-١٣٣، مادة (الكُفْر).

(43) تأويل مشكل القرآن، ص٤٨١ ومعجم مقاييس اللغة، ١/ ١٣٥، مادة(أمن) وأساس البلاغة، ص٢٢، مادة (أمن)والمخصص، ١٣/ ٨٣).

(44) لسان العرب، ١٣/ ٢٣، مادة(أمن). وتأويل مشكل القرآن، ص ٤٨١.

(45) تأويل مشكل القرآن، ص ٥٠٩) والقاموس المحيط، ٤/ ٣٤٤-٣٤٥، مادة(سَعَى).

(46) الآية ١٩ من سورة الإسراء.

فقد ذكر ابن دريد في باب(الاستعارات) أنّ رثّ كلّ شيءٍ: خسيسُه، وأكثرُ ما تستعمله العربُ فيما يُلبسُ أو يُفتَرَشُ.[٤٧] والطُّمّةُ: القطعة من اليبيس. ويُقال: بأرض فلانٍ طُمّةٌ من الكَلأ. وأكثرُ ما يُوصَفُ بذلك اليَبيسُ، وكلُّ شيءٍ تجاوَزَ القَدْرَ فقد طَمَّ وهو طامٌّ.[٤٨]

وذكر المبرّد أنّ أكثر أهل اللغة على أنّ العِهْن: الصّوف الملوّنُ. أمّا الأصمعي، فقال: كلُّ صُوفٍ عِهْنٌ.[٤٩]

ويقول الفارابي بشأن التخصيص:"والاسم الذي يُقالُ بتواطُؤ، هو الاسم الواحد الذي يُقال من أوّل ما وُضِع على أشياء كثيرة ويدلّ على معنى واحد يعمّها، أو يُقال على أمور كثيرة، وحدُّ كلِّ منها، المساوية دلالته لدلالة ذلك الاسم، هو بعينه حدّ الآخر."[٥٠]

وهو ما عبّر عنه بـ (العامُّ المخصوص) أي ما وضِع في الأصل عامّاً، ثمّ خصّ في الاستعمال ببعض أفراده.وقد رأى له مثالاً غايةً في الحُسْن، وهو لفظ (السّبْت) فإنّه في اللغة الدّهر، ثمّ خُصّ في الاستعمال لغةً بأحَد أيّام الأسبوع. وإنّما سمّي سَبْتاً، لانقطاع الأيّام عنده، وهو فردٌ من أفراد الدّهر.[٥١]

ويبدو أنّ ابن سيده قد وجد في الألفاظ الإسلامية ما يمثّل هذا المنحى.جاء في (باب الصّلاة) من المخصص:قال أبو علي الفارسي: الصّلاة في اللغة الدُّعاء فكأنّ معنى قوله جلّ وعزّ:﴿وصَلِّ عليهم إنّ صلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [٥٢] ادْعُ لهم فإنّ دُعَاءَكَ لَهُمْ تَسْكُنُ إليه النّفْسُ وتَطيبُ بِهِ. أمّا قوله:﴿وأَقِيمُوا الصّلاةَ وآتُوا الزّكَاةَ﴾[٥٣] وكأنّ المفروضَ والمتَنَفَّلَ

---

(47) جمهرة اللغة ١/ ٤٥، مادة (رثّ) والمزهر١/ ٤٢٧.

(48) جمهرة اللغة، ١/ ١٠٩، مادة(طَمّ) والمزهر١/ ٤٢٧-٤٢٨.

(49) الكامل في اللغة والأدب، ٢/ ٩٢ والمزهر١/ ٤٢٨.

(50) العبارة ص ٢٠.

(51) المزهر، ١/ ٤٢٧ وتهذيب إصلاح المنطق، ص ٤٢.

(52) من الآية ١٠٣ من سورة التوبة.

(53) من الآية ٥٦ من سورة النور.

بها سمّيت صلاةً لَمَا فيها من الدُّعاء إلاّ أنّه اسمٌ شَرْعِيٌّ فلا يكونُ الدُّعاء على الانفراد حتّى تنضمَّ إليها خِلاَلٌ أُخَرُ جاء بها الشَّرْعُ.[54] فلفظ(الصّلاة) كان يدلّ في الأصل على الدعاء مطلقاً، ثمّ صار في الإسلام يطلق على العبادة التي جاء بها الشّرع[*] من الرُّكوع والسُّجود وسائر

حدود الصّلاة لما تشتمل عليه من مظاهر الدعاء.[55]

---

(54) ينظر: المخصص، ١٣/ ٨٥ ولسان العرب، ١٤/ ٤٦٤، ٤٧٤، مادة(صلا).

(*) جعل أبو إسحاق بن يوسف الشيرازي 'الشرع' أحد الوجوه التي تؤخذ بها الأسماء واللغات، بالإضافة إلى ' اللغة' و' العُرف' و' والقياس' فقال ضمن (باب بيان الوجوه التي تؤخذ منها الأسماء واللغات): ' وأمّا الشرعُ، فهو ما غلب الشّرعُ فيه على ما وُضع له اللفظ في اللغة بحيث إذا أطلق لم يفهم منه إلاّ ما غلب عليه الشّرع كالصّلاة اسم للدعاء في اللغة، ثمّ جعل في الشّرع اسماً لهذه المعروفة، والحجُّ اسمٌ للقصد، ثمّ نقل في الشّرع إلى هذه الأفعال، فصار حقيقة فيما غلب عليه الشّرع، فإذا أطلق حملَ على ما يثبت له من عرف الشّرع '.وذكر أنّ من أصحابه من قال:' ليس في الأسماء شيءٌ منقولٌ إلى الشّرع، بل كلّها مُبْقاةٌ على موضوعها في اللغة، فالصّلاة اسمٌ للدعاء، وإنّما الرّكوع والسّجود زيادات أضيفت إلى الصّلاة وليست من الصّلاة، كما أضيفت إليها الطّهارة وليست منها، وكذلك الحجّ اسمٌ للقصد والطّواف والسّعْي زيادات أضيفت إلى الحجّ وليست من الحجّ، فإذا أطلقَ اسم الصّلاة حُملَ على الدّعاء، وإذا أطلقَ اسم الحجّ حُملَ على القصْد، وهو قول الأشعرية (نسبة إلى أشعر واسمه نبت بني أدريني بن زيد بن يشجب، وسمّي أشعر لأنّه ولد والشعر على بدنه. ومنهم أبو موسى الأشعري (ت٤٤هـ) أمير الرسول على عدن وعامل عمر بن الخطّاب على الكوفة والبصرة). والأشعرية وهي فرقة من المتكلّمين ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري(ت٣٢٤هـ)، يخالفون المُعتزلة في آرائهم) والأوّل أصحُّ، والدّليل عليه أنّ هذه الأسماء إذا أطلقَت في الشّرع لم يُعقَل منها المعاني التي وضعت لها في اللغة فدلّ على أنّها منقولة'. اللّمع في أصول الفقه، ص ٩-١٠والإصابة في تمييز الصحابة، والمعجم الوسيط، ١/ ٤٨٤، مادة(شعر) والقاموس المحيط، ٢/ ٦١، مادة(شعَر).

(55) معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٣٠٠، مادة(صلى)وتأويل مشكل القرآن، ص ٤٦٠ ولسان العرب، ١٤/ ٤٦٤، مادة(صلا).

وممّا أورده ابن سيده في المخصص عن ابن دريد قوله:ألصَوْمُ: الإِمْسَاكُ عن المَأْكَلِ والمَشْرَب، وكلُّ شيءٍ سَكَنَتْ حَرَكَتُهُ فقد صامَ صَوْماً.قال صاحب العين: الصَّوْمُ: الصَّمْتُ من قوله تعالى:﴿إنّي نَذَرْتُ للرَّحْمن صَوْماً﴾[٥٦]: أي صَمْتاً. والصَّوْمُ: قِيَامٌ بِلا عَمَلٍ، صامَ الفَرَسُ على آرِيِّه:إذا لم يعْتَلِفْ وصامتِ الرِّيحُ: إذا رَكَدَتْ، وصامتِ الشَّمْسُ: حين تستَوي في مُنْتَصَفِ النَّهار.[٥٧] فلفظ (الصيام)كان يطلق في الأصل على الإمساك والرُكود في المكان مطلقاً، ثمّ صار محقّقاً للإمساك عن المَطْعَم والمَشْرب وسائر ما مُنِعه الصّائم خاصةً.[٥٨]

على أنّ حقيقة الزّكاة عند ابن سيده:الزيادة. يُقالُ:زَكَا يَزْكُو زَكَاءً، ثمّ صارت تدلُّ على ذلك الرُكن الأساس في الإسلام الذي يقوم على ذلك الجزء من المال الذي يجبُ إخْرَاجُه على سبيل الصَّدَقَة بما جاءت به الشّريعةُ من مِقْدَاره ووقْتِه.وبهذا كانت الزّكاة تطهيراً للمال ونَماءً لهُ.والماعُون الزّكاةُ كما قال صاحب العين.[٥٩]

كما أنّ الحجّ في اللغة:القَصْدُ، فإذا أُريدَ به النُسُكُ لم يتم بالقَصْدِ وحده دون خِصَالٍ أُخَرُ تنضَمُّ إلى القَصْدِ.[٦٠] وفي ظلّ الإسلام أريد له أن يكون قَصْداً وتوجُّهاً إلى البيتِ الحرام بالأعمال المشروعة فَرْضاً وسُنَّةً وحقيقته الزيارة، يُقال: حَجَّهُ يَحُجُّهُ حَجّاً. وهي حقيقة أوردها ابن سيده ضمن (باب الحجّ).[٦١] فلفظ (الحجّ) كان يطلق في أصل الوضع على قَصْدك الشيءَ وتجريدك له، ثمّ انحصر استعماله في الإسلام في قصد البيت الحرام.[٦٢] ويدلُّنا المخصص في (باب التَّوْبَة والإِنابَة والإقلاع نظائر في اللغة) على أنّ أصلُ التَّوْبَة في اللغة: النَّدمُ. وقيل: حقيقةُ التَّوْبَة: الرُّجُوع عمّا سَلَفَ بالنَّدَم عليه. فالعبْدُ

---

(56) من الآية ٢٦ من سورة مريم.

(57) المخصص، ١٣/ ٩٠وجهرة اللغة، ٣/ ٨٩، مادة (الصوم) والعين، ٧/ ١٧١، مادة (صوم).

(58) جمهرة اللغة، ٣/ ٨٩، مادة(الصوم)و معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٣٢٣، مادة(صوم).

(59) المخصص، ١٣/ ٨٩ وينظر: العين، ٢/ ١٦٣، مادة(معن).

(60) المخصص، ١٣/ ٨٥.

(61) نفسه، ١٣/ ٩١.

(62) جمهرة اللغة، ٣/ ٤٣٤(باب الاستعارات) والمزهر١/ ٤٢٧.

تائبٌ إلى الله يندمُ على معصيته. والتّائبُ صفة مَدْح لقوله عزّ وجلّ﴿التّائبُونَ العَابِدُونَ﴾.[٦٣]والله تعالى التّائبُ على عبده يقبَلُ نَدَمَهُ.قال تعالى:﴿ قابِلِ التَّوْبِ﴾[٦٤]، فقال صاحب العين: أرادَ به التَّوبَة.[٦٥]

ودلّنا ما ساقه ابن سيده في(باب النُّسُك) منقولاً عن ابن دريد أنّ النُّسُكُ في الأصل: ذَبَائحُ كانت في الجاهلية تُذْبَحُ قَرَابينَ؛ ثمّ اختُلِفَ فيه في الإسلام، فقيل: هو نُسُكُ الحجّ وقيل: هو الزُّهْدُ في الدُّنْيامن قولهم: رَجُلٌ نَاسِكٌ.وذهَبَ صاحب العين إلى أنّ النُّسُك:العِبَادةُ. [٦٦]

أمّا ابن فارس، فيعرّف الظّاهرة في (باب العموم والخصوص) من الصاحبي بقوله:أمّا الخاصُّ فهو الذي يتحلّلُ فيقعُ على شيءٍ دون أشياءَ.وذلك كقوله جلّ ثناؤه:﴿وَاتَّقُونِ يا أُولي الألْبَابِ﴾[٦٧]، فخاطبَ أهل العقل.[٦٨]وأمّا الثعالبي، فكان له فضل التمثيل لها في فصل (في الاختصاص بعد العموم)بعد قوله:إنّ العرب تفعلُ ذلك، فتذكر الشيء على العموم، ثمّ تخصّص منه الأفضل فالأفضل، وفي القرآن: ﴿حَافِظُوا على الصَّلَوَات والصَّلاة الوُسْطى﴾، [٦٩]وإنّما أفرَد الله الصّلاة الوسطى من الصّلاة وهي داخِلَةٌ في جُمْلَتها، وهي منها، للاختصاص والتفضيل.[٧٠]

وجاء في(باب الفاكهة وأنواعها)من المخصص قول ابن سيده رواية عن صاحب العين قوله: اختُلفَ في الفاكهة فقيل كلُّ الثّمار فاكهةٌ. وقيل: لايُسمّى ما كان من التَّمْر

---

(63) من الآية١١٢ من سورة التوبة.

(64) من الآية ٣من سورة غافر.

(65) المخصص، ١٣/ ٩٥ وينظر: العين، ٨/١٣٨، مادة(توب).

(66) المخصص، ١٣/ ٩٨وجهرة اللغة، ٣/ ٤٧، مادة(النسك)و العين، ٥/ ٣١٤، مادة(نسك).

(67) من الآية ١٩٧من سورة البقرة.

(68) الصاحبي في فقه اللغة، ص ٢١٤.

(69) الآية ٢٣٨ من سورة البقرة.

(70) فقه اللغة وسرّ العربية، ص ٣٤٥.

والعِنَب والرُّمّان فاكهةً، واحتُجَّ بقوله تعالى:﴿فيها فاكهةٌ ونَخْلٌ ورُمّانٌ﴾[71] فقيل:لو كان النّخلُ والرُّمّانُ نوعيْن من الفاكهة لما خُصِّصَا من سائر أنواعها وليس هذا بحجّةٍ ؛ لأنَّ العرب تفعلُ مثل هذا تأكيداً.وفي التنزيل:﴿أولئِكَ لهمْ رزْقٌ مَعلومٌ فَوَاكِهُ وهمْ مُكْرَمُونَ﴾[72]، وفكَّهْتُ القوْمَ بالفاكِهة ومُلَحِ الكلامِ والاسمُ: الفِكِيهَةُ والفُكَاهة والمَصدرُ: الفَكَاهةُ.[73]وهو ما أكّده الثعالبي بقوله:وإنّما وأفرَد التّمْر والرُّمّان من جملة الفاكهة، وهما منها، للاختصاص والتفضيل.[74]

ومن هذا النّحو عند ابن قتيبة (اللَّبَنُ).فدلالة اللَّبَن عامّة بينما تختصُّ كلمات أخرى بدلالات أضيق وأدقّ.فـ(الصَّريف) للحارِّ منه حينَ يُحْلَبُ، فإذا سَكَنَتْ رُغْوَتُه فهو(الصَّرِيحُ)، فإذا لم يُخالِطْه الماءُ، حُلْواً كانَ أو حامضاً، فهو(المَحْضُ)، فإذا أخَذَ شيئاً من التغيُّر فهو(الخَامِطُ)، فإذا حَذَى اللِّسَانَ فهو(قَارِصٌ)، فإذا خَثَرَ فهو(رَائِبٌ)، فإذا اشتدَّت حُمُوضَتُه فهو(حَازِرٌ).[75]وهو ما عبّر عنه السيوطي بـ (ما وُضع عاماً واستعمِل خاصّاً ثمّ أُفْرِدَ لبعض أفرَاده اسمٌ يخصّه).ومعنى ذلك أن يكون اللفظ في أصل وضعه دالاً على معنى عامٍّ كالبُغْضِ، ثمّ يكون لإحدى حالاته لفظ خاصٌّ كالفِرْكِ وهو البُغض

---

(71) الآية ٦٨ من سورة الرّحمن.

(72) من الآية ٤١ من سورة الصافات.

(73) المخصص، ١١/ ٦٤-٦٥ والعين، ٣/ ٢٨١، مادة(فكه).

(74) فقه اللغة وسرّ العربية، ص ٣٤٥.

(75) ينظر: أدب الكاتب، ص ١٦٨والأمالي في لغة العرب، ٢/ ٣٠٧. ومن هذا النّحو عند الثعالبي(المَشْيُ). فدلالة المَشْي عامّة، وتختصّ كلمات اخرى بدلالات:(الحَبْو) للرّضيع، و(الحَجَلان) للغُلام يرفَعُ رِجْلاً ويمشي على أخرى، و(الخَطَرَان) للشّابّ يهتزُّ نشاطاً، و(الدَّلَفُ) للشيخ يخطو رويداً ومقاربته الخَطْو، و(القَزَلُ) للماشي في عَرَجٍ، و(الرَّفْلُ) مِشْيَةُ من يجرُّ ذيوله ويَرْكُضُها بالرِّجْل، و(الاختيال)و(التَبَخْتُر)، و(الهَرْوَلة)، و(التّهَادى) وغيرها من أنواع المشي.ينظر: فقه اللغة وسرّ العربية، ص٢٠٤-٢٠٥ والمخصص، ٣/٩٨-١١٢ والفرق لثابت بن أبي ثابت، ص ٩٤، ٩٦ والأمالي في لغة العرب، ٢/ ٤٦، ٢٨٩.وممّا جاء في هذا الأخير: الهَدَجَانُ: مشيُ الشّيْخ إذا أسْرَعَ. الأمالي في لغة العرب، ١/ ١٩١.

بين الزّوجين خاصة.والحديث عام، فإذا كان بالليل كان سَمَراً.والسير عامٌّ، فإذا كان بالليل فهو السُّرَى.(٧٦)

وورد في باب(شدّة الصوت وبُعْد ذَهَابه وما يعمّه)من المخصّص أنّ الصَّوْتُ في عرف ابن جنّي: مذكّر وهو الجَرْسُ. فأمّا قوله:

يا أيّها الرّاكِبُ المُزْجِيُّ مَطِيّتَهُ سائِلْ بَنِي أَسَدٍ هذه الصَّوْتُ

فإنّه أنّثَ على معنى الصّيْحَة. أمّا صَاتَ صَوْتاً وصوّتَ به تصويتاً في مفهوم صاحب العين، فَنادَيْتُ ودَعَوْتُ وصِحتُ.والصَّخَبُ عنده: شِدّةُ الصَوْت واختلاطه. والنّداءُ في عرف ابن دريد: بُعْدُ الصَّوْتِ، أي مداه. أمّا إذا ارتفع صَوْتُ الرّجُل واشتدّ قيل: أَصْلَقَ، و إذا ارتفع صَوْتُه بإنشاد قيل: صَدَحَ.والنَّدِيُّ: البعيد مدى الصّوت، وهو مذهب ابن السكيت.أمّا الوَاعِيَةُ كما ذكر ابن الأعرابي، فالصُّراخ على الميّت ولا فِعل له.والفَديدُ والفَدْفَدَةُ:صوتٌ كالحفيف، وهو قول للأصمعي.(٧٧)

وجاء في باب (نعوت السّريع الخفيف) من المخصص قول ابن سيده على لسان صاحب العين من أنّ الخَفّة والخِفّة: ضِدُّ الثّقَل يكون في الجِسْم والعَقْل والخُفَافُ في التَّوَقُّد والذّكاء وجمعهما:خِفَافٌ.أمّا اللّغْوَسَةُ عند أبي عبيد، فالخِفّةُ في الأكل وغيره ومنه قيل للذِئْب لَغْوَسٌ.والسَّمْسَامُ والسُّمْسَمَانِيّ:الخفيف السّريع(ضدُّ البَطيء).وهو ما غَلَب

---

(76) المزهر، ١/ ٤٣٣ وتهذيب إصلاح المنطق، ص ٣٧، ٢٩٤، ٥٤١ وعلم اللغة وفقه اللغة لعبد العزيز مطر، دار قطري بن الفجاءة، قطر، الدار التونسية للنشر، دت، ص ١٥٣. والجدير بالذكر هنا أنّ أبا عليّ القالي سمّاه الدّلَج أو الدّلْجَة والإدلاج: فالدّلَجُ والدُّلْجَةُ: سَيْرُ آخر اللّيْل(أو اللّيل كلّه)، والإدلاجُ: سَيْرُ أوّله. ينظر:الأمالي في لغة العرب، ١/ ١٣.

(77) المخصص، ٢/ ١٣٠- ١٣١ والفرق لقطرب، ص ١٧٥، (باب الأصوات) وينظر: العين، ٧/ ١٤٦، مادة(صوت)وجمهرة اللغة، ٣/ ٢٤٥ولسان العرب، ٢/ ٥٧-٥٨، مادة (صوت) و١٠/ ٣٩٧، مادة(وعي) وفقه اللغة وسر العربية، ص ٢٢١-٢٢٢، فصل(في تفصيل الأصوات الشديدة) والقاموس المحيط، ١/ ٣٣٣، مادة (الفديد).

على الذِئب والثّعْلَب لخِفَّتِهما وهو تعليل لأبي علي القالي.وأمّا الحَلْو، فالذي يَسْتخِفُّه النّاس ويكون على أفئِدَتِهم خَفيفاً، والقول لابن السكيت.[٧٨]

وقد ساق الثعالبي في فقه اللغة وسرّ العربية أمثلة لما وُضِع واستعمل عامّاً ليطاله التخصيص بعد ذلك ويبقى مع ذلك على عمومه. وهو المقصود، على ما يبدو، ممّا سمّاه السيوطي بـ(العامّ الباقي على عمومه).[٧٩]ومن ذلك قوله في باب(الكُلّيّات) مثلاً:كلُّ ما عَلاَكَ فأظلّك فهو سَماءٌ.وكلُّ أرضٍ مسْتوية فهيَ صَعيدٌ، وكلُّ بِناءٍ مُربَّعٍ فهوكعْبَةٌ، وكلُّ بِناءٍ عالٍ فهوصَرْحٌ؛ [٨٠] ثمّ أصبحت السّماء تُقال في سقْف البَيْت لارتفاعه، [٨١]ودلالة الصّعيد جمعها صُعُدٌ وصُعُدَاتٌ خصّصت للتُّراب أوْ وَجْهِ الأرض والطّريق [٨٢]والكعبَةُ ألصِقَت بالبيت الحَرَام-زاده الله تشريفاً-والغُرْفَةُ.[٨٣]كما أُطلِق الصّرْح على القَصْرِ. [٨٤]

---

(78) المخصص، ٣/٣٧-٣٩وينظر: العين، ٤/١٤٤، مادة (خف) والغريب المصنّف، ص ٣٥٨(باب السرعة والخِفّة في المَشْي)ولسان العرب، ٦/٢٠٨، مادة(لعس)و(لغس) و١٢/٣٠٥، مادة(سمسم) و١٤/ ١٩١-١٩٢، مادة(حلا).

(79) المزهر١/٤٢٦.

(80) فقه اللغة وسرّ العربية، ص ٢٦ وينظر:أدب الكاتب، ص ٨٥ والمخصص، ٩/٢، (باب ذكر السّماء والفَلَك).

(81) كتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية، ص١١ وأدب الكاتب، ص ٨٥ والتكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي، ص ١٤٠والمخصص، ٩/٣، (باب ذكر السّماء والفَلَك).

(82) القاموس المحيط، ١/٣١٨، مادة(صَعِدَ).

(83) نفسه، ١/ ١٢٩، مادة (الكَعْبُ).

(84) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطّاب القرشي، دار المسيرة، بيروت، طبعة٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ص٧ ومن كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري، ص ٤٢٧ والقاموس المحيط، ١/ ٢٤٢، مادة (الصرح).

وجاء في(باب أسماء أوّل ولَدالرّجل وآخرهم) من المخصّص قول أبي عبيد:بِكْرُ أبَوَيْه:أي أوّلُهما وكذلك الجاريةُ بغير هاءٍ وجمعُها أبْكارٌ. قال صاحب العين: بِكْرُ كلّ شيءٍ أوّلُهُ، وقد يكونُ البِكْرُ من الأوْلادِ في غيرِ النّاسِ كقولهم بِكْرُ الحيَّةِ.(٨٥) وقالْ أبو عليّ(القالي): ويستعملُ الطِّفْلُ في كلّ ما تشَعَّبَ من مُعظَم الشّيءِ وما دقّ من أجزاء الشيء فهو طِفْلٌ وأنشد:

يَضُمُّ إلَيَّ اللّيلُ أطْفالَ حُبِّها كما ضَمَّ أزْرارَ القَميصِ البَنَائِقُ(*)

وقال صاحب العين: الطَّلَى: الولد الصغير من كلّ شيء حتى شبّه العجّاج رمادَ المَوْقِد بين الأثافي(*) بالطَّلَى بين أُمّهاتِه فقال: (٨٦)

* طَلَى الرّمادِ اسْتُرْئِمَ الطَّلِيُّ *(*)(٨٧)

---

(85) المخصص، ١/ ٣٠ والغريب المصنف، ص ٣٨٤، (باب أسماء أوّل ولد الرّجُل وآخِرهم) وينظر:تهذيب إصلاح المنطق ص٦٧)و العين، ٥/ ٣٦٤، مادة(بكر).

(*) البَنائق: جمع بَنيقة وهي لِبَنَةُ القميص الي فيها الأزرارُ أوهو جُرُبّانُهُ (أي جيبُه)وهو فارسيّ معرّب.ينظر: تثقيف اللسان وتلقيح الجِنان، ص ١٦٤والقاموس المحيط، ٣/ ٢٢٢، مادة(البنيقة) وفائت الفصيح، ص٧٠.

(*) الأثافي:جمع أُثفيَة، وهي الحجارة الي توضع تحت القِدر.ينظر:القاموس المحيط، ٣/ ١٢٠، مادة (الأثفية).

(86) ديوان العجاج رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تحقيق عبد الحفيظ السّطلي، مكتبة أطلس، دمشق، دت، ١/ ٣١٢.

(*) الطَّلِيُّ: الصغير من أولاد الغَنَم، وإنّما سمّي طَلِيّاً لأنه يُطْلَى، اي تُشَدُّ رِجلُهُ بخَيطٍ إلى وَتَدٍ أياماً.وجمعه طُلْيانٌ.ينظر: الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص ٢٣١٤، مادة (طلا) وتهذيب إصلاح المنطق، ص ٧٧٧.

(87) المخصص، ١/ ٣٢وينظر:العين، ٧/ ٤٢٨، مادة، (طفل)٧/ ٤٥٢، ولسان العرب، ١١/ ٤٠١- ٤٠٢، مادة(طفل) و١٥/ ١٢، مادة(طلي) والصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١٧٥١، مادة (طفل) وقد جاء فيه:وولد كلّ وحشية طفلٌ أيضاً، وص٢٣١٤، مادة(طلا) والفرق لابن فارس، ص٨٢.وقد جاء فيه: وولدُ كلّ وَحْشِيَةٍ: طَلاً وتهذيب إصلاح المنطق، ص ٦٧، ٧٧٧.

وجاء في (كتاب الحشرات) من المخصص قولُ الأصمعي:الخَشَاشُ: شِرار من كلّ شيءٍ وخصّ بعضُهم به شِرَارُ الطَّيْر وما لا يَصيدُ منها، وقيل:هي من الطَّيْر ومن جميع دَوَابّ الأرضِ ما لا دِماغَ لها كالحُبَارى(*) والكَرَوان(*) ومُلاَعِبِ ظِلِّه(*).(٨٨)

إنّ دراستنا لبعض نماذج التخصيص في المخصص وغيره من كتب اللغة ومعاجمها أوقفتنا على أنّ التخصيص الدلالي ضرورة لغوية اقتضتها متطلّبات الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية الجديدة للمجتمع العربي الإسلامي بما يحقّق الآصرة بين معاني الألفاظ اللغوية المطلقة السابقة ظهوراً وبين معانيها الاصطلاحية المكتسبة والمخصّصة دلالياً.

٣- انتقال الدلالة:

وهو تغيير مجال الدلالة. فهي هنا لا تضيق أو تتّسع كما رأينافي المظهرين السّابقين بل إنّ اللفظ يتغيّر متنقلاً من نقطة تداوله ومعناه الأوّلي إلى نقطة أخرى يجري استعماله فيها، ولا يشترط هنا التخلّص نهائياً من المعنى الأوّل، وإنّما يتعايش المعنيان وقد تطغى الدلالة المتطوّرة عن سابقتها.(٨٩) وانتقال الدلالة من مجال إلى آخر يكون إمّا عن طريق

(*) الحُبارى:طائر بعِظَم الدِّيك العظيم كثيرةُ الرِّيش ومنها بيضاءُ وكَدْرَاءُ وحمراءُ مُشْرَبَةُ الحُمْرة لا طويلة الرِّجْلَيْن ولا قصيرتُهما طويلة العُنُق والذَّنَب تبيضُ بيضاً من نحو بَيْض الدَّجاجة، وهي دجاجةُ البَرِّ زعموا أنّها تأكلُ كلّ شيءٍ حتى الخَنَافِس. ينظر: المخصص، ١٥٨/٨.

(*) الكَروان: عصفور بعِظَم الدَّجاجة غير أنّه أبسطُ وأطْوَلُ عُنُقاً وأطْوَلُ رِجْلَيْنِ، رأسُه بعِظَم رأس الدَّجاجة وزِمِكّاهُ (منبتُ ذنبه) قصيرةٌ وعيْناهُ زرْقاوان.وزعموا أنّ الحَجَل فِراخه.وهو أحْمَقُ طائر، يُقال: اطْرِقْ كَرَا يُحْلَبُ لَكْ على المَثَل ويُضربُ للأحمق تمنّه البَاطِلَ فيصدّق.، وجمعه كَرَوانات وكِرْوَاناً على غير قياس.ينظر: المخصص، ١٥٥/٨ والمعجم الوسيط، ١/ ٤٠٠، مادة(زَمَكَه) ومجمع الأمثال، ١ / ٤٣٢.

(*) مُلاعِبُ ظِلِّه: طائرٌ، واسمه دالٌّ عليه. ينظر: لسانُ العرب، ٤١٩/١١، مادة(ظلل).

(88) المخصص، ٩١/٨ ولسان العرب، ٢٩٦/٦، مادة (خشش) وينظر:الفرق لقطرب، ص ٢١٦-٢١٩، (باب من خشاش الأرض).

(89) علم الدلالة النظرية والتطبيق، ص ٣١٤-٣١٥.

الاستعارة، أي لعلاقة المشابهة بين المدلولين، أو عن طريق المجاز المرسل.(٩٠) وهو انتقال يقوم على تعادل المعنيين أو عند اختلافهما من جهة العموم والخصوص؛ كما في حالة انتقال الكلمة من المحلّ إلى الحال، أو من السّبب إلى المسّبب أو من العلامة الدّالّة إلى الشيء المدلول عليه. ولسنا بحاجة إلى القول إنّ انتقال المعنى يتضمّن طرائق شتّى يطلق عليها الدّلاليون مثل دُرمستتر (Darmesteter) وبْريال (Bréal) أسماء اصطلاحية. ومن هذه الأسماء الاصطلاحية: المجاز المرسل(*) (Métonymie) والاستعارة (Métaphore) وإطلاق البعض على الكلّ (Synecdoque). كما أنّ الانتقال يتمّ ضمن مستويات نستطيع حصرها في مجالي الحسّي والمجرّد والانتقال من مجال إلى آخر.(٩١)

أ-الانتقال من الحسي إلى المجرّد:

يجمع الباحثون في نشأة الدلالة على أنّها بدأت بالمحسوسات، ثمّ تطوّرت إلى الدلالات المجرّدة حسب تطوّر الإنسان ورقيّه. وكلّما راح الفكر الفلسفي عند الإنسان يزداد رقيّاً جنح إلى استخراج الدلالات المجرّدة وتوليدها والاعتماد عليها في الاستعمال، فتنتقل الدلالة بهذا من مجال المحسوس إلى مجال الدلالة المجرّدة وتكتسب الألفاظ بهذا الانتقال الذي يتمّ عادة بصورة تدريجية أبعاداً ذهنية جديدة، وتظلّ الدلالتان سائرتين جنباً إلى جنب زمناً طويلاً، تستعمل الدلالة المحسوسة فلا تثير دهشة ولا غرابة، وتستعمل في الوقت نفسه الدلالة المجرّدة فلا يدهش لها أحدٌ. وليست إحداهما حينئذ

---

(90) ينظر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ص ٣٧٥.

(*) من علاقات المجاز المرسل(لإطلاقه):١- السّببية، ٢-المسبّبية، ٣- الكلّية، ٤- الجزئية، ٥- اعتبار ما كان، ٦- اعتبار ما سيكون، ٧- الحالية، ٨- المحلّية، ٩-العموم، ١٠-الخصوص، ١١- البدَلية، ١٢-المبدلية، ١٣-المجاورة..ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، ص ٢٩٢-٢٩٦.

(91) ينظر: Christian Bylon-Xavier Mignot. Sémantique du Langage-Initiation- pp215-216. واللغة، ص ٢٥٦.

بأحقّ وأولى بالأصالة من الأخرى، حتى يمكن أن تعدّ إحدى الدلالتين ممّا يسمّى بالحقيقة والأخرى ممّا يسمّى بالمجاز؛ إذ لا مجاز ولا حقيقة بينهما في مثل هذه الحال.(٩٢)

ومن ذلك لفظ(الشكّ) الذي يدلّ في أصل الوضع على معنى حسّي هو الوَخْز بشيءٍ دقيق والغَرْز كقولهم: شَكَكْتُه بالرُمْح، وذلك إذا طعنْتَهُ فدَاخَلَ السِّنَانُ جسمَه. قال عنترة العبسي:(٩٣)

فَشَكَكْتُ بالرُمْحِ الأَصَمّ ثِيَابَهُ ليسَ الكَرِيمُ على القَنَا بِمُحرَّمِ(*)

وقولك: شَكَكْتُ بين وَرَقَتَيْن، إذا غَرَزْتَ العُود فيهما جميعاً، ويكون ذلك من النَّظْم بين الشَّيْئَيْن إذا شُكَّا.(٩٤) فمن المعنى الحسّي انتقل إلى معنى مجرّد هو خلاف اليقين؛لأنَّ الشكّ كأنّه شُكَّ له الأمْرَانِ في مَشَكٍّ واحدٍ، وهو لايَتَيَقَّنُ واحداً منهما.(٩٥) الأمر الذي يبعث على الحيرة بين طرفَيْ قضية معينة نفياً وإثباتاً، وهو موقفٌ متعبٌ للنفس والعقل

---

(92) دلالة الألفاظ ص ١٦١-١٦٢وكلام العرب من قضايا اللغة العربية لحسن ظاظا، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص ٣٧-٣٨ وعوامل التطور اللغوي، ص ١٢٧.

(93) ينظر: شرح القصائد العشر للخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي، ضبط وتصحيح عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص٢٣٩ والصّحاح تاج اللغة وصحاحُ العربية، ١٥٩٤، مادة(شكك).ولم أجده في ديوان عنترة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

(*) وقوله: ليس الكريم على القَنَا بمُحرَّمٍ: أي لا يمتنع على الطِّعَان.ينظر: شرح القصائد العشر، ص ٢٣٩.

(94) معجم مقاييس اللغة، ٣/ ١٧٣، مادة(شك) والصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص١٥٩٥، مادة(شكك) والمخصص، ٦/ ٩٠، (باب الطعن ونعوته) والقاموس المحيط، ٣/ ٣١٩، مادة(الشكّ).

(95) معجم مقاييس اللغة، ٣/ ١٧٣، مادة (شك) والصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص١٥٩٤، مادة (شكك) والمخصص، ١٢/ ٣٢٠، (باب التُّهمة والشكّ).

(وهو شكٌّ فكريّ، على عكس الشّكّ الحسّي)، لا تنتهي متاعبه إلاّ بالوصول إلى راحة اليقين وطمأنينة الرُّكُون إلى رأيٍ أكيدٍ.[٩٦]

وقد شرح أبو حاتم الرّازي(ت ٣٢٢هـ)تطور دلالة (غَفَرَ) من الطّرف المحسوس إلى آفاق التجريد وإدراك العقلي والنّفسي.فيُقال: غَفْر وغَفّار وغَفِر ثلاث لغات، وهي من المغْفِرَة، والمغْفِرَةُ: السَّتْرُ، كأنّه يستُر ذُنوبَ العِبَاد إذا رضِيَ عنهم، فلا يكشِفُها للخَلائِق. ويُقال في الدُّعاء:اللهمَّ تغمَّدْني بمغفرتك، أي استُرْ ذُنوبي.وأصله من غفرْتُ الشّيء: غطَّيْتُهُ.[٩٧]وقد ذُكر عن امرأةٍ عربية أنّها قالت لابنتها:اُغْفِرِي غَفيرَكِ تُريد:غطّ شَعْرَكِ المُستَرسِلِ على قَفَاكِ.والغَفيرةُ:الغُفْرَانُ أيضاً.قال:[٩٨]

يا قومُ ليسَتْ فيكمُ غَفِيرَةٌ

وجاء في تثقيف اللسان وتلقيح الجنان أنّ أصلْ الطَّبَاخْ: القُوَّةُ والسِّمَنُ ؛ ثمّ استعمل في غيرهما، فقالوا: فلانٌ لا طَبَاخ له، أي لاعقْلَ له ولا خَيْر عنده.[٩٩] قال حسّان بن ثابت:[١٠٠]

المَالُ يغْشَى رِجَالاً لا طَبَاخَ لَهُمْ   كالسَّيْلِ يغْشَى أُصُولَ الدَّنْدِنِ(*) البَالي

---

(96) كلام العرب من قضايا العربية، ص ٣٨.

(97) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، ص ٢٧٩-٢٨٠ نقلاً عن كتاب الزينة لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي، ٢/ ٩٧-٩٨ وينظر:معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٣٨٥، مادة(غفر) والقاموس المحيط، ٢/ ١٠٦-١٠٧، مادة(غَفَرَهُ).

(98) معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٣٨٦، ما دة(غفر) والقاموس المحيط، ٢/ ١٠٧، مادة، (غَفَرَهُ).

(99) تثقيف اللّسان وتلقيح الجَنان، ص ٢٣٦-٢٣٧.

(100) ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري، تحقيق وتعليق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م، ١/ ٣١٤. وقد روي فيه بغير لفظ وهو:

والمَالُ يَغْشَى أُنَاساً لا طَبَاخَ لهمْ   كالسَّيْلِ يَغْشَى أُصُولَ الدِّنْدِنِ البَالي

(*) الدَّنْدِنُ: ما اسودَّ من النَّبات أو الشَّجَر لقِدَمِه ينظر: معجم مقاييس اللغة٢/ ٢٦١، مادة (دن) والقاموس المحيط، ٤/ ٢٢٥، مادة(الدَّنُّ).

و قد تنـزوي الدلالة المحسوسة في ركنٍ صغيرٍ من أركان الدلالة الأصلية، ونعثر عليها حينئذٍ في بعض النصوص القديمة في صورة اللفظ نفسه أو بعض مشتقّاته.وقد تندثر الدلالة المحسوسة ويصعب حينئذٍ الاستدلال على أصلها كالذي تنصّ عليه معاجم اللغة من أنّ " الرُّطانةَ هي الإبل مجتمعةً "[١٠١]تصدُرُ عنها أصوات مبهمة يشبه بعضها بعضاً، ولا تكاد الآذان تميّز منها لفظاً أو ما يشبه اللفظ فانتقلت دلالتها بذلك إلى التعبير عن كلّ كلامٍ مُبهَمٍ بلغة أجنبية لا يستبين منها السّامع شيئاً وأصبحت ذات دلالة جديدة مجرّدة كإطلاقها علىالكلام بالأعجمية" أوكلّ كلام لا تفهمه العرب."[١٠٢] وقد مرّ عهد تعايش فيه المعنيان جنباً إلى جنب وبنسبة تكاد تكون واحدة، ثمّ كان أن كثر شيوع الدلالة المجرّدة ولم نعُد نرى " الرّطانةَ" بالمعنى المحسوس، أي الإبل مجتمعة مع رفاقها، إلاّ قطعةً متحفيةً في ثنايا المعاجم العربية القديمة.وعلى هذا فقولنا:إنّ " الرُّطانةَ" بمعنى الكلام بالأعجمية قد انحدر ممّا كان من معناها في أصل الوضع أي الإبل مجتمعة، لا يعدو أن يكون فرضاً ترجّحه الصّلة الملحوظة بين الدلالتين وليس لدينا ما يقوم دليلاً قاطعاً على هذه الصّلة من ملابساتها التاريخية "[١٠٣]ولا سيما وأنّ اللغويين أنفسهم لم يجزموا في أمر دلالتها على الإبل مجتمعةً.يقول ابن فارس:" ويُقال الرُّطانةُ: الإبلُ معها أهلُها."[١٠٤] وهو قول نسبه الجوهري إلى الفرّاء [١٠٥] ولم يقل به على ما يبدو، غيره. أضف إلى أنّ الرّاء والطّاء والنّون بناءٌ ليس بالمُحْكَم وليس له قياسُ كلام العرب، إلاّ أنّهم يقولون: تَرَاطَنوا، إذا أتَوْا بكلامٍ لا يُفْهَمُ؛ ويُخصُّ بذلك العَجَمُ."[١٠٦]على أنّ بعض كتب اللغة

---

(101) الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٢١٢٤، مادة(رطن) ومعجم مقاييس اللغة، ٢/ ٤٠٤، مادة (رطن).

(102) العين، ٧/ ٤١٣، مادة (رطن) والصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص ٢١٢٤، مادة (رطن) والقاموس المحيط، ٤/ ٢٣٠، مادة (الرّطانة) وأساس البلاغة، ص ٢٣٦، مادة(رطن).

(103) دلالة الألفاظ ص ١٦٢ -١٦٣.

(104) معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٤٠٤، مادة(رطن).

(105) صّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص٢١٢٤، مادة(رطن).

(106) معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٤٠٤، مادة(رطن).

اكتفت بالتدليل على أنّها من(باب ما جاء فيه لغتان)مع إيراد معنى مطلق لها لايدلّ على حقيقة أمرها.فقد جاء في أدب الكاتب(باب ما جاء على فعالةٍ فيه لغتان فَعَالة وفِعَالة):هي الرَّطانةُ والرِّطانة(١٠٧) ومثله في(باب الفَعَالة والفِعَالة بمعنى)من المخصص(١٠٨).وجاء في تهذيب إصلاح المنطق:والرَّطانةُ والرِّطانةُ: المُراطَنَةُ.(١٠٩) الأمر الذي لا ينفي أنّ الاتجاه الظّاهر في تطوّر معاني الألفاظ يكون من المعاني المحسوسة إلى المعاني المجرّدة كالنِّفَاق والبَعْث والرُّؤيَة والرّوح والعقل والإدراك وكلّها تدلُّ في الأصل على معانٍ حسّية ومدلولات مادّية.(١١٠)

فالنِّفَاقُ لفظٌ إسلاميٌّ لم تكن العربُ قبل الإسلام تعرفه، وهوفي اللغة مأخوذٌ من نَافِقَاءِ اليَرْبُوع.(١١١) وأمّا النَّافِقَاءُ، فإنّه يعمد إلى مكانٍ من داخِلِ جُحْره فيُرَقِّقُهُ، فإن دخلَت عليه دَابَّةٌ وحرّكه إنسانٌ ضرَبَ ذلك برأسه فهشَّمَه وخرجَ منه فذهبَ. ويقالُ:انتفَقَ اليربُوعُ من نَافِقَائِهِ: خَرَجَ من جِحَرَتِه إذا أُخِذ عليه الجُحْرُ الذي دَخَل فيه. فيُقَالُ: قد نَفَقَ ونَافَقَ، شُبِّه بفعل اليَرْبُوع؛لأنّه يدخلُ من بابٍ ويخرُجُ من بابٍ.وكذلك المنافق يدخُلُ في الإسلام باللفظ ويخرُجُ منه بالعقد فيكتمُ خلاف ما يظهر، فكأنّ الإيمانَ يخرُجُ منه أو هو يخرُج من الإيمان في خفاءٍ.(١١٢)

---

(107) أدب الكاتب، ص٥٥٠.

(108) المخصص، ١٥/ ٩٠.

(109) تهذيب إصلاح المنطق، ص ٢٨٧.

(110) ينظر:فقه اللغة وخصائص العربية، ص ٢٢١-٢٢٢.والجدير بالذكر هنا أنّ أبا هلال العسكري قد عالج بعض مظاهر ذلك تحت عنوان (معان جديدة لألفاظ قديمة) افتتحها بقوله: وقد حدثت في الإسلام مَعَانٍ وسمِّيت بأسماءٍ كانت في الجاهلية لمعانٍ أخَرَ.منها لفظ الفِسْق: وهو الخُروجُ من طاعة الله تعالى، وإنّما ذلك في الرُّطبة إذا خرجت من قِشْرها، والفَأرَةُ فإذا خرجت من جُحرها. ينظر: من كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري، ص ٧٣.

(111) تفسير غريب القرآن، ص ٢٩ ومعجم مقاييس اللغة، ٥/ ٤٥٥، مادة(نفق).

(112) تفسير غريب القرآن، ص ٢٩ المخصص، ٨/ ٩٢-٩٣، (باب جِحَرَةُ اليَرَابيع) ومعجم مقاييس اللغة، ٥/ ٤٥٥، مادة(نفق) ومن كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري، ص ٧٤.

كما أنّ دلالات ٱلبَعْث ٱلأصلية الحسّية هي: الرّسُول والجيش المبعوث إلى الثُّغور.[١١٣] أمّا البعث بمعنى إحياء الله للموتى ببعثهم من قبورهم يوم البعث[١١٤]، فهي دلالة مجرّدة منقولة عن الأصول الحسيّة قال تعالى: ﴿ثمّ بَعَثْنَاكُمْ من بعد مَوْتِكُمْ﴾[١١٥] أي أحييناكم. والبعث: النشر، أي نشر الموتى ليوم البعث. ومن أسمائه عزّ وجلّ الباعث؛ لأنّه هو الذي يبعث الخلق، أي يحييهم بعد مماتهم.[١١٦]

وأصل ٱلرّؤية: المعاينَة والنّظر ولإبصارُ بالعَيْنِ أو البَصيرة. قال تعالى: ﴿وَ إذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً ومُلْكاً كبيراً﴾[١١٧] أي: عَايَنْتُ.[١١٨] على أنّ أكثر ما في القرآن من هذه المادة يصبّ في خانة التجريد ويدلّ على العلم والإخْبَار[١١٩] كقوله تعالى: ﴿ويَرَى الّذينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾[١٢٠] أي: يعلَم. وقوله: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ الله﴾[١٢١]، أي: علّمك الله. وقال المفسّرون في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الّذينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ﴾[١٢٢]: أَلَمْ تُخْبَرُوا.[١٢٣]

---

(113) الصحاح تاج اللغة، وصحاح العربية، ص ٢٧٣، مادة (بعث) والقاموس المحيط، ١/١٦٨، مادة (بعث) وأساس البلاغة، ص ٤٤، مادة(بعث).

(114) أساس البلاغة، ص ٤٤، مادة(بعث).

(115) الآية ٥٦من سورة البقرة.

(116) القاموس المحيط، ١/١٦٨، مادة(بعثه) والصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص ٢٧٣، مادة (بعث) والمخصص، ١٧/١٥٩، (باب اشتقاق أسماء الله عزّ وجلّ).

(117) الآية ٢٠ من سورة الإنسان.

(118) تأويل مشكل القرآن، ص ٤٩٩و معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٤٧٢، مادة(رأى).

(119) تأويل مشكل القرآن، ص ٣٩٩.

(120) من الآية ٦من سورة سبأ.

(121) من الآية ١٠٥ من سورة النّساء.

(122) من الآية ٢٣ من سورة آل عمران.

(123) تأويل مشكل القرآن، ص ٤٩٩.

والرُوحُ والرِّيحُ والرَّوْحُ: من أصلٍ واحدٍ اكتنفته معان تقاربت، فَبُنِيَ لكلّ معنى اسمٌ من ذلك الأصل، وخُولِفَ بينَهما في حركة البِنْية(١٢٤) ويدلُّ على سَعَةٍ وفُسْحَةٍ واطِّرادٍ.وأصل ذلك كلّه الرِّيحُ، وأصل الياء فيها الواو، وإنّما قُلِبَت ياءً لكسرةٍ ما قبلها.فالرُوحُ: النَّفْسُ الذي يحيا بها بَدَنُ الإنسان، وإنّما هو مشتقٌّ من الرِّيح.والرَّوْحُ: نَسيمُ الرِّيح.ويُقال:أَرَاحَ الإنسانُ، إذا تنفَّس أو إذا رجعت إليه نفسُه بعد الإعياء.وأَرَاحَ القومُ:دخَلوا في الرِّيح كذلك. والرَّواحُ:العَشِيُّ،وسمّي بذلك لرَوْحِ الرِّيح، فإنّها في الأغلَب تهُبُّ بعد الزَّوَال.والمُرَاوحَةُ:عَمَلان في عَمَلٍ واحدٍ، ذاك مَرَّةً وهذا مرَّةً.والأَرْوَحُ: الذي في صَدْرَيْ قدميْه انبساطٌ. والرَّوَحُ: اتِّسَاعُ ما بين الفَخْذَيْن.وقصعةٌ رَوْحاءُ:قريبة القَعْر.(١٢٥)

أمّا من حيث دلالتها المجرّدة، فإنّ ابن دريد ذكر أنّ الرّوحَ ممّ ينبغي تفسيره، لأنّه جلّ ثناؤه قال:﴿ويَسْأَلُونَكَ عن الرُّوح قُلْ الرُّوحُ من أَمْرِ رَبِّي وما أُوتِيتُمْ من العِلم إلاّ قليلاً﴾. (١٢٦) وذكروا أنّ بعض أهل العلم سُئِل عن ذلك فقال: أَبهِمْ مَا أَبْهَمَ اللهُ.(١٢٧)

والجدير بالذكر هنا أنّ ابن سيده يرى أنّ بين الرُّوح والنَّفْس فَرْقاً، غير أنّه لم يزد على ذلك؛ لأنّه كما قال أمرٌ لا يليق بكتابه.(١٢٨)وهو سكوتٌ لا يلغي دلالات الرُّوح المجرّدة في شيء.فهي عند من يرَى فيها خلافَ النَّفْس(*)(١٢٩):عبارةٌ عن جسمٍ بُخاريٍّ

---

(124) تأويل مشكل القرآن، ص ٤٨٥.

(125) معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٤٥٤-٤٥٦، مادة(روح) والعين، ٣/ ٢٩١-٢٩٢، مادة (روح) وجمهرة اللغة، ٢/ ١٤٧، مادة(روح)والمخصص، ٢/ ٥٠، (باب أعراض الفَخِذ) و٢/ ٦٢، (باب أسماء النَّفْس)و١٠/ ١٢٣،(باب الأرض الواسعة والمطمئنة)و١٢/ ٢٥٧، (باب العمل والصّناعات).

(126) الآية ٨٥ من سورة الإسراء.

(127) جمهرة اللغة، ٢/ ١٧٤، مادة(روح).

(128) المخصص، ٢/ ٦٢، (باب أسماء النَّفْس).

(*) ذكرسيف الدّين الآمدي أنّ النَّفْسَ عبارة عن كمالٍ لكلّ جسم طبيعي من شأنه أن يفعل أفعال الحياة.ينظر: المُبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلّمين، ص ١٠١.

(129) تأويل مشكل القرآن، ص ٤٨٥-٤٨٦و العين، ٣٢٩١، مادة (روح).

منشؤه القلب، وهو منبعُ الحياة والنَّفس، أي رُوح الأجسام الذي يقبضُه اللهُ عندالمَمَاتِ.(١٣٠)والرُّوحُ:جِبْرِيلُ عليه السّلام (١٣١)، ومَلَكٌ عظيمٌ من ملائكة الله يقوم وحده فيكون صفاً وتقوم الملائكة صفاً (١٣٢)، وكلام الله(١٣٣) ورحمته(١٣٤)، والمسيحُ عليه السّلام رُوح الله.(١٣٥)

ولم تكن لتخفى عن ابن سيده دلالة(العقل) المجرّدة وهو يشير في (باب العقل والرّأي)إلى أنّه ضدّ الحُمْقِ أو نقيض الجَهْلِ وضِدُّه يقالُ: عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلاً:إذا عرَفَ ما كان يجهلُه قبلُ، أو انْزَجَرَ عمّا كان يفعَلُه.وهو بذلك يدلُّ على الحِجْرِ(*) والنُّهَى(*) (١٣٦)، والعِلْمُ بصفاتِ الأشياءِ من حُسنها وقُبْحِها وكمالها ونُقْصانها أوالعِلْمُ بخيْرِ الخَيْرَيْنِ وشَرِّ الشرّيْنِ أو مُطْلَقٌ لأمورٍ أو لقوّةٍ بها يتمُّ التمييز بين القُبْحِ والحُسْنِ ولِمَعَانٍ مُجْتَمِعَةٍ في الذِهْنِ يكونُ بمقدّماتٍ تُستَتَبُّ بها الأغرَاضُ والمصَالحُ ولهيْئةٍ محمودةٍ للإنسانِ في حَرَكتِه وكلامِه.وهو نورٌ رُوحانيٌّ به تُدْرِكُ النَّفسُ العُلُومَ الضّرورية والنّظرية.(١٣٧)

---

(130) المُبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلّمين، ص١٠٨-١٠٩وينظر: العين، ٣/ ٢٩١، مادة (روح).وجمهرة اللغة، ٢/ ١٤٧، مادة(روح)

(131) ينظر: الآية ١٩٣ من سورة الشعراء والآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(132) ينظر: الآية ٣٨ من سورة النّبأ.

(133) ينظر: الآية ١٥ من سورة غافر والآية ٥٢ من سورة الشّورى.

(134) ينظر:الآية ٢٢ من سورة المجادلة.

(135) ينظر: الآية ٩١ من سورة الأنبياء.

(*) الحِجرُ: العَقلُ، وأصله السّتر ومنه قيل للحَرَام حِجْرٌ، اي انّه مستورٌ ممنوعٌ ومنه قيل للمكان المُحاط به صَنْعَةً أو خِلْقَةً كالصَّهْريج حاجِرٌ. وقالوا: حَجَرْتُ عليه وكلُّ هذا إمْسَاكٌ. فهو راجعٌ إلى معنى العَقْل والحِجَا والنُّهى واللُّبِّ والحِلْمِ والمِرَّة.ينظر: المخصص، ٣/ ١٧-١٩.

(*) النُّهَى: العَقْل، وهو في المعنى ثَباتٌ وحَبْسٌ. ومنه قوله تعالى:﴿إنّ في ذلك لآياتٍ لأُولي النُّهَى﴾ (الآية ٥٤من سورة طه). ولا يخلو أن يكون مصدراً كالهُدى أو جمعاً كالظُّلَم.نفسه، ٣/ ١٦.

(136) نفسه، ٣/ ، ١٥-١٧-١٨، ٤٢والعين، ١/ ١٥٩، مادة(عقل)وجمهرة اللغة، ٣/ ١٢٩، مادة(عقل) ومعجم مقاييس اللغة، ٤/ ٧٩، مادة (عقل).

(137) القاموس المحيط، ٤/ ١٨-١٩، مادة(العَقْل).والجدير بالذكر أنّ سيف الدين الآمدي يرى أنّ العقل يطلق بأحد عشر اعتباراً منها واحد جوهري (وهو عبارة عن ماهية مجرّدة عن المادّة وعلائق

على أنّ هذه الدلالات المعنوية للفظ العقل مأخوذة من دلالاته الحسية وهي الرّبط والحِصْنُ والملْجَأُ والدِّيَة.يُقال:عَقَلْتُ البعير أعْقِلُهُ:شَدَدْتُهُ بالعُقال، أي الرِّبَاط.والعَقِلُ من كلِّ شيءٍ: ما تحصَّنَ في المعاقِل الممتنِعة.وفُلاَنٌ مَعْقِلُ قَوْمِهِ: أي يلجؤُون إليه إذا ما حلَّ بهم أمرٌ.وعَقَلْتُ القَتيلَ: إذا أَعْطَيْتَهُ دِيَةً.(١٣٨)وسمِّيت الدِّيَةُ عَقْلاً لأنَّ الإبِل التي كانت تُؤخذُفي الدِّيّات تُوثَقُ بفناء المقتول، فسمِّيَت عقلاً، وإنْ كانت دَرَاهِمَ ودَنَانيرَ.كما أنّها قد سمِّيَت بذلك لأنّها تُمْسِك الدَّمَ وتحول دون الثّأر للقتيل.(١٣٩) والصِّلة معقودة بين الدلالة الحسية والدلالة المعنوية. فقد سمّي العقل(أي الحِجْرُ) عقلاً؛ لأنّه الحَابِسُ عن ذَميمِ القَول والفِعل والتهوُّر والتردِّي في المهالك.(١٤٠)

المادّة) والبقية أعراض وهي: العقل العملي والعقل النّظري (وهما ما وقعت الإشارة إليه في خواصّ النّفس الإنسانية)، والعقل الهيولاني (وهو عبارةٌ عن القوّة النظرية حالة عدم حصول الآلة التي بها التوصّل إلى الإدراك أو القوّة المطلقة، كقوّة الطّفل بالنسبة إلى معرفة الأشكال الهندسية ونحوها، والعقل بالملَكَة (وهي عبارة عن القوّة النظرية حال حصول آلة التوصّل إلى الإدراك، و لكن بالفكرة والرَّويَة ؛ كحال الصبيّ العارف ببسائط الحروف والدّواة والقلَم والمفتقر حال الكتابة إلى الفكرة والرّوِيَة. وقد يسمّى هذا العقل بالقوّة التمكينية.والعقل بالفعل(وهو عبارة عن القوّة النّظرية التي احتوت على حصول المدركات غير مفتقرة حال حصولها إلى الفكرة والرّوِيَة؛ كحال المستَكْمل في الكتابة ونحوها).ومنها العقل القدسي(وهو عبارة عن القوّة النّظرية التي من شأنها تحصيل المدركات من غير تعليم وتعلُّم؛ كحال النّبيّ ﷺ والعقل المستفاد (وهو عبارة عن القوّة النّظرية حال كونها عالمة ومُدْرِكة؛ كحال الإنسان عند الكتابة). وقد يطلق العقل(على ما حصّله الإنسان بالتجارب، ويسمى العقل التجريبي). وقد يطلق(على صحّة الفِطْرة الأولى)أو(على الهيئة المُستحسنَة للإنسان في أفعاله وأحواله).ينظر: المُبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلّمين، ص ١٠٦-١٠٨.

(138) العين، ١/ ١٥٩-١٦١، مادة (عقل) وجمهرة اللغة، ٣/ ١٢٨ -١٢٩، مادة (عقل) والصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص ١٧٦٩، مادة(عقل) والقاموس المحيط، ٤/ ١٩، مادة (العَقْل).

(139) معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٧١، مادة(عقل).

(140) معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٦٩، مادة (عقل) ولسان العرب، ١١/ ٤٥٨-٤٥٩، مادة (عقل).

ولم يفُت ابن سيده ضمن(باب اللَّحَق والإدرَاك) أن يقف على دلالة الإدراك الحسّية المتمثّلة في اللّحاق بالشّيء وطلب الحاجة، فقال نقلاً عن صاحب العين: الدَّرَكُ اللَّحَاقُ، وقد أدرَكتُهُ: لَحِقتُهُ وبلَغتُه، وتدَارَكَ القومُ:لَحِقَ أوّلُهم آخِرَهُم.والدَّرَاكُ: لَحَاقُ الفَرسِ الوَحْشَ وغيرها، والدَّريكةُ الطَّريدةُ.(١٤١)

كما أورد في(باب حِبَال الاستِقاء وغيرها)قول أبي عبيد من أنّ الدّرَك:حَبْلٌ يُوَثّقُ في طرف الحَبْل الكبير في الدَّلْوِ ليكون هو الذي يَلِي الماءَ فَلا يَعْفَنُ الحَبْلُ وأنّه في عُرف ابن دريد:القِطعَةُ من الحَبْل تُقرَنُ بأخرى، والجمع أدْراكٌ ودِرَكَةٌ ودُرُوكٌ.(١٤٢) ويدلّنا القرآن الكريم على أنّ الدَّرَك: واحد من أدْرَاك جهنّم، قال تعالى:﴿إنَّ المنافِقينَ في الدَّرَك الأسفَل من النَّارِ ولَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصيراً﴾.(١٤٣)والدَّرْكُ: لغةٌ في الدَّرَك الذي هو القَعْرُ.(١٤٤)

و قد دلّنا ابن قتيبة والخليل قبله على المعاني المجرّدة التي اكتَسبَتها دلالة الإدراك تباعاً.فأصلُ ادَّارَكَ في قوله تعالى:﴿ قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ في السَّمَواتِ والأَرْضِ الغَيْبَ إلاّ اللّهُ ومَا يَشْعُرُونَ أَيّانَ يُبْعَثُونَ بَلِ ادَّارَكَ علمُهُم في الآخِرَةِ بَلْ هُمْ في شَكٍّ مِنْهَ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾:(١٤٥) تَدَارَكَ، فأُدغِمَت التّاء في الدّال وأُدخلَت ألف الوصل ليسلم للدّالِ الأولى السُّكُونُ. ومعنى تَدَارَكَ: اجتمع وتَتابع وَ علمهم: حُكْمهم على الآخرة وحَدْسُهُم الظّنُون. وأراد:وما يشعُرون إلاّ يَتَتَابع الظّنُون في علم الآخرة، فهم يقولون: تارةً: إنّها تكون، وتارةً: إنّها لا تكون، وما يعلم غَيْبَ ذلك إلاّ اللهُ تعالى.وكان ابن عبّاس، رضي الله عنه، يقرؤُها: ﴿بَلَى أَدَّارَك عِلْمُهم﴾ بفتح ألفها على وجه الاستفهام على أنّ لم يُدْرَك. وهذه القراءة، في رأي ابن قتيبة، أشدّ إيضاحاً للمعنى؛ لأنّه قال:وما يشعرون

---

(141) المخصص، ١٣/ ١٥١، وينظر: العين، ٥/ ٣٢٧، مادة(درك)وجمهرة اللغة، ٢/ ٢٥٤، مادة(درك).

(142) المخصص، ٩/ ١٧٧وجمهرة اللغة، ٢/ ٢٤٥، مادة(درك).

(143) الآية ١٤٥ من سورة النّساء.

(144) العين، ٥/ ٣٢٧، مادة(درك).

(145) الآيتان ٦٥-٦٦ من سورة النّمل.

آيان يبعثون؛ ثمّ قال:بل تداركت ظنّونهم في علم الآخرة ؛ فهم يَحْدِسُون ولا يَدْرون.[146]وقوله عزّ وجلّ، عن الحَسَن:﴿بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهم في الآخرة﴾ فهو في تأويل الخليل جَهِلُوا عِلْمَ الآخرة، أي: لا عِلْمَ عندهم في أمرها [147] كما أنّ: لإدراكَ: فَنَاءُ الشَّيءِ. يُقال: أَدْرَكَ هذا الشيء، أي: فَنِيَ.[148] وفي ذلك ما يقوم دليلاً على أنّ البدايات الحسّية ارتبطت ببساطة التفكير العقلي عند الإنسان البدائي لارتباطه الوثيق بعالم المحسوسات، ولم يكن قادراً على إدراك ما هو معنوي مجرّد إلاّ بعد التطوّر الإيجابي للعقل البشري نتيجة تعامله الطّويل مع الطبيعة، والاستفادة من التجارب العديدة التي مرّ بها، والخبرات الكثيرة التي عاشها.فكلُّ هذه العوامل أكسبته القدرة على التجريد، ومكّنته من توظيف رصيده من الألفاظ فيما يعرض له من مواقف تقتضي منه الإفصاح عن معانٍ مجرّدة إلى التعبير عمّا هو معنوي ومجهول.[149] وقد أكّدت الدّراسات أنّ أوّل ما يحصّله الطّفل يكون عبارةً عن معاني المحسوسات، ولا سيّما معاني الكلمات الدّالّة على أعضاء الجسم، وعلى الأدوات التي يستخدمها، ثمّ يدرك بعد حين أنّ كلمةْعينْ مثلاً تدلُّ على جزءٍ من جسمه، وبعد أن يتعرّف إلى ما يحيط به يدرك المعاني وفق العضو، وبهذا يرتقي تفكير الإنسان على استخراج الدلالات المجرّدة وتوليدها والاعتماد عليها في استعمالاته المختلفة بما تمليه طبيعة إعمال الفكر البشري.[150]

ب-الانتقال من مجال إلى مجال:

إنّ النّقل بين الدلالات ليس مقصوراً على نقل الدّلالة المحسوسة إلى المجرّدة أو

---

(146) تأويل مشكل القرآن، ص ٣٥٤-٣٥٥وإملاء ما منّ به الرّحمن، ص ١٧٤- ١٧٥ وينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس، ص ٣٢١.

(147) العين، ٥/٣٢٨، مادة (درك) وينظر: إملاء ما منّ به الرّحمن، ص ١٧٤.

(148) العين، ٥/٣٢٨، مادة (درك).

(149) عوامل التطور اللغوي، ص ١٢٨ويعض مظاهر علم الدلالة العربي من خلال ديوان حسّان بن ثابت، ص ٣١٦.

(150) ينظر:علم اللغة، لعبد الواحد وافي، ص ١١٠-١٦٥.

العكس، بل قد يتمّ بين المحسوسات بعضها مع بعض لصلة الدّلالتين في المكانية أو الزّمانية أو اشتراك في جزء من الدّلالة.(١٥١)

ومن أمثلة ذلك في اللغات الأوروبية لفظة(Couvent) التي كانت تدلّ حتى القرن الثامن عشرعلى" مأوى امين،"تجد فيه النّساء أسباب الرّاحة بعيداً عن المتابعة القضائية أو المعاملة السيّئة "(Asil ou les femmes peuvent trouver gîte et nourriture) نُقلت إلى الدلالة على"مكان لا يتّسع إلاّ للرّاهبات منهنّ".(١٥٢)

وقد أورد القدماء أمثلة لهذا الانتقال وفي مقدمتهم ابن دريد الذي ساق في(باب الاستعارات) من جمهرته ما يدلّ على انّ(الخُرْس): "ما تُطْعَمُهُ المرأةُ عند نِفَاسِها ثمّ صارت الدّعوة للولادة خُرْساً".ونحو ذلك (الذّقْن) التي تستعمل في خطاب النّاس بمعنى اللّحْيَة في قولهم: أُخِذَ من ذَقْنِه أي من أطراف لِحْيَتِه، فلمّا كانت اللّحيَةُ في الذّقْنِ استُعمِل في ذلك".وأصلُ (الظّعينة)": المرأ ةُ في الهَودَجِ ثمّ صارالجَمَلُ ظَعينةً والهَودَجُ ظَعينةً كذلك.و(الرّوَايَةُ)": البَعيرُ الذي يُستَقى عليه ثمّ صارت المَزَادةَ رَاوِيَةً".كما أنّ الشّعْرَ الذي يُولَدُ به الجنينُ أوالفَصيلُ يسمّى:(العَقيقَة)، ثمّ صار ما يُذبَح عند حلق ذلك الشّعْر عقيقةً.(١٥٣)

وذكر ابن فارس أنّ العرب تسمّي السّحاب والمطر (سَمَاءً) وتجمعه بناءً على المعنى على سُمِيٍّ (١٥٤)على التأنيث(١٥٥) وأَسْمِيَة على التذكير.(١٥٦)قال أبو عليّ الفارسي معلّقاً ومُخرِّجاً": أنا أقول تذكيرهم لهذا يدلُّ عندي على أنّهم سَمُّوا المَطَر سماءً لارتفاعه لا

---

(151) دلالة الألفاظ ص ١٦٥ - ١٦٦.

(152) Christian Bylon-Xavier Mignot. Sémantique du Langage-Initiation-p215.

(153) جمهرة اللغة، ٣/ ٤٣٢-٤٣٣ وكتاب المأثور من اللغة ما اتفق لفظه واختلف معناه ص٨٣ وينظر: المخصص، ٩/ ٣ والفَرْق لابن فارس، ص ٥٢-٥٣.

(154) معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٩٨، مادة(سمو).

(155) الأزمنة وتلبية الجاهلية، ص ١١والمخصص، ٩/ ٢/ (باب ذكر السّماء والفَلَك).

(156) ينظر:المخصص، ٩/ ٣، (باب ذكر السّماء والفَلَك).

أنهم سَمُّوه سماءً لنزوله من السَّماء.[١٥٧] ألا ترى أنّه لو سُمِّي على هذا الحَدِّ سَمَاءً لَبَقِيَ على تأنيثه ولم يُذكَّر فتذكيرُه يدلُّ على أنّه اسمٌ آخرُ فليس منقولاً من التي هي خلاف الأرض؛[١٥٨] فدلاّنا بذلك على أنّ السَّماء تذكّر وتؤنّث والتأنيث فيهاأكثر.[١٥٩]وذهب ابن الشَّجْرِيّ(ت٥٤٢هـ) إلى أنّ العربَ يُسمّون النَّباتَ سَمَاءً للمجاورة، فَيَقُولُونَ: ما زِلْنا نَطَأُ السَّمَاءَ حتّى أتَيْنَاكُم، يُريدونَ: الكَلأَ وماءَ المَطَرِ.[١٦٠]

كما اعتمد ابن فارس على هذا النّوع من الانتقال في كتابه الفَرْق. ففي(باب الشَّعْر)منه تُستَوقِفُنا لفظة(السَّبيخة) وهي عنده من القُطْن بمثابة الخصلَة من الشَّعْر.[١٦١] غير أنّه أورد لها في الباب نفسه مثالاً يدلُّ كذلك على أنّها:ما سقط من ريش الطَّائر.

وهو انتقال حسّي من معنى حسّي إلى معنى حسّي آخر تفطّن إلى أمثلته أبو هلال العسكري ومنهْ تسميّة الرّجُل الذي أدركَ الجاهلية والإسلام مُخَضْرَماً. وأصله من قولهم:خَضْرَمْتَ الغُلامَ: إذا خَتَنْتَهُ، والأُذُنَ: إذا قطعتَ من طرفها شيئاً وتركتَه يَنُوسُ(*)فكأنَّ زمان الجاهلية قطَعَ عليه.وقال بعضهم: المُخَضْرَمَةُ: الإبل التي نُتِجَتْ من العِرَاب(*)واليمانيّة، فقيل:رجلٌ مُخَضْرَمٌ إذا عاش في الجاهلية والإسلام، وهذا أعْجَبُ القولَيْن إليّ.*[١٦٣]

---

(157) وفي ذلك ردٌّ على من أقرّ ذلك. ينظر: ما اتّفق لفظه واختلف معناه لأبي السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن علي الحسني المعروف بابن الشَّجْري، تحرير وتحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص ١٤٤.

(158) المخصص، ٩/ ٣(باب ذكر السّماء والفَلَك).

(159) الأزمنة وتلبية الجاهلية، ص ١١والمخصص، ٩/ ٢(باب ذكر السّماء والفَلَك).

(160) ما اتفق لفظه واختلف معناه لابن الشَّجْري، ص ١٤٤.

161) الفَرْق، ص ٥٣.

(*) ينوسُ: يتذبذب ويضطرب. ينظر:القاموس المحيط، ٢/ ٢٦٦، مادة(النّوس).

(*) العِرَابُ: العتاق الكريمةُ. ينظر: القاموس المحيط، ١/ ١٠٦، مادة(العرب).

(163) من كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري، ص ٧٤ القاموس المحيط، ٤/ ١٠٩، مادة (الخِضْرِمُ).

وهوما أيّده ابن فارس مؤقّتاً، ذلك لأنّه لم يستبعد إمكانَ أن يكون ذلك لأنَّ رُتْبَتَهم في الشّعر

وعبارته التالية تدلُّ على أنّ أهل الجاهلية كانوا يقولون: رجُلٌ صَرُورَةٌ، إذا بَلَغَ النِّهاية في العِبَادة، فصار ذلك في الإسلام اسماً لمَنْ لَمْ يحُجّ.(١٦٤)

وقد تناول الثعالبي ذلك في فصل يناسب ويُقاربُ (باب الحَمْل على اللفظ والمعنى للمجاورة)، فقال: العربُ تسمّي الشّيء باسمِ غَيْرِهِ إذا كان مُجاوراً لهُ أو كان منه بسَبَبٍ كتسميتِهِم المطَرَ بالسَّماء لأنّه منها يَنْزِلُ وفي القرآن الكريم:﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عليكُم مِدْرَاراً﴾(١٦٥) أي: المَطَر. وكما قال جلّ اسمه:﴿ إنّي أرَاني أعْصِرُ خَمْراً﴾ (١٦٦) أي: عِنَباً، ولا خَفَاءَ بمُناسَبَتِهِما.(١٦٧)

وإذا كان ما سقناه من أمثلةٍ لا يعدو أن يكون انتقالاً للدلالات إلى دلالات أخرى تشترك معها في المكان والزّمان فإنّ في اللغة ما يدلّ على اشتراك الدّلالتين في بعض المعنى.وألفاظ هذا الضّرب تشبّه عادة بالدّوائر المتقاطعة التي تشترك في أجزاء متفاوتة من

نقصت ؛ لأنّ حال الشّعر تكامنت (فترت للمكانة التي احتلّها القرآن الكريم وما تركه من أثر على حالة الشّعر) في الاسلام لمّا أنزل الله جلّ ثناؤه من الكتاب العربي العزيز.وهذا عندنا هو الوجه ؛ لأنّه لوكان من القطع لكان كلُّ من قُطع إلى الإسلام من الجاهلية مخضرماً، والأمر بخلاف هذا.

الصاحبي في فقه اللغة، ص ٩٠ وهامشها رقم١ وينظر: القاموس المحيط، ٤/ ٢٦٥، مادة(كرن).

(164) من كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري، ص ٧٤ القاموس المحيط، ٢/ ٧١، مادة (الصرّة).

وورد عن ابن فارس قوله: حدّثني علي بن أحمد بن الصبّاح قال: سمعتُ ابن دُريد يقول: أصلُ الصّرورة أنّ الرّجل في الجاهلية كان إذا أحدث حدثاً فلجأ إلى الحَرَم لم يُهْجَ وكان إذا لقيه وليّ الدّم في الحرم قيل: هو صرورةٌ فلا تهجه.ثمّ كثُر ذلك في كلامهم حتى جعلوا المتعبّد الذي يجتنبُ النّساء وطيبَ الطّعام: صرورة وصروريّاً...فلمّا جاء الله جلّ ثناؤه بالإسلام وأوجب إقامة الحدود بمكّة وغيرها سمّي الذي لم يحُجّ صرورةً خلافاً لأمر الجاهلية، كأنّهم جعلوا أنّ تركة الحجّ في الإسلام كترك المتألّه(المتعبّد والمتنسّك) إتيان النّساء والتنعّم في الجاهلية. الصاحبي في فقه اللغة، ص ٩٢ والقاموس المحيط، ٤/ ٢٨٢، مادة(أله).

(165) من الآية ٥٢ من سورة هود والآية ١١ من سورة نوح.

(166) من الآية ٣٦ من سورة يوسف.

(167) فقه اللغة وسرّ العربية، ص ٣٤٧-٣٤٨.

سُطُوحها، والتي يجعلها الاستعمال في دَوَرانٍ مستمرٍّ على الألسنة[(١٦٨)]على شاكلة لفظ (النَّبيل) حين يستعملُ بمعنى(الشَّريف)أوالعكس، ومع أنَّ(النُّبل) هو (الذَّكاءُ والنَّجَابَة)[(١٦٩)] والشَّرَفُ (العُلُوّ).[(١٧٠)]ومثل ذلك(النَّبيه) حين يستعمل في خطاب النّاس بمعنى (الذكيّ) على الرغم أنَّ النّباهة هي السّمُوّ والشُّهرة. [(١٧١)]

أمّا ما جاء من هذه الظاهرة في المخصص، فقول ابن سيده في(باب ذكر السّماء والفَلَك) من كتاب (الأنواء) على لسان أبي حنيفة الدّينوري وأبي عليّ الفارسي: الفَلَكُ: مَدَارُ النُّجُوم الذي يضمُّها وهوفي اللغة اسمٌ يقعُ للاستدارة ومنه قيل للنَّجَف[(*)] من الأرض: فَلَكٌ، وفَلَّكَ: تَدْيُ الجارية عند استدارة أصله قبل النُّهود. وفَلَكُ الرَّوْض: ما استدار منه كثرةً والتفافاً.[(١٧٢)]

ومنه ما ساقه ابن سيده على لسان ابن دريد في(باب وُرود الماء والمَصْدَر عنه):الوِرْدُ: الحظُّ من الماء ثمّ كثُر ذلك في كلامهم حتّى سمّي القومُ الذين يَرِدُون الماء وِرْداً والجميع أَوْرادٌ. [(١٧٣)]

على أنّ أكثر ما سُقناه من ألفاظ هذا الحيّز الذي يختلف في مجاله عن التعميم والخصوصية ترتبط بالمجاز وبالاستعارة ومعنى التشبيه ؛ لأنَّ نقل اللفظ دالاًّ من مجال إلى آخر إنّما يستند إلى مسوّغات الشّبه الشكلي أو الوظيفي بين المجالين، أو بين الجزأين الماديين اللذين تحرّك اللفظ بينهما.[(١٧٤)] وهذه القرينة مردّها العرف ممّا يدلّل على أنّ

---

(168) دلالة الألفاظ ص١٦٥ – ١٦٦.

(169) القاموس المحيط، ٤/ ٥٥، مادة(النُّبل).

(170) نفسه، ٣/ ١٦٢، مادة(الشَّرَف).

(171) معجم مقاييس اللغة، ٥/ ٣٨٤، مادة(نبه) والقاموس المحيط، ٤/ ٢٩٥، مادة (النَّبْهُ).

(*) النَّجَفُ: مكانٌ قطعٌ من الأرض مستديرةٌ مُرتفعةٌ عمّا حولها، والجمع: نِجَافٌ.ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٤٥٢، مادة (فلك) ويوازن بما جاء في المصدر نفسه، ٥/ ٣٩٤، مادة(نجف).

(172) المخصص، ٩/ ٦ وأدب الكاتب، ص ٨٥ومعجم مقاييس اللغة، ٤/ ٤٥٢، مادة(فلك).

(173) المخصص، ٩/ ١٥٥ وجمهرة اللغة، ٢/ ٢٥٨، مادة(ورد).

(174) علم الدلالة العربي النّظرية والتطبيق، ص ٢٨٢.

الدلالة المجازية عرفية وهو ما يعرف بالوضع النّوعي التأويلي.أمّا النّوع: فوضع كذا بإزاء علاقة كذا.وأمّا التأويلي فبقرينة كذا، ومن ثمّ فدلالة المجاز على المعنى مطابقية ؛ لأنّها دلالة اللفظ على تمام الموضوع له."[175] فاللفظ هنا يتّخذ سبيلاً يجتاز فيه ما بين نقطة تداوله إلى نقطة أخرى يجري استعماله فيها وبهذا تزداد الثروة الدّلالية، فيتمكّن العربيّ من إعطاء اللّمحات المختلفة للنّفس وللأفعال والهيئات والأشياء.[176]

وخلاصة لكلّ ما تقدّم، فإنّ ما يلحظ في حالات التطوّر الدلالي في العربية أنّ عملية التغيّر أو التحوّل يُرافقها غالباً نشاط اشتقاقي تبعاً للبنية العامة للغة.[177]كما أنّ تداعي المعاني لعلاقات الجوار والمشابهة لا يجعل الدّلالة ثابتة، وحين تنقرض العادة ينقرض اللفظ أو يتحوّلُ في الاستعمال أو تتطوّر البيئةُ فتتغيّرُ الألفاظ في مدلولاتها؛كما أنّ مألوف الاستعمال المجازي خلفاً عن سلف يثبت النَّقْلَةَ.على أنّ بعضاً من مفردات العربية يأوي إلى ركنٍ ركينٍ في المعجم تتحصّنُ به وتُبقي مصونةً في الفصحى، لغة القرآن الكريم والسنّة النّبويةِ والأدب العربي.[178]

ومهما يكن من أمر التطور الدلالي في أبعاده المختلفة، فإنّه من العسير إثبات الصلة التاريخية بين الدلالات ناهيك عن افتراض الأصالة في لفظ والفرعية في آخر؛ لأنّ تاريخ الألفاظ غامض، وقد أصبح من العسير، إن لم يكن من المتعذّر، الاستدلال على الظروف التي تمّ في ظلّها ذلك التطوّر." والحقّ أنّ الألفاظ ليست مُلوكاً أو حُكّاماً ليعنى النّاس بتاريخها، أو ليؤرّخوا مراحل تطوّرها.ولهذا لا نغالي فنسلك مسلك الاشتقاقيين من الرّبط بين الدلالات لمجرّد الاشتراك في لفظ من الألفاظ؛ لأنّ الاشتراك في اللفظ قد لا تكون له أيّ أصالة، بل هو مجرّد مصادفة نشأت عن التطوّر الصوتي في إحدى الكلمات

---

(175) المجاز وأثره في الدرس اللغوي، ص ١٣٢.

(176) ينظر: علم اللغة بين التراث والمعاصرة، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(177) ينظر:علم الدلالة النظرية والتطبيق، ص٣١٤.

(178) ينظر: علم اللغة العام لتوفيق محمد شاهين، ١٦١-١٦٤.

حتى أصبحت مماثلة لكلمة أخرى.(١٧٩) ولهذا، فإنّ كلّ محاولة لرسم بطاقة شخصية للفظة الواحدة تجلي تاريخها وحياتها وتوضّح اشتقاقها ودرجة أصالتها من حداثتها هو أمرٌ مُستساغٌ من الناحية النظرية ومُتَعَذرٌ من الناحية التطبيقية وأكبر من أن تفي به وظائف التحليل والتعليل المقترحة الكفيلة باستنطاق كثرة سعة اللغة العربية وكثرة ألفاظها المانعة من الإحاطة بها.(١٨٠)

(179) دلالة الألفاظ ص ١٦٣.

(180) التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية سنة١٩٢٩م المستشرق الألماني برجستراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص ٤٠٦-٢٠٧.

الفصل الثالث

السياق وشعبه

١) تمهيد: السياق بين اللغة والاصطلاح:

يقول ابن فارس: "الراء والسين والواو والقاف أصلٌ واحدٌ، وهو حَدْو الشّيء. يُقال: سَاقَهُ يَسُوقُه سَوْقاً. والسِّيقَةُ: مَا استيقَ من الدَّوَابّ. ويُقالُ: سُقْتُ إلى المرأةِ صَدَاقَها، وأَسَقْتُهُ. والسُّوقُ مشتقّةٌ من هذا، لِمَا يُسَاقُ إليها من كلِّ شيءٍ، والجمع أسواقٌ. والسَّاقُ للإنسان وغيره، والجمعُ سُوقٌ، إنّما سمّيَت بذلك لأنَّ الماشي يَنْسَاقُ عليها".[1] ومن المجاز: سَاقَ اللهُ إليكَ خيراً، وسَاقَ إليها المَهْر، وساقت الرِّيحُ السَّحَابَ، وأَرَدْتَ هذه الدّارَ بثَمَنٍ فَسَاقَها اللهُ إليكَ بلا ثَمَنٍ، والمُحْتَضَرُ يَسُوقُ سِيَاقاً: نزَعَ عند المَوتِ، وفُلانٌ في ساقةِ العَسْكَرُ: في آخره وهو جمع سَائق، وتَسَاوقَتِ الإبِلُ: تَتَابعَت، وهو يَسُوقُ الحديثَ أَحْسَنَ سِيَاق، وجِئْتُ بالحديثِ على سَوْقِهِ: على سَرْدِه، وقامَ على ساق في حَاجَتِي: إذا جَدَّ فيها، وقَرَّعَ للأمر سَاقَهُ وظُنْبُوبَهُ(*): تَشَمَّرَ لهُ وجَدَّ فيه ولَمْ يَفْتُرْ،[2] ووَلَدَت فلانة ثلاثةَ بَنِينَ على ساق واحد: أي بعضُهُم في إثر بعضٍ ليس بينهم جاريةٌ وسُوقُ الحَرْبِ: حَوْمَةُ القِتَالِ، ووَسَطُهُ.[3] وهذه المعاني جميعها لاتعدو أن تكون حَدْواً وتتابُعاً.

أمّا مفهوم السياق من حيث الاصطلاح، فيدلُّ على تتابُع الكلام وأسلوبه الذي يجري عليه،[4] ويقصد به جِوارُ الكلمات في التّلاصُق الرُّكْني للجُمَل في الملفوظ أي ما

---

(1) معجم مقاييس اللغة، ٣/ ١١٧، مادة(سوق).

(*) الظُّنْبُوبُ: حَرْفُ السَّاقِ من قُدُم حَرْفُ عَظْمِه اليَابس. ينظر: القاموس المحيط، ١/ ١٠٣و معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٤٧٠، مادة(ظنب).

(2) ينظر: مجمع الأمثال، ٢/ ٩٣. ومن أمثلته: "قَدْ شَمَّرَتْ فَشَمِّرِي" ويضرب في الحثّ على الجِدِ في الأمر. و"قَدَحَ في سَاقِهِ" ويُضرَبُ لِمَنْ يَعْمَلُ فِيمَا يَكْرَهُ صَاحِبُهُ. ينظر: نفسه، ٢/ ٩٣.

(3) أساس البلاغة، ص ٣١٤، مادة(سوق).

(4) المعجم الوسيط، ١/ ٤٦٥، مادة(ساق).

يسبقُها وما يلحقُهامن مفردات.وعادةً ما تعدّ العوامل الصوتية والنحوية والصّرفية في تركيب الكلام مظهراً سياقياً أو تركيباً.(٥) كما يُقصد به ما يصاحب اللفظ ممّا يساعد على توضيح المعنى وقد يكون التوضيح بما يَرِدُ فيه اللفظ من الاستعمال؛وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسّراً للكلام؛ وقد تكون العلاقة بين هذا الكلام وبين كلام آخر أو غير كلام مدعاةً إلى استعمال اللفظ بالطّريقة التي يستعمل بها في اللغة.(٦)وهو بذلكْ جسمٌ حيٌّ أو مجموعة من المواقف والإمكانات المتفاعلة، وفيه تقاطعات مستمرّة.(٧)

ومن مظاهر ذلك مثلاً مجاورة الأصوات بعضها ببعضٍ في كلمة واحدة أو في كلمتين، فالتقاء صوتين في سياقٍ واحد قد يؤدّي إلى التصرّف في أحدهما بالإبدال؛ إذ ليس كلّ حرف صالحاً لأن يجاوره حرفٌ آخرُ.كما أنّ شكل المقطع ومخرج الحرف وصفاته والملحقات الصرفية وغير ذلك هي العوامل التي تحدّد ورود حرف بعينه في موقع بعينه أو عدم وروده.(٨)

كما يُقصَد به مجموعة العوامل والظُّروف الاجتماعية وخاصّة الثقافية التي أحاطت وتحيط بالمتكلّم والسّامع لذلك، فهي تنعت بعوامل وظروف مواقفية كما يقال:سياقٌ مواقِفي.(٩)وهو ما أطلق عليه ابن خلدون الأداء والأسلوب، فأكّد أنّهعبارة عن المِنْوَال الذي يُنْسَجُ فيه التّركيب أو القَالبُ الذي يُفرَغُ فيه، ولا يرجعُ إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، أي النّحو، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خَواصّ التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعمله

(5) اللغة والدلالة، ص ١٦٠وينظر: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، لتامر سلّوم، دار الحوار، ط١، اللاذقية، سورية، ١٩٨٣م، ص ١٣-١٧٦.

(6) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ١١٦.

(7) نظرية اللغة والجمال في النّقد العربي، ص ٣١٨.

(8) مناهج البحث في اللغة، ص ١٦٣ ونظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ٤٤-٤٥.

(9) اللغة والدلالة، ص ١٦٠وينظر: Mustapha Zaoui, Sémantique et etude de langue , office des publications universitaires, Alger,1993,p66-67.

العربُ فيه الذي هو وظيفة العَروض، وإنّما يرجعُ إلى صورةٍ ذهنية للتراكيب المنتظمة كلّيةً باعتبار انطباقها على تركيبٍ خاصٍّ، وتلك الصُورة التي ينتزعُها الذّهْنُ من أعيانِ التراكيب وأشْخاصها ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال ثمّ ينتقي التراكيب الصّحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيَرُصُّها رَصّاً، كما يفعلُ البَنّاءُ في القالَب والنسّاجُ في المِنوال حتّى يتّسعَ القالبُ بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ووقعَ على الصُورة الصّحيحة باعتبار مَلَكةِ اللّسان العربي فيه، فإنّ لكلِّ فنٍّ من الكلام أساليبَ تختصُّ فيه وتُوجد فيه على أنحاء مختلفة."(١٠)

وبناءً على ما تقدّم من تعاريف، فإنّ السياق هو تلك العلاقة المشتجرة بين جمل النصّ وعباراته وتجاوب الأصداء التي يصدرُها كلُّ قسمٍ منها في طرف فيَلْقاه طرفٌ آخرُ ليتّضح ويتكامل.كما أنّ مصطلحْ مَقامْ (Contexte) يعني هذا التفهّم للتجربة من خلال مكوّنات العمل الإبداعي.فالكلمات لا يقف مدلولها عند تلك الإشارة والشّرح في المعجم(الدّلالة المعجمية) بل نبحث عن " الدّلالات النّحوية"المضافة إلى الدّلالة العامّة و"الدّلالة الصّرفية"وهي رمز صوتي وشكلي(الكتابة) لشيءٍ مادّي أو لمفهومٍ أو فكرةٍ أو علاقةٍ تُدرَك بالذّهن والتأمُّل لا بالحِسّ.كما نواجه علاقات أخرى هي "الموقعية" (Situation) وتعني ما يتّصل بالزّمان والمكان والأشخاص والإطار الذي تتحقّق فيه

---

(10) مقدمة ابن خلدون، ص ٥٦٩-٥٧١. وقد عدّه صلاح فضل أدقّ تحديد للأسلوب، على تأخّره، فقال: " ومن الواضح أنّ هذا المفهوم التركيبي الدقيق للأسلوب إنّما اصطلاحي لا لغوي وسبق بقرون دخول الأسلوب في المصطلح النّقدي الأوروبي.فقد استُخدم منذ أوائل القرن التّاسع عشر في معجم"Grimm" ووَرَد لأوّل مرّة في اللغة الإنجليزية كمصطلح عام ١٨٤٦م طبقاً لقاموس"أوكسفورد" ودخل القاموس لأوّل مرّة كمصطلح عام ١٨٧٢م".ينظر:علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته لصلاح فضل، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص ٨٢-٨٣. على أنّهُ يمكن إدراج تعريف ابن خلدون مؤقّتاً ضمن " الأسلوبية السياقية"التي يعدّ ميكائيل ريفاتير(Michael.R) رائدها. ينظر: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص لهنريش بليث، ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري، منشورات دراسات.سال، ط١، البيضاء، ١٩٨٩م، ص ٣٨.

الحوادث، فتتبلور هاهنا دلالة سياقية قد تختلف زيادةً أو نُقصاناً على ما كانت عليه قديماً في الأزمنة الغابرة أو في بيئاتٍ بأعيانها.فهي تعيش تطوّراً دلالياً ينبغي التنبيه إليه لنفهمَ أبعادَ اللغة المشكّلة للتجربة الشُّعورية، وندرك ضرورة التأمّل مع معجم المعاني وفق خصائص ذاتية فيه تنطلق بعد ذلك لتفسّر خصوصيته وتفرّده، وهذا يتضمّنُ عقد الأواصر بين المواد اللغوية والثقافية التي نبع منها العمل المعجمي وتأطّر بها.وهكذا يتّضح استخدامنا للسياق في هذا البحث في معنى أوسع بكثير من معناه اللغوي.

٢)- أنواع السياق:

ترجع النظرية السياقية(The contextuel theory) في أساسهاإلى اللغوي الإنجليزي جون رويرث فيرث (J.R.Firth)(ت١٩٦٠م) وقد عدّ كلّ من بازل (Bazell)وكاتفورد (Catford)وهاليدي (Halliday)وروبنـز (Robins) النظرية السياقية للغة أحد الأعمال البارزة يمكن تتبّعها فيما ألّفه فيرث(Firth):و بمقتضى هذه النظريةفإنّ المعنى يفسّر باعتباره وظيفة سياقية.[١١] يقول: فيرث (Firth): إنّ المعنى لا يظهرُ إلاّ في السياق الذي تستخدم فيه الكلمة أو الجملة. ولذلك فقد يكون للكلمة الواحدة أكثر من معنى تبعاً لسياقات ورودها المختلفة التي يمكن أن تستخدم فيها. ويشتمل السياق على عناصر عدّة منها: المتحدّثون واللغة التي يستخدمونها(السّلوك اللغوي) والسّلوك غير اللغوي(ما يصدر عن المتكلّم من إشارات أوتعابير وجه)والمكان والزّمان اللذان يدور فيهما الحديث. [١٢]

فقد يعمد المتكلّمون مشافهة إلى وضع لغة تخاطبهم في إطار زماني ومكاني معيّن، ويُحاط عملية التخاطب عادة بجملة من الملابسات والأحوال والظروف التي تتكاتف جميعاً في التأثير في دلالة الخطاب الحرفية، ويميل المتكلّم أحياناً إلى استخدام بعض الإشارات والإيماءات المساعدة على إيضاح فكرته وإبلاغها إلى السامع. كما تتدخّل

---

(11) وصف اللغة العربية دلالياً، ص ٩٩.

(12) مقدمة في اللغويات المعاصرة لشحدة فارع وموسى عمايرة وجهاد حمدان ومحمد العناني، دار وائل للنشر والتوزيع، ط١، عمّان، ٢٠٠٠ م ص ١٨١.

عوامل أخرى في عملية التخاطب منها ما يتعلّق بشخصيات المتخاطبين وحياتهم الخاصّة، ومنها ما يدخل في الإطار الاجتماعي كثقافة المتخاطبين وتاريخهم الاجتماعي والعلاقة بينهم، ومنها ما هي وليدة الموقف بحيث تحكمها ظروف الزمان والمكان التي وقع فيها الكلام.(١٣) فمن منطلق هذه القرائن جميعها ينشأ السياق، (*)فتعدّد معاني اللّفظ الواحد بتعدّد سياقات وروده وهو ما أوحى إلى متبنّي المنهج السياقي إلى التعبير عن وجهة نظرهم انطلاقاً من أنّ المعنى لا ينكشف إلاّ من تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، وذلك بقولهم:"إنّ معظمَ الوحدات الدّلالية تقع في مجاورة وحداتٍ أخرى، وأنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلاّ بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورةً لها."(١٤) وفي ذلك تابع للكلام وأسلوبه الذي يجري عليه في دلالات سياقية وتتنوّع شعَبُه كالتي حدّدت ملامحهاْمدرسة لندنْبريادة " فيرث"(Firth). وقد اقترحك.آمير" (K. Ammer)أن تكون في أربع شعب تشمل(١٥):السياق اللغوي والسياق العاطفي والسياق الثقافي وسياق الموقف.(١٦)

---

(13) وصف اللغة العربية دلالياً، ص ١٣٧ وفقه اللغة في الكتب العربية، ص ١٦٣.

(*) وقد سمّاه بعض المحدثين بـ"المساق" وهو لفظ قليل الاستعمال لم يأخذ الطّابع الاصطلاحي قديماً ولا حديثاً ، وإن استخدم أحياناً في معناه اللغوي الذي يفيد معنى"سرد الحديث" يُقال: ساق الحديث: سَرَدَه وسَلْسَلَهُ.ينظر: وصف اللغة العربية، دلاليا، ص ١٣٧ونظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص ١٠٩، ٣١٨ وينظر: المعجم الوسيط، ١/ ٤٦٤، مادة (ساق).

(14) علم الدلالة لأحمد مختار عمر، ص ٦٩-٧٠.

(15) نفسه، ص ٦٩.

(16) لعلّه من المفيد هنا أن نذكر أنّ بعض المحدثين في حديثهم عن المعنى ونظرياته قد قسّموا المعنى إلى ثلاثة أنواع كان لـ" فينجان" (Finegan) و" بزنير (Besnier) فضل توضيحها، وهي: المعنى الدلالي (Sens Referentiel) والمعنى الاجتماعي (Sens social) والمعنى الوجداني(النفسي) (Sens affectif). ينظر: مقدمة في اللغويات المعاصرة، ص ١٨٣- ١٨٤والمعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص ١٢، ١٥-٢٠.

أ-السياق اللغوي:

يشمل كلّ ما يمكن أن تدلّ به الأصوات اللغوية والتركيب اللغوي على المعنى أي العلاقة بين الدالّ (الكلمة) والمدلول(الشيء الذي تشير إليه الكلمة في واقع الحياة)، بما يكسب الكلمة داخل نظام الجملة معنىً خاصّاً له حدودٌ واضحةٌ وسماتٌ محدّدة غير قابلة للتعدُّد والاحتمال أو الاشتراك أوالتعميم.(١٧)

---

(17) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص ١٢وعوامل التطور اللغوي، ص ١٥٦ومقدمة في اللغويات المعاصرة، ص ١٨٣ومبادىء اللسانيات، ص٢٩٥.ونشير في هذا الصّدد إلى وجود اتّجاه معروف ضمن الدّرس السياقي، اقتصر فيه فيرث وأتباعه على السياق اللغوي وحده.وقد دُعي بالرّصْف أو النّظم أو التّساوق (Collocation) استناداً إلى أنّ المعنى يتحدّد من خلال الارتباط الاعتيادي لكلمة في لغة ما بكلمات أخرى معيّنة. فلكي نتوصّل إلى معنى الكلمة الدقيق علينا أن نتمعّن في العناصر التي تقع معها في سياق لغوي يقبله أبناء اللغة. ومن أمثلة ذلك انّ دلالة " مُنْصَهِر " ترتبط بمجموعة من الكلمات نحو حديد ونحاس وذهب وفضّة وغيرها، ولا ترتبط مطلقاً بأخرى نحو: جلد. وعلى هذا يتحدّد معنى كلمة 'مُنْصَهِرْ' من جهة، ويعرف أنّها لا تردُ في سياقٍ لغويّ مع مجموعة الجلد. فالدّليل الشّكلي يثبت أنّ الحديد والنّحاس والذهب وغيرها تتقاسم عدداً من الترابطات مثل: الصّلابة والثّقَل والبريق والبُرودة التي لا توجد في مجموعة الجلد، وإنّما يوجد بدلاً منها صفات: الخفّة والليونة وانطفاء اللون.ومثل ذلك كلمةْ أطلقْفي العربية نحو قولنا:١-أطلق لحيته.٢- أطلق يده في الأمر.٣- أطلق عليه اسماً.٤- أطلق ساقيه للرّيح.٥- أطلق سراحه. ٦- أطلق عليه الرّصاص.٧- أطلقت المدفعية إحدى وعشرين طلقةً.٨-أطلق صاروخاً.غيرأنّ أطلقْ لا ترد في سياقات من مثل: أطلق الأستاذ محاضرةً، أوْ أطلقت الملح على الطّعامْ.وبذلك يتبيّن عن طريق السياقات اللغوية التي يمكن أن ترد فيها كلمةْ أطلقْ معناها أو معانيها المتعدّدة.وبناءً على ما تقدّم، فإنّ الرّصف يكون مقبولاً في مستويين من الاستعمال اللغوي هما:١- حين يكون متماشّياً مع الاستعمال العاديّ الذي ارتضاه أبناء الأمّة.٢-حين يكون تفسيره حسب الاستعمال المجازي المقبول.ومن المعروف انّ الاستعمال المجازي خروجٌ على النّمط السّائد في الاستعمال الدّلالي، ولكنّه خروجٌ يدخلُ ضمن نظام دلاليّ له مواضعات معيّنة تأخذ في الاعتبار ارتباط الاستعمال المجازي مهما كان من حيث الارتجال والبعد عن المألوف بالدلالة المعجمية على أيّ نحوٍ من الأنحاء. علم الدلالة لأحمد مختار عمر، ص ٧٤ومبادئ اللسانيات، ص ٣٠١.

ويمكن التمثيل له بكلمة"حَسَنْ" في العربية أوزين"العاميّة أو(Good) الإنجليزية أوكلمتي (Bon)و(Bonne)الفرنسيتين، والتي تقع في سياقات لغوية مُنوّعة وصفاً لـ:

أ- أشخاص = رجل، امرأة، ولد. ب- أشياء مؤقتة = وقت، يوم، حفلة. ج- مقادير= ملح، دقيق، ماء.

فإذا وردت في سياق لغوي مع كلمة "رجل" فإنّها تعني الناحية الأخلاقية، وإذا وردت وصفاً لطبيب مثلاً كانت تعني التفوّق في الأداء وليس الناحية الخُلقية.[١٨]

كما أنّ كلمة"جناح" يتغيّر معناها بتغيّر السياق الذي قد ترد فيه،[١٩] فلدينا:

أ-جناح العصفور مكسور.

ب-جاء أحمد على جناح السّرعة.

ج-أقام الرّئيس في جناح خاص في فندق الهيلتون.

د-ركب جناحي الطّائرة(فارق وطنه).

هـ-يوجد في المطعم جناحٌ للعائلات.

و-فلانٌ مقصوص الجناح (ضعيفٌ عاجزٌ).

ز-وقوله عزّ وجلّ:﴿وَاخفِضْ لَهُما جَنَاح الذّلّ من الرَّحْمَةِ﴾[٢٠](بمعنى الجُنُوح والمَيْل).[٢١]

ح-اللاّعب فلان جناح(أيمن أو أيسر) في صفوف الفريق الوطني الجزائري.

ط-وتقول العرب:"رَكبَ فُلانٌ جناحَيْ نَعَامةٍ"[٢٢] (بمعنى جدّ في الأمر واحتفل به).

---

(18) علم الدلالة لأحمد مختار عمر، ص ٦٩.

(19) ينظر: مقدمة في اللغويات المعاصرة، ١٨١-١٨٢.

(20) من الآية ٢٤من سورة الإسراء.

(21) إملاء ما منّ به الرحمن، ١/ ٨٧.

(22) مجمع الأمثال، ١/ ٢٩٩.

فقد وردت كلمة"جناح "وهي في العربية من المشترك في سياقات متعدّدة. فكلّ سياق ورد فيه قدّم معنىً واحداً تتّجه إليه الأفهام وتترك ما سواه، فلا يقعُ أيُّ اشتراكٍ في السياق.

ومن أمثلة هذا الأسلوب في معاجم اللغة العربية ما ورد في مقاييس اللغة من أنّ البثُّ:"تفريق الشيء وإظهاره، يقال: بثّوا الخيل في الغارة. وبَثَّ الصيّاد كلابه على الصّيد.قال ابن الأعرابي (ت٢٣١ هـ) وبَثَثْتُ الحديث: أي نشرته.وأمّا البَثُّ من الحزن فمن ذلك أيضاً (*)؛لأنّه شيء يُشتكى ويُبَثُّ ويظهر.قال أبو زيد الأنصاري (ت٢١٦هـ): يقال: أَبَثَّ فُلانٌ شُقُورَه(*) وفُقُورَه(*) إلى فلان يُبِثُّ إِبْثاثاً. والإِبْثاثُ أن يشكو إليه فَقْره وضَيْعتَه."[٢٣]كما أنّ قولهم: لَبَن فصيح:سكنت رُغوتُه أو أُخذت عنه رُغوته.واللّسان الفصيح:الطّليق.والكلام الفصيح:العربيّ.ويقال: إنّ الأَعْجَمَ:ما لاينطق، والفصيحَ:ما ينطق.[٢٤]

وقد ورد الأسلوب نفسه في المحكم.فـ"المفتَحُ:الخِزَانَةُ.والمَفْتَحُ: الكنزُ.وقوله تعالى:﴿ما إنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ﴾[٢٥] قيل:هي الكُنُوز.وقال الزّجّاج:روي أنّ مَفَاتِحه: خَزَائنه."[٢٦]

ومن أمثلة الاستشهاد بالسياق اللغوي في المخصص ما جاء في مجال (الأنهار) قول ابن السكّيت:"هو النَّهْر والنَّهَر.وعن ابن دريد:أصل ذلك من السَّعَة والفُسْحَة.وفُسِّر في التنزيل:﴿في جنّاتٍ ونَهَرٍ﴾[٢٧]".

(*) ذهب أبو عليّ القالي(ت٣٥٦هـ) إلى أنّ البثّ أشدّ الحُزن. ينظر: الأمالي في لغة العرب، ٣/ ١٤٢.

(*) الشُقُور: الأخبار. كتاب المأثور من اللغة(ما اتّفق لفظه واختلف معناه)، ص ٨٧.

(*) الفُقُور: الهُموم.القاموس المحيط، ٢/ ١١٥، مادة (الفَقْر).

(23) معجم مقاييس اللغة، ١/ ١٧٢، مادة(بث).

(24) نفسه، ٤/ ٥٠٦-٥٠٧، مادة(فصح).

(25) من الآية ٧٦ من سورة القصص).

(26) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ٣/ ٢٠٧، مادة(فتح).

(27) من الآية ٥٤ من سورة القمر.

والنّهارُ من ذلك مأخوذٌ.قال الفارسي(أبو علي): أمّا قوله تعالى: ﴿في جنّاتٍ ونَهَرٍ﴾ فقد يكون من السَّعَة.(٢٨)

ومثله ما جاء في المخصص في مجال(الغَصَص بالشَّرَاب): فأمّا الشَّرَقُ: فالغَصَصُ بالشَّرَاب والطَّعام، عن ابن السكّيت.صاحب العين: وقد شَرَقَ شَرَقاً وشَرِقَ بريقِهِ شَرَقاً كذلك، وفي الحديث: (لَعَلَّكُم تُدْرِكُونَ قَوْماً يُؤخِّرُونَ الصَّلاَةَ إلى شَرَقِ الَموْتى فَصَلُّوا الصَّلاَةَ إلى الوقت الذي تعرفُون ثمّ صَلُّوا مَعَهُم).(٢٩) أراد:أنّهم يصلُّون الجُمُعَة ولم يَبْقَ من النّهار إلاّ بقدْر ما بَقِي من نَفَس هذا الذي شَرَقَ بريقِه، وقيل:هو إذا ارتفعت عن الحيطَان وصارت بين القُبُور كأنّها لُجَّة(*).(٣٠)

ويتبيّن بجلاء ما للسياق اللغوي من أهمّية في توضيح كثيرٍ من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياساً لبيان الاشتراك أو الترادف أو غيرهما.(٣١)

ب-السياق العاطفي:

وهو الجانب أو المستوى من المعنى الذي يعبّر عن شعور المتكلّم أو اتّجاهه أورأيه نحو أمر ما في سياق معيّن درجةً وقوّةً وضعفاً، ويقتضي تأكيداً أومبالغة، فكلمة"يكره"

---

(28) المخصص، ١٠/ ٢٩-٣٠ وينظر: تهذيب إصلاح المنطق، ص ٢٥١ والعين، ٤/ ٤٤، مادة (نهر) وجهرة اللغة، ٢/ ٤٢١، مادة(نهر).

(29) سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٢-١٩٥٣م، ص ٢٣٠).

(*) اللُّجَةُ واللُّجُ: المرآةُ أوالفِضّةُ. والضمير في " قوله:"ارتفعت" يعود على " الشَّمس" كذلك. وقد يكون المراد باللُّجّةُ: الأصوات والجَلَبَةُ، والضمير في قوله:" ارتفعت" يعود على الجماعة، والأمر نفسه يستقيم مع دلالة"اللُّجّة" بالضمّ التي تطلق أيضاً على الجماعة الكثيرة، وعلى معظم الماء؛لأنّه يتردّدُ بعضُه على بعضٍ.ينظر:القاموس المحيط، ١/ ٢١٢، مادة(اللُّجاج) ومعجم مقاييس اللغة، ٥/ ٢٠١، مادة (لج).

(30) المخصص، ١١/ ٩٧ وتهذيب إصلاح المنطق، ص١٢٦ ومعجم العين، ٥/ ٣٨، مادة (شرق).

(31) مبادئ اللسانيات، ص ٢٩٥.

غير كلمة"يبغض"وذلك أنّ الكُرْه خلاف الرِّضا[٣٢]، بينما يدلّ البُغْض على خلاف الحبّ.[٣٣]

كما أنّ قولنا:"إنّ فلاناً جَبانٌ" أو"إنّه يخاف"، فإنّ المعنى في الحالتين يتضمّن صفة الخوف أو الجبن، ولكن الجملة الأولى تحمل في طيّاتها درجة من الاحتقار والإهانة أشدّ ممّا يحتمله المعنى في الجملة الثانية.[٣٤]

كما أنّ أصل"الخِسّة" في منظور أبي عبيد الضَّعَةُ.والضَّعَةُ وهي ضدُّ الرِّفْعَة.و"القَمْلِيُ من الرِّجَال":الحقيرُ الصَّغيرُ الشّأنِ والصُّرة مثلُه.و"الرُّذَالُ" و"الأرْذلُ" عند ابن السكّيت:ما انتفى جيِّدُه وبَقِيَ رديئُه.و"الحُثالةُ" والحَثْلُ"عند أبي عبيدة: الرَّديءُ من النّاس وعَمَّ به بعضُهم، ومنه قول أنس بن مالك(ت٩٣هـ) رضي الله عنه:"اللّهمّ إنّي أعُوذُ بِكَ أنْ أَبْقى في حَثْلٍ من النّاس لا تُبالي أغَلَبُوا أمْ غُلِبُوا".[٣٥]

وقد أورد ابن سيده في باب (الحِقد والبُغْضَة) ما يدلُّ على تفهُّمه للسياق العاطفي، فنقل عن صاحب العين قوله:" الحقدُ: إمساكُ العَدَاوَة في القلب والتَّرَبُّص بِفُرْصَتِها".[٣٦]كما روى في الباب نفسه عن ابن السكّيت قوله: إنّ في صدركَ لَوَغْرَةً، وأصلهُ من وَغْرَة الحرّ وأوْغَرَ صَدْرَه عليه: أحْمَاهُ من الغَيْظِ وأوْقَدَهُ.[٣٧] وعن أبي عبيد قال:"هو الحَنَقُ والحَنِقُ بمعنى الحِقْدُ بغضبٍ" [٣٨].وعن ابن دريد أنّ"المِحاَل بين النّاس: العَداوةُ وهي من الله عزّ وجلّ العِقَابُ".[٣٩]

---

(32) معجم مقاييس، ٥ / ١٧٢، مادة(كره).

(33) نفسه، ١ /، ٢٧٣، مادة(بغض).

(34) مقدمة في اللغويات المعاصرة، ١٨٤وينظر:علم الدلالة لأحمد مختارعمر، ص ٧٠-٧١.

(35) المخصص، ٣/ ٩٢-٩٣ وينظر:تهذيب إصلاح المنطق، ص٢٨٥.

(36) المخصص، ١٢٨/١٣ وينظر: العين ٣/ ٤٠، مادة (حقد).

(37) المخصص، ١٢٨/١٣.

(38)نفسه، ١٢٩/١٣وينظر:العين، ٣/ ٤٠، مادة(حقد) وجمهرة اللغة، ٢/ ١٩٠، مادة(حقد) وتهذيب إصلاح المنطق، ص٦٠٨.

(39) المخصص، ١٢٩/١٣ وجمهرة اللغة، ٢/ ١٩٠، مادة (محل).

وبالإحساس نفسه ساق ابن سيده في(باب المعرفة والعلم) من مخصّصه الفَرْق بين الشّعور والعِلْمْ الذي عمد أبو علي الفارسي إلى تبيانه انطلاقاً من قوله: فأمّا شَعَرْتُ فمصْدَرُه شِعْرَةٌ بكسر الأوّل...وقالوا: لَيْتَ شِعْري، فحذفوا التّاء مع الإضافة للكثرة...وكأنَّ شَعَرْتُ ماخُوذٌ من الشِعَار وهو ما يَلِي الجَسَدَ فكأنَّ شَعَرتُ به علِمْتُ به عِلْمَ حِسٍّ...فقولهم شَعَرْتُ: ضربٌ من العِلْم مخصوصٌ فكلُّ مَشْعُوربه مَعْلُومٌ وليس كلُّ معلومٍ مَشْعُورٌ به، ولهذا لم يَجُزْ وصْفُ الله تعالى كمالم يَجُزْ في وصفه دَرى.وكان قول الله تعالى في وصف الكُفَّار: ﴿وَلَكِنْ لا يَشْعُرُون﴾[40] أَبْلَغُ في الذمّ عن الفَهْمِ من وَصْفِهِم بأنّهم لا يعلمون، فإنَّ البهيمة قد تشعُرُ من حيث كانت تُحِسُّ فكأنّهم وُصِفُوا بنهاية الذّهاب عن الفَهْم وعلى هذا قال تعالى:﴿ولا تقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ في سَبِيل الله أمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ ولكِنْ لا تشْعُرُون﴾[41]فقال: ﴿وَلكنْ لا تشعُرُون﴾ولَمْ يَقُلْ: ولكن لا تعْلَمُون ؛ لأنَّ المؤمنينَ إذا أخبَرَهم الله تعالى أنّهم أحياءٌ علِمُوا بأنّهُم أَحْياء" فلا تَجُوزُ أن ينفيَ اللهُ العلمَ عنهم بحَيَاتِهِم إذا كانوا قد عَلِمُوا ذلك بإِخْبَاره إيّاهم وتيقُّنُوهُ ولكن يجُوزُ أن يُقال: ﴿ولَكنْ لا تشعُرُون﴾؛ لأنّهُم ليس كلُّ ما عَلِمُوه يشْعُرُونَهُ، كما أنّهم ليس كلُّ ما عَلِمُوهُ يُحِسُّونَهُ.فلمّا كانوا لا يعلَمُون

بحواسِّهم حَيَاتَهُم، وإنْ كانوا قد عَلِمُوا بإِخْبَار الله تعالى إيّاهم وجَبَ أن يُقال: (لا تَشْعُرُون)، ولم يجُز أن يقال:(لا تعلَمُون) على هذا الحدّ"[42]

ج- السياق الثقافي:

ويشمل الاعتقادات المشتركة بين أفراد البيئة اللغوية والمعلومات التاريخية، والأفكار والأعراف المشاعة بينهم.فهذا السياق هو المعين على فهم عبارات مثل:(فلان جبانُ الكَلْب)و(مَهْزول الفَصِيل) و(تجمّد بينهم الجَليدُ) ونحو ذلك ممّا هو مرتبط بالحياة الاجتماعية أو له صلة بثقافة المجتمع الدينية أو السياسية أو الاجتماعية بوجه عامّ."[43]

(40) من الآية ١٢من سورة البقرة.

(41) الآية١٥٤ من سورة البقرة.

(42) المخصص، ٣/ ٣٢.

(43) وصف اللغة العربية دلالياً، ص ١٣٨.

والجدير بالذكر هنا أنّ القدماء لم يفتهم إدراك أهمّية السياق الثّقافي، فهذا أبو عمر الزّاهد (غلام ثعلب) (ت ٣٤٥هـ) يروي في (باب من المعرّب) عن ثعلب عن ابن الأعرابي والمبرّد عن البصريين جميعاً ما يبيّن اشتراك العرب في المعتقدات المشتركة والأعراف المشاعة بينهم.فهم يسمّونْ الذي يكون مع العروس في زفافها اليهوديةِ أو النّصرانية أو المجوسيّة: (العُجَاهِنُ) وهو رجُلٌ يُقامُ بين الهِنْبَازَيْن(*)، فيُضرَبُ بِقُضْبَانِ من الآسِ(*)ويأتي الرَّجُلُ إلى العروسِ فتمنَعهُ فيصيحُ: ياعُجَاهِنُ، فيصيحُ العُجَاهِنُ:ارْحَميني ارْحَميني، فلا تزالُ تسمَعُ كَلاَمَهُ حتّى تضحكَ فتستَرْخي فيفتَحها وأنشداني جميعاً:

ارْجعْ إلى بيتِك يا عُجَاهِنُ قد انقضى العُرْسُ وأنْتَ راهنُ(*)

...فإذا فتحها زَوْجُها تللك اللّيلة يُقالُ: بُاتَتْ بليلةِ شَيْبَاء(٤٤) مضافٌ، وإذا لم يفتحها قيل: بُاتَتْ بليلةِ حُرّةٍ(٤٤) مضافٌ أيضاً.(٤٥)

وقد روى أبوسليمان الخطّابي(ت٣٨٨هـ) فقال: حدّثني عبد العزيز بن محمّد المسكني قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني سويدنا بن المبارك عن عيسى بن عبد الرّحمن قال: حدّثني طلحة اليامي قال: حدّثني عبد الرّحمن بن عَوْسَجَةَ عن البَرَاء بن عَازِب: أنّ أعرَابِيّاً جاء النّبيَّ ﷺ فقال:علّمْني عملاً يُدخلُني الجنّة، فقال: اعْتِقِ النَّسْمَة وفُكَّ الرَّقبَةَ.قال: أوَلَيْسَا واحداً؟ قال:لا، عِتْقُ النَّسْمَةِ أن تنفردَ بعتْقِها وفَكُّ الرَّقَبَة أن تُعينَ في ثَمَنِها. فتأمّل كيف رتّبَ الكلامَيْن واقتضى من كلِّ واحدٍ منهما أخصَّ البَيَانَيْن.(٤٦)

(*) الهِنْبَازَان: مثنى مفرد هبباز، والهمباز فارسي معناه شريك، والمراد يقف بين العروسَين ليلة الدّخلة.ينظر: فائت الفصيح، ص ٧١ هامش.

(*) الآسُ: السَّمْسَقُ(عشبٌ عِطْرِيٌّ من الفصيلة الشفويّة) وهو طَيِّبُ الرِّيح. ينظر: المخصص، ١١/ ١٩٥والمعجم الوسيط، ١/ ٤٤٧، مادة(السَّمسق).

(*) راهنٌ: ثابت، لا يبرح المكان. ينظر:القاموس المحيط، ٤/ ٢٣٢، مادة(الرهن).

(44) مجمع الأمثال، ١/ ١٠١. ويضرب المثالان مجتمعان للغالب والمغلوب.

(45) فائت الفصيح، ص ٧٠-٧١.

(46) بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص ٣٣-٣٤.

ومن المتأخرين نذكر الشّاطبي (ت ٧٩٠هـ) على سبيل المثال الذي يرى أنّه لا بدّ في فهم الشّريعة من اتّباع معهود الأمّيين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان العرب في لسانهم عُرْف مستمرّ فلا يصحّ العدول عنه في فهم الشّريعة، وإن لم يكن ثمّة عُرْف فلا يصحّ أن يجري فهمها على ما لا تعرفه.وهذا جارٍ في المعاني والألفاظ والأساليب، مثال ذلك أنّ معهود العرب أنْ لا ترى الألفاظ تعبُّداً عند محافظتها على المعاني، وإنْ كانت تُراعيها أيضاً. فليس أحدَ الأمْرَين عندها بملتزمٍ، بل قد تبني على أحدهما مرّةً، وعلى الآخر اخرى، ولا يكون ذلك قادحاً في صحّة كلامها واستقامته.والدّليل على ذلك أشياء: أحدهما: خروجها في كثير من كلامها عن أحكام القوانين المطّردة، والضّوابط المستمرّة؛ وجريانها في كثير من منثُورها على طريق منظُومها، وإنْ لم يكن بها حاجةٌ؛ وتركها لِمَا هو أوْلى في مَرَاميها. ولا يعدُّ ذلك قليلاً في كلامها ولا ضعيفاً؛ بل هو كثيرٌ قويٌّ، وإنْ كان غيرُه أكثرَ منه. والثّاني: أنّ من شأنها الاستغناءَ ببعض اللفظ عمّا يُرادفها أو يُقاربُها ولا يُعدُّ ذلك اختلافاً ولا اضطراباً، إذا كان المعنى المقصود على استقامةٍ، والكافي من ذلك نُزولُ القرآن على سبعةِ أحرُفٍ.(٤٧)

وبالإحساس اللغوي نفسه أجاز ابن جنّي حذفَ الحَالِ في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُم الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(٤٨)، والتقدير فَمَنْ شهِدَهُ صحيحاً بَالِغاً،فطريقه أنّه لمّا دلّت الدّلالةُ عليه من الإجمَاع والسنّة جاز حذفُهُ تخفيفاً، وأمّا لو عَرِيَت الحالُ من هذه القرينة وتجرُّد الأمرُ دونها لَماَ جازَ حذفُ الحَال على وجهٍ.(٤٩)

وهنا يجب الإقرار بأنّ الاكتفاء بالتحليل اللغوي المحض المقتصر على المعنى المعجمي والوظيفي على المستوى الصوتي والصّرفي والنّحوي قد يؤدّي إلى قُصُور في فهم الخطاب فهماً كاملاً.ففي قوله تعالى:﴿وقال اللهُ:يَا عيسى بنَ مَرْيَمَ أأَنتَ قُلْتَ للنّاس

---

(47) الموافقات ص٣٩١-٣٩٢.

(48) من الآية ١٨٥ من سورة البقرة.

(49) الخصائص، ١/ ٢ ٣٧٨-٣٧٩.

اتّخِذُون وأُمّيَ إلهيْنِ من دون الله﴾.(٥٠)وفي قوله:﴿ وَهَل نُجَازي إلاّ الكَفُورَ﴾(٥١)نجد أنّ الخطاب خارجٌ عن الدّلالةاللغوية الحرفية، وذلك أنّ الاستفهام(*)في الآية الأولى للتقرير:وهوحمل المخاطب على ما يعلمُ ثُبوته أو نفيه ليُثْبتَهُ على فعله فيكون جزاءً، أو يتحقّق أنّه فعله عن قصدٍ؛(٥٢) وفي الثّانية للنّفي حتى جاز أن يجيء بعدهاإلاّ قصْداً للإيجاب، والتقدير: مَا نجازي إلاّ الكفور.(٥٣)

ولعل السياق الثقافي ذاته هو الذي حدا بالرمّاني (ت٣٨٤هـ) إلى فهم الآية السّابقة فهماً مغايراً حينما رأى في سياقها توبيخاً لعيسىعليه السّلام في اللفظ، ولقومه في المعنى، لأنّ الله تعالى علِم أنّ عيسىلم يقُل ذلك، ولكن قال ذلك بحضرة قومه ليُوبّخهم على ذلك ويُكذّبهم فيما قالوه.(٥٤)

---

(50) الآية ١١٦من سورة المائدة.

(51) الآية ١٧من سورة سبأ.

(*) وهو ما سمّاه ابن فارس استخباراً من باب الترادف وهوعنده: طلبُ خُبْر ما ليس عند المُسْتَخْبِر، وهو الاستفهام.وذكر ناسٌ أنّ بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرْق. قالوا: وذلك أنّ أوْلى الحالَيْن الاستخبارُ؛ لأنّك تستخْبِرُ فتُجابُ بشيء، فربّما فَهِمْتَه وربّما لم تَفْهَمْه، فإذا سألْتَ ثانيةً فأنْتَ مُسْتَفْهِمٌ، تقول: أفْهِمْني ما قُلْته لِي.قالوا: والدّليلُ على ذلك أنّ البَاري جلّ ثناؤُه يُوصَفُ بالخُبْر ولا يُوصَفُ بالفَهْمْ. الصاحبي في فقه اللغة، ص ١٨٦.

(52) الجنى الدّاني في حروف المعاني، ص٣٢ ورصف المباني في شروح المعاني لأحمد عبد النّور المالقي، تحقيق أحمد محمد خرّاط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دت، ص ٤٧-٤٨ وتأويل مشكل القرآن، ص ٢٧٩، ٢٩٥و كتاب الكشف عن وجوه القراءات السّبع، ١/ ٤٢٣-٤٢٤)

(53) الجنى الدّاني في حروف المعاني، ص ٣٤٢و كتاب الكشف عن وجوه القراءات السّبع، ٢/ ٢٠٦-٢٠٧وينظر: تفسير غريب القرآن ص ٣٥٦.

(54) كتاب معاني الحروف لأبي الحسن علي بن عيسى الرمّاني، تحقيق وتعليق عبد الفتّاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت، ص٣٢-٣٣.وهو ما عبّر عنه ابن فارس بقوله: ويكون(اللّفظ)استخباراً، والمعنى تبكيتٌ(تقريع).الصاحبي فيفقه اللغة، ص ١٨٧ وينظر: القاموس المحيط، ١/ ١٤٩، مادة(بَكّتَهُ).

وليس في مقدرة التحليل اللغوي على المستويات المذكورة أن يعطينا هذا الفهم إذا تغاضينا عن السياق الثقافي الذي يدلُّنا على أنّ الاستفهام الحقيقي لا يصدرُ عن الله تعالى، لأنّ الاستفهام طلبُ الفهم، وهو يقتضي الجهل، والله عزّ وجلّ مُنزّهٌ عن ذلك، الأمر الذي يدعو إلى التماس معنى آخر للكلام.وما جعلنا نجزم بأنّ الاستفهام في الآية الأولى للتقرير، وفي الآية الثانية للنّفي هو علمنا بحال المخاطبين.(٥٥)

أمّا ابن سيده فقد كان مدركاً لدور السياق الثقافي في صوغ الدلالة وهو ما نقف عليه في تعليقٍ له ورد في (باب المَعْرِفة والعِلْم) على قول أبي عليّ الفارسي: "ومّما هو ضَرْبٌ من العِلْم قَولُهم:اليَقينُ ولا ينْعَكِسُ فَتَقُول: كلُّ يَقينٍ عِلْمٌ وليس كلُّ عِلمٍ يَقينٌ، وذلك أنّ اليَقينَ عِلْمٌ يَحْصُلُ بعدَ استدْلالٍ ونَظَرٍ لِغُمُوضِ المَعْلُومِ المنظور فيه أو لإشْكَالِ ذلك على النّاظِرِ.فليس كلُّ عِلْمٍ يقيناً ؛ لأنّ من المعلومات ما يُعْلَمُ من غير أنْ يعترِضَ فيه توقُّفٌ أو مَوْضِعُ نَظَرٍ."(٥٦)فدلّ بذلك على أنّ العلم:"عبارةٌ عن حصول معنًى في النّفْس حصولاً لا يتطرّقُ إليه احتمال كونه على وجهٍ غير الوجه الذي يحصل عليه."(٥٧) فقال علي بن سيده معلّلاً ومستنتجاً ومؤيّداً لهذا المذهب في التفسير:"ولذلك قالَتِ الأَوَائِلُ: إنّ اليَقينَ هو العِلْمُ الثّاني، أي أنّه لا يُعْلَمُ ولا يُدْرَكُ عن بَديهَةٍ، ولكنّهُ بعدَ بَذْلِ الوُسْعِ في التعَقُّبِ وإنْعَامِ النَّظَرِ والتّصَفُّحِ.يعني مَا(يُعْلَمُ بِبَدَائِهِ العُقُولِ والحوَاسّ) كالقَضَايَا المُقسِمَة إلى أربعة أقسامٍ، وهي: المَعْقُولُ كقولنا: العَقْلُ مُدْرِكٌ لِمَا أُعْمِلَ فيه، والمَحْسُوسُ كقولنا:الشّمْسُ طالعةٌأوْ غَرِبَةٌ، والمَشْهُورُ كقولنا: إنّ شُكْرَ المُنعِمِ حَسَنٌ وكُفْرُهُ قَبيحٌ إنّ بَرّ الأبَوَيْنِ لازمٌ، والمَقْبُولُ: وهي القَضِيّةُ التي تُؤْخَذُ عن واحِدٍ ثِقَةٍ مُرْتَضًىأو جماعةٍ ثِقَاتٍ مُرْتَضِينٍ، فهذا كلّه من المقدّمَات التي حصلَت في النّفْسِ من غير

(55) وصف اللغة العربية دلالياً، ص ١٣٨-١٣٩.

(56) المخصص، ٣/ ٢٩.

(57) المُبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين، ص ١١٩-١٢٠.

بحثٍ ولا قياس.[58] واليقين، في نظر ابن سيده، لايتأتى إلاّ بالإدراك الذي هوعِلْمُ يقوم على التأمُّل والتصَفُّح والمقابَلَةِ بين مَعَـاقِدِ الرّأْيِ ومَقَاصِدِهِ.[59]

د- سياق الموقف:

وهو مجموعة الظّروف التي تحيط بالكلام، وجميع القرائن الحالية التي تصبغ الخطاب ودلالته بصبغة خاصّة.وقد أشار فيرث(Firth) إلى أنّ كلّ إنسان يحمل معه ثقافته وكثيراً من واقعه الاجتماعي حيثما حلّ.[60]

والموقف الكلامي في نظره يقتضي جملة من العناصر أهمّها:شخصية المتكلّم والسامع وتكوينهما الثّقافي، وشخصية من يشهد الكلام من غير المتكلّم والسّامع إن وجدوا، وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحال الجوّ، والوضع السياسي ومكان الكلام.[61] وهو ما يوضّحه سياق الموقف، ويمكن تلخيصه في:[62]

١ - النّشاط اللغوي للمشاركين.

٢- النّشاط غير اللغوي للمشاركين (الصّمت والضّحك والإشارة)

٣- أثر الكلام (هل كانت الاستجابة بالكلام أو بغيره ؟)

ولتوضيح هذه النّظرية في دراسة المعنى، فعبارة (الله يعوّض عليك) لا تُفهم إلاّ إذا شرحت في سياقات ورودها، وهي:

أ- بائع ومُشترٍ. ب- البائع يعطيك المطلوب ويقبض ثمن البضاعة ويقول: "الله يعوّض عليك". ج- ينصرف المشتري على أثر هذا الكلام.

---

(58) المخصص، ٣/ ٢٩.

(59) نفسه، ٣/ ٣٢٩.

(60) وصف اللغة العربية دلالياً، ص١٣٩، ١٠٢ومقدمة في اللغويات المعاصرة، ص ١٨٣-١٨٤.

(61) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص٣١١ وينظر:فقه اللغة في الكتب العربية، ص ١٦٧.

(62) وصف اللغة العربية دلالياً، ص ١٠٢ وعوامل التطور اللغوي، ص ١٥٦.

أمّا العبارة ذاتها، فتدلّ في موقف آخر على شخصين يُعرف أحدهما بأنّه حزين جدًّا، بينما يحاول الآخر أن يواسيه في الحزن فيقول: "الله يعوّض عليك"، فيردّ عليه الآخر بعبارة مثل(الحمد لله).وهكذا، فإنّ سياق الموقف له تأثير مباشر في تحديد المعنى المقصود.[٦٣]

ولعلّ أهمّ موضوع عرض له أبو الفتح عثمان بن جنّي، ممّا يتّصل بدراسة المعنى، هو الذي يطلق عليه المحدثون"سياق الحال"[٦٤] أو"السياق الاجتماعي"[٦٥] أوما يعرف في علم الدلالة اليوم باسم"سياق الموقف"،وهو ما سمّاه قدماء العرب من البلاغيين بـ"المقام"[٦٦]، وذكره ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) باسم"بساط الحال"[٦٧]، وهو ما أكّده ابن جنّي قبل فيرث (Firth) حين قال بأنّ المعاني قد لا يُتوصّل إليها إلاّ بالظروف التي أحاطت بها ؛ ومن ثمّ لا ينبغي أن يكتفي اللغوي بالسماع، بل ينبغي أن يجمع إليه الحضور والمشاهدة، أي كلّ ما يحيط بظروف الكلام.[٦٨]

ويبدو أنّ رواة الحديث كانوا السبّاقين إلى إدراك أهمية هذه التعبيرات والإشارات اليدوية والإيماءات بالرّأس والحركات الجسمية المكمّلة للكلام بشكل عام وما تضفيه من دلالة على الحديث النبوي الشّريف بشكل خاص، فحرصوا على نقلها بأمانة

---

(63) عوامل التطور اللغوي، ص ١٥٦.

(64) علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ص ٣٠٩-٣١٠ وفقه اللغة في الكتب العربية، ص٦٧ وعوامل التطور اللغوي، ص ١٥٦.

(65) ينظر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص ١٢١و المعجم العربي بحوث في المنهج والمادة والتطبيق، ص ٢٥٤ وعوامل التطور اللغوي، ص١٥٧.

(66) لاحظ بعض المحدثين على القدماء في استخدامهم لمصطلح (المقام) أنّ نظرتهم إليه اتّسمت بالمعيارية، فقضوا أن يأتي الكلام مؤكّداً للمنكر وجوباً، وللمتردّد استحساناً، كما أوجبوا أن يأتي الكلام خُلْواً من التأكيد إذا لم يكن المخاطب منكراً ولم ينزل منزلته وهكذا. ينظر: وصف اللغة العربية دلالياً، ص ١٣٧.

(67) ينظر: علم اللغة بين القديم والحديث، ص ٢١٤.

(68) الخصائص، ١/٢٤٨.

تامّة. [٦٩] من ذلك ما رواه البخاري(ت ٢٥٦هـ) في صحيحه من قوله: أنّ الرّسول ﷺ قال برأسه نَعَم[٧٠] و فَتَمَعّرَ(*) وجهُ النّبيِّ ﷺ[٧١]

ومن أمثلة ذلك ما أورده أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر (ت٤٧١هـ) في(فضائل البربر من العَجَم)، مدلّلاً على أهمّية مساعِدات الكلام من نحو أسماء الإشارة التي قد تحتاج إلى إشارة اليدين أو حركات الجسم أو نحوهما لإيضاح المقصود من سير السّلف،فقال: وبلغنا عن عائشة، أمّ المؤمنين رضي الله عنها(ت ٥٤هـ)، دخل عليها ذات يوم رجُلٌ من البربر، وهي جالسةٌ ومعها نَفَرٌ من المهاجرين والأنصار، فقامت عائشة عن وسادتها، فطرحتها للبَرْبَريِّ دونَهُم، فانسلَّ القومُ غِضَاباً، فاستفتى البَرْبَريُّ في حاجة ثمّ خرجَ، فأرسلَتْ إليهم عائشة

فالتقَطَتْهُم من دُورهِم، فجاءوا كلُّهم، فقالت لهم عائشة رضي الله عنها: أراكم قمتُم عنّي غِضَاباً، ولِمَ ذلك؟قال بعضُهم: غَضِبْنا عليك من أجل رجُلٍ جاءكِ من البَرْبَر كنّا نزدَريه ونُنْقِص قومه، فآثرته علينا وعلى نفسِكِ. قالت لهم عائشة رضي الله عنها: آثرتُهُ عليكم وعلى نفسي لِمَا قاله رسول الله ﷺ.قالت: أتَعْرِفُونَ فُلاناً البَرْبَريَّ؟ قالوا: نَعَمْ. قالت عائشة: كنتُ أنا ورسول الله ﷺ جُلُوساً إذ دخلَ علينا ذلك البَرْبَريّ مُصفَرَّ الوجه غائِرَ العينَيْن، فنظرإليه رسول الله ﷺ، فقال له: ما دهاك، أَمَرِضْتَ مَرْضَةً ؟ فارقْتَني بالأمس ظَاهِرَ الدّمِ صحيحَ اللَّوْنِ، وجِئتَني السّاعةَ كأنّما نُشِرْتَ من قَبْرٍ.فقال البَرْبَريُّ:يارسولَ الله، بتُّ بهَمٍّ شديدٍ. قال له النّبيُّ ﷺ: ما الذي هَمَّكَ ؟ قال: تردُّدُ بَصَرِكَ عليَّ بالأمس، خِفْتُ من ذلك أنّه قد نُزِلَتْ فيَّ آيةٌ من الله(تعالى).قال له النّبيُّ ﷺ: لا يُحْزِنُكَ ذلك إنّما تَرَدُّدُ بصري عليك بالأمس من أجل جبريل، عليه السّلام،

---

(69) ينظر: وصف اللغة العربية دلالياً، ص ١٤٠-١٤١.

(70) صحيح البخاري، ١/ ١٢٢، (كتاب الأذان –باب حدّ المريض أن يشهد الجماعة).

(*) تمعّر وجهه: تغيّر غيظاً.ينظر: القاموس المحيط، ٢/ ١٤٠، مادة(مَعِر) وجمهرة اللغة، ١/ ٢٤، مادة (معر).

(71)) نفسه، ٢/ ٦٣، (كتاب اللقطة –باب ضالة الإبل).

جاءني، فقال لي: يا محمّد، أُوصيكَ بتقوى الله (تعالى) وبالبَرْبَرِ. قلت:يا جبْرِيلُ، وأيُّ البَرْبَر؟ قال: قومُ هذا، وأشار إليكَ قال النّبيُّ ﷺ: فقلت لجبريلَ: وما شأنهم ؟ قال: قومٌ يُحيُّونَ دِينَ الله، بعد أن يموتَ ويَجَدِّدُونَه بعد إذْ يَبْلى. قال جبْرِيلُ: يا محمّد، دِينُ الله خَلْقٌ من خَلْقِه ينشأُبالحِجَاز وأصلُه بالمدينة خلْقَةً ضعيفةً، ثمّ يُنْميه ويُنْشئه حتّى يعلُوَ ويُثْمِرَ كما تُثمر الشَّجَرةُ.ثمّ يقعُ. وإنّما يقعُ رأسُ دين الله بالمَغْرِبِ.والشّيءُ إذا وقعَ لم يُرْفَعْ من وسَطِه، ولا من أصله، وإنّما يُرْفَعُ من عند رأسِه."(72)

وقد عرض الجاحظ إلى تأثير حركة الجسم أو الإشارة عموماً في الدّلالة، فقال:" قد قلنا في الدّلالة باللفظ.فأمّا الإشارة فباليد، وبالرّأس، وبالعيْن والحاجِب والمَنكِب(*)، إذا تباعد الشّخْصان، وبالثّوب وبالسّيف. وقد يتهدّدُ رافعُ السّيف فيكون ذلك زَاجِراً رادِعاً، ويكون وعيداً وتحذيراً. ويعدُ فهل تعدُو الإشارةُ أن تكون ذاتَ صورةٍ معروفةٍ، وحِلْيَةٍ موصُوفةٍ، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها. وفي الإشارة بالطّرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح، مرفقٌ كبيرٌ ومَعُونةٌ حاضِرَةٌ، في أمور يَسْتُرُها بعضُ النّاس من بعضٍ، ويُخْفُونَها من الجليسِ وغير الجليس. ولولا الإشارةُ لم يَتفاهم النّاسُ معنى خاصّ الخاصّ، ولَجَهِلُوا هذا الباب البتّة. ولو أنّ تفسيرَ هذه الكلمة يَدخل في باب صناعة الكلام لفسرْتُها لكم. وقد قال الشّاعر في دِلالات الإشارة:

وفي العَيْنِ غِنًى للمَرْ ءِ أنْ تنطقَ الأفْوَاهُ

وقال الآخرُ:

العَيْنُ تُبْدي الذي في نفْسِ صاحِبِها   من المحبّة أو بُغضٍ إذا كاناَ

وَالعَيْنُ تُنطِقُ والأفْواهُ صامتَةٌ حتّى   ترى من ضمير القَلْبِ تِبْيَانا

---

(72) كتا ب سِيَرِ الأئمّة وأخبارهم (المعروف بتاريخ أبي زكرياء) لأبي زكريا يحي بن أبي بكر، تحقيق وتهميش إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، بن عكنون، الجزائر، ١٩٨٤م، ص ٥٠-٥١.

(*) المَنْكِب: مجتمع الرّأس والعَضُد والكتِف وطَرَف التّرقُوَة.ينظر:المخصص، ١/١٥٩، (باب المنكب والكتف وما فيهما).

هذا ومبلغُ الإشارة أبعَدُ من مَبْلَغ الصَّوت.والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له،ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخطّ. وحُسْنُ البلاغة الإشارة باليد والرّأس،من تمام حُسْن البيان باللّسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدَّلّ(*) والشّكْل(*) والتقتُّل(*) والتثنّي(*)،واستدعاء الشَّهْوَة،وغير ذلك من الأمور."(٧٣)

وقد دلّ ابن جنّي على أنّ من أهمّ العوامل المؤثّرة في المعنى هي:النّبر(*) (Prominence)والتنغيم(*)(Intonation)والاستعانة بإشارة من الوجه أو اليدين أو غير

(*) الدلّك إظهار المرأة الجرأة والتغنّج والملاحة.ينظر:أساس البلاغة، ص ١٩٣، مادة (دلل) ومعجم مقاييس اللغة، ١ / ٢٦٠.

(*) الشّكلُ: دلّ المرأة وغنجها وغزلها.القاموس المحيط، ٣/ ٤١٣، مادة(الشكل).

(*) التقتُّل: الاختيال والتثنّي في المشي.نفسه، ٤/ ٣٦، مادة (قتله)..

(*) التثنّي: التكسّر في المشي.نفسه، ٤/ ٣١٠، مادة (ثنى) وأساس البلاغة، ص ٧٨، مادة (ثني).

(73) البيان والتبيين، ١/ ٧٧-٧٩.

(*) النّبر: أو الارتكاز أو الضّغط وهو درجة قوّة النّفس التي ينطق بها صوت أو مقطعٌ. فدرجة قوّة النّفس في نطق الأصوات والمقاطع المختلفة تتفاوت تفاوتاً بيّناً. فالصوت أو المقطع الذي ينطق بارتكاز أكبر يتضمّن طاقة أعظم نسبياً ويتطلّب من أعضاء النّطق الخاصّة جهداً أقوى بالإضافة إلى زيادة النّفَس.وعلى هذا فالنّبر ينقسم إلى أوّلي(قويّ) و(ضعيف) و(ثانوي).(ينظر:علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص ١٨٩- ١٩٠ ومناهج البحث في اللغة، ص ١٩٤-١٩٧ وفقه اللغات السّامية لكارل بروكلمان، ترجمة عن الألمانية رمضان عبد التوّاب، جامعة عين شمس، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م، ص ٤٥-٤٧ والتطوّر النحوي للغة العربية، ص ٧١-٧٣ ومناهج البحث في اللغة، ص ١٦٠-١٦٤). وعلى الرغم من أنّ اللغويين القدماء لم يدركوا(النّبر) لبعض الضغط على مقاطع الكلام، (ينظر: ظاهرة التنغيم في البحث الصوتي بين القديم والحديث لأمينة بن ملك، ضمن الآداب – مجلّة فكرية تصدر عن معهد الآداب واللغة العربية بجامعة قسنطينة، الجزائر، ، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، العدد٢، العدد٢، ص ٣٥) فإنّ بعضهم لاحظ أثره في تطويل بعض حركات الكلام وهو ما عالج ابن جنّي بعض أمثلته ضمن (باب مَطْلِ الحركات)، فقال:" وحكى القُرّاء عنهم:" أكلت لحم شاةٍ أراد لحم شاة فمطَلَ الفتحة، فأنشأ عنها ألفاً.الخصائص، ٣/ ١٢٣.

(*) التنغيم: هو المصطلح الصوتي الدالّ على الارتفاع (الصّعود) والانخفاض(الهُبوط) في درجة الجهر في الكلام. وهذا التغيّر في الدرجة يرجع إلى التغيّر في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين التي

ذلك.يقول ابن جنّي:"وقد حذفت الصّفة ودلّت الحال عليها وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب(يقصد سيبويه) من قولهم: سِيرَ عليه ليلٌ، وهم يريدون:ليلٌ طويلٌ ".وكأنّ هذا إنّما حذفت فيه الصفة لِمَا دلّ من الحال على موضعها.وذلك أنّك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح(*)والتطريح(*)والتفخيم(*)والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويلٌ أو نحو

تحدث نغمةً موسيقية. ولذا، فالتنغيم يدلّ على العنصر الموسيقي في الكلام يدلّ على لحنه.على أنّ الفرق بين " النّغمة" و" اللّحن" هو أنّ النغمة يتّصف بها مقطعٌ من المقاطع، فيوصف من إحدى الكلمات بأنّه يُنطق بنغمةٍ صاعدة، وذاك بأن يُنطق بنغمةٍ هابطة" أو " مستوية". أمّا اللّحن، فهو ما ينشأ عن ترتيب النّغمات المتتابعة في المجموعة الكلامية.(علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص ١٩٢وينظر: التطور النحوي للغة العربية، ص٧١-٧٣ مناهج البحث في اللغة، ص ١٩٨-٢٠٤).
وقد بيّن الجاحظ فوائد التنغيم وهو يشير إلى قوّة صوت العبّاس بن عبد المطّلب وارتفاعه وجهارته في عملية التوصيل، فقال:" وقد كان العبّاس بن عبد المطّلب جهيراً(ذا منظر وهيئةٍ حسنة)، جهيرَ الصّوت، وقد مُدِحَ بذلك، وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حُنَيْن حين ذهب النّاس عن رسول الله ﷺ، فنادى العبّاس: يا أصحاب سورة البقرة، هذا رسول الله. فتراجع القوم وأنزل الله عزّ وجلّ النّصرَ وأتى بالفتح".(ينظر: البيان والتبيين، ١/ ١٢٣).ويتّضح ممّا سبق أنّ التنغيم وثيق الصّلة بالنّبر، إلاّ أنّ الفرق بينهما يكمن في أنّ النّبر ضغطٌ على الكلمة المفردة أو في سياقها في حين أنّ التنغيم تشكيل صوتي للجملة أو العبارة كلّها. والرّابط بين التنغيم والنّبر يكمن في أنّ النّبر، وإن كان ضغطاً على مقطع من مقاطع الكلمة، فإنّ حصيلة ذلك تشكّل (التنغيم). ولذا فإنّ مصطلح " التنغيم " يطلق من باب المجازوالتجوّز على" النّبر وعلى كلّ ظاهرة صوتية يتشكّلُ من مجموعها ما يسمّى بموسيقى الكلام كالسّكتة والوقفة وغيرهما. ينظر: ظاهرة التنغيم في البحث الصوتي بين القديم والحديث لأمينة بن ملك، ضمن الآداب - العدد٢، ص٣٣ وعلم اللغة لماريو باي، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر، ط٢، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٩٣.

(*) التطويح: بعدُ المَهوى والإلقاء بعيداً في الهواء. ينظر: القاموس المحيط، ١/ ٢٤٧، مادة(طاحَ).

(*) التطريح:التطويل.يقال: طرّح بناءَه تطريحاً: طوّله. ينظر: نفسه، ١/ ٢٤٧، مادة (طَرَحَه).

(*) التفخيم: تركُ الإمالة والاستعلاءوالتعظيم.ينظر: نفسه، ٤/ ١٦٠، مادة(فَخُم). والجدير بالملاحظة هنا أنّ أحمد بن أبي جمعة المغراوي (ت٩٢٠هـ) جعله من(شروط المعلّم) والصفات الأساسية للتجويد والكتابة، فقال فيما رواه عن بعض شيوخه:" المعلّمُ الذي لا يعرف الإظهار والإدغام والإهمال الإعجام والتفخيم والترقيق وغير ذلك لا تجز له الحذقة (حفظ الكريم وختمُه والمهارة

ذلك.وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأمّلتهُ.وذلك أن تكون في مدح إنسان والثّناء عليه، فتقول: كان والله رجُلاً! فتزيد في قوّة اللفظ بـ(الله) هذه الكلمة، وتتمكّن من تمطيط اللاّم وإطالة الصّوت بها (وعليها) أي رجُلاً فاضلاً أو شُجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك.وكذلك تقول:سألناه فوجدناه إنساناً ! وتمكّن الصوت بإنسان وتفخّمه، فتستغني بذلك عن وضعه بقولك:إنساناً سمْحاً أو جواداً أو نحو ذلك، وكذلك إذا ذمّته وصفته بالضّيق، فقلت:سألناه وكان إنساناًاوتزْوِي[*]وجْهَكَ وتُقَطّبُهُ، فيغني ذلك عن قولك:إنساناً لئيماً لَحِزاً [*]أو مُبَخّلاً أو نحو ذلك. فعلى هذا وما يجري مجراه تحذف الصفة.فأمّا إن عَرِيَت من الدلالة عليها من اللفظ أو من الحال فإنّ حذفها لا يجوز.[٧٤]

كما أنّ الحضور والمشاهدة عند المفسّرين واللغويين يعدّان من أهمّ الظروف المؤثّرة في المعنى.فمن هذه الإشارات ما أفرده علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٢٧هـ) لمعرفة أسباب نزول القرآن، إذ لا يمكن معرفة تفسير الآية من كتاب الله دون الوقوف على قصّتها وبيان نزولها.[٧٥] ثمّ قال عنها:إذ هي أو في ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما

فيه مع اعتبار حسن الخطّ). ينظر:جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلّمين وآباء الصّبّيان لأحمد بن أبي جمعة المغراوي، تحقيق وتعليق احمد جلّولي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، من مقدمة تحقيقه، ص ٢٤ وص٨-٩، وهامش ص١٤ والقاموس المحيط، ٣/ ٢٢٦-٢٢٧، مادة(حذق).

(*) تزوي:تقبضُ، يقال زوى الرّجُلُ ما بين عينيه: إذا قبضَه. ينظر:معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٣٤، مادة(زوى).

(*) لَحِزاً: الرّجُلُ الضيّقُ الخُلُقِ.ينظر: القاموس المحيط، ٢/ ١٩٧، مادة(اللّحز). معجم مقاييس اللغة، ٥/ ٢٣٧، مادة(لحز).

(74) الخصائص، ٢/ ٣٧٠-٣٧١.وهوما عبّر عنه الجاحظ، قبلاً، على أهميته، فقال: والصّوتُ هو آلة اللفظ والجوهرُ الذي يقوم به التقطيعُ، وبه يُوجدُ التأليف. ولن تكونَ حركةُ اللّسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلاّ بظهور الصّوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلاّ بالتقطيع والتأليف. ينظر: البيان والتبيين، ١/ ٧٩.

(75) أسباب النزول لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، وبهامشه (النّاسخ والمنسوخ) لأبي القاسم هبة الله بن سلامة أبي النّصر، دار الضياء، قسنطينة، قصر الكتاب، البليدة،

تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية، وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصّتها وبيان نزولها.ولا يحِلُّ القول في أسباب نزول الكتاب إلاّ بالرِّوَايَة والسّماع ممّن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب.(٧٥)

وبيّن السيوطي فوائد ذلك، فقال:ولمعرفة أسباب النّزول فوائد، ، منها معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحُكْم، ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أنّ العبرة بخصوص السّبب، ومنها أنّ اللفظ قد يكون عامّاً ويقوم الدّليل على تخصيصه، فإذا عُرِف السَّببُ قصُرَ التخصيص على ما عدا صورتَهُ فإنّ دخولَ صورة السَّببِ قطعيٌّ وإخراجُها بالاجتهاد ممنوعٌ.ومنها الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال...وقال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): معرفة أسباب النّزول يعينُ على معرفة سبب النُّزُول وعلى فهم الآية، فإنّ العلم بالسَّبب يُورِّثُ العلمَ بالمُسبَّب.(٧٦)

ويعني ذلك عند ابن جنّي ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال والأوائل، وأن يكون الحاضر شاهد الحال، فعُرِف السَّبب الذي له ومن أجله وقعت عليه التسمية، والآخر

دت، ص ١٠.ولم يكن الواحدي، كما قال صبحي الصّالح، مبالغاً في اشتراطه المعرفة بالقصة ؛ لأنّ التعبير عن سبب النّزول ' بالقصّة' لينمُّ عن ذوق رفيع، ويكاد يَفِي هنا بالغاية الفنية إلى جانب الغرض الديني النّبيل: فما سبب النّزول إلاّ قصّة تستمدّ من الواقع عرضها وحلّها، وعقدتها وحبكتها، وأشخاصها وأحداثها، وتجعل آيات القرآن تتلى في كلّ زمان ومكان بشغف وولوع، وتطرد السّآمة عن جميع القارئين بما توالي عرضه من حكايات أمثالهم وأقاصيص أسلافهم، كأنّها حكاياتهم هم إذ يرتّلون آيات الله، أو أقاصيصهم هُمْ ساعة يطربُون لألحان السّماءامن أجل هذا كان جهلُ النّاس بأسباب النّزول كثيراً ما يوقعهم في اللّبس والإبهام، فيفهمون الآيات على غير وجهها، ولا يصيبون الحكمة الإلهية من تنزيلها.ولولا بيانُ سبب النّزول لظلّ النّاسُ إلى يومنا هذا يُبيحون تناول المُسكرات أخذاً بظاهر بعض آي القرآن الكريم.ولولا أسباب النّزول لأباح النّاس لأنفسهم التوجّه إلى الصّلاة إلى النّاحية التي يرغبون، عمَلاً بالمُتَبادِر من أقواله تعالى. ينظر تفصيل ذلك وأمثلته من القرآن الكريم وسير الأوّلين: الإتقان في علم القرآن لجلال الدّين عبد الرحمن السّيوطي وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاّني، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، دت، ١/٢٨-٢٩ ومباحث في علوم القرآن، ص١٣٠-١٣١.

(76) الإتقان في علم القرآن، ١/٢٨.

لبعده عن الحال لم يعرف السَّبَب للتَّسمية، والألفاظ المنقولة إلينا قد كانت لها أسباب لم نشاهدها ولم نَدْرِ ما حديثها، وخير مثال قولهم:(رفَعَ عقيرَتَه)إذا رفع صوته.فلو ذهبنا نشتقّ لقولهم(ع ق ر) من معنى الصوت لبُعْد الأمر جداً. فمعنى ذلك أنّ رجلاً قُطعَت إحدى رِجْلَيْه فرفعها ووضعها على الأخرى، ثمّ نادى وصرخ بأعلى صوته، فقال النّاس:رَفَعَ عَقيْرَتَهُ، أي رجله المعقورة. (٧٧)وهو ما ذكره ابن فارس ضمن(باب القول في أصول أسماءٍ قِيسَ عليها وأُلحِقَ بها غيرُها) من كتابه الصاحبي. (٧٨)

كما يروي ابن جنّي عن بعض مشايخه قوله: أنا لا أُحْسِنُ أن أُكَلِّمَ إنساناً في الظُّلْمَةْ، ويذكر أنّ الحمّالين والحمَّامِيِّين(*)، والسَّاسَة (*)، والوقّادين(*)ومنْ يُلِيهِمْ ويُعتَدُّ منهُم، يستوضِحُونَ من مشاهدة الأحوال مالا يحصِّلُه أبوعمرو من شعر الفَرَزْدَق (ت١١٠هـ) إذا أُخْبِرَ به عنه، ولم يَحضره يُنشده.أَوَ لا تَعلَم أنّ الإنسان إذ عناه أمرٌ فأرَادَ أن يُخاطِبَ به صاحبَه، ويُنْعِمَ تصويرَه له في نفسه استعطفهُ ليُقبِلَ عليه؛ فيقول له:يا

---

(77) الخصائص، ١/٢٤٨.

(78) الصاحبي في فقه اللغة، ص٩٦-٩٧.

(*) الحمَّاميُّون:هم أصحاب الحمّامات كما تطلق على العاملين فيه. ينظر: المعجم الوسيط، ١/٢٠٠، مادة(حمّ) وأساس البلاغة، ص ١٤٧، مادة(حمي) والقاموس المحيط، ٤/١٠١-١٠٢، مادة (حُمْ).أمّا إذا كان المقصودُ الحَمَاميُّون: فهم مُرَبّو الحَمَام، أو لعلّه بمعنى الحامّة وهم العامّة (ينظر: لسان العرب، ١٢/١٥٤، مادة(حم)، وهو ما قد يستجيب كذلك لسياق النصّ، وإن كان الجوهري جعلها للخاصّة. يقال: حامّة الرّجُل: أقرباؤه. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص ١٩٠٧، مادة(حم).

(*) يريد ساسة الدوابِّ القائمين عليها.ينظر: القاموس المحيط، ٢/٢٣٠، مادة(السُّس) وأساس البلاغة، ص ٣١٣، مادة(سوس).

(*) الوقّادُون: جمع وَقّاد، وهم الذين يُسْرِجُونَ السُّرُج.ينظر: القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب لمحمد بن أبي السّرور الصّديق الشّافعي، تحقيق السّيد إبراهيم سالم، مراجعة إبراهيم الأبياري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ، دار الفكر، ١٩٦٢م، ص٤٨.

فُلان، اين أنتَ ؟أرِنِي وَجْهكَ؟ أقْبِل عليَّ أُحدِّثْكَ ؟ أمَا أنتَ مُقْبِلٌ يا هَنَاهُ(*)؟ فإذا أقبلَ عليه، وأصْغى إليه، اندفع يحدِّثُه أو يا مُرُه أوينهاهُ، أو نحو ذلك فلَوْ كانَ استماعُ الأُذُنِ مُغْنِياً عن مُقابَلَة العَيْن، مُجزِئاً عنه لَمَا تكلَّفَ القائل، ولا كلَّفَ صاحبَه الإقْبالَ عليه، والإصْغاءَ إليه.[79]

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى سياق الموقف بوصفه أحد مصادر الدّلالة غير اللغوية، فقال: إذا قال رأيت أسداً، ودلَّك الحالُ على أنه لم يُرِد السَّبع، علمتَ أنّه أراد التشبيه إلاّ أنّه بَالَغَ فجعلَ الذي رآه بحيثُ لا يتميَّزُ عن الأسد في شجاعته.وكذلك تعلمُ من قوله: بلغني أنّكَ تُقدِّمُ رِجْلاً وتُؤَخِّرُ أُخرى: أنّه أرادَ التردُّدَ في أمْرِ البَيْعَةِ واختلافِ العَزْمِ في الفِعْل وتَرْكِهِ.[80]

والثابت أنّ ابن سيده والمعجميين قبله قد أدركوا أهمّية سياق الموقف بوصفه عاملاً متمّماً للمعنى لا يمكن لاستغناء عنه في تسييق موادّ اللغة.فقد جاء في المقاييس: النّون والسّين والياءُ أصلان صحيحان: يدلُّ أحدُهما على إغْفَال الشّيء والثاني على تَرْكِه وإذا هُمِزَ تغيَّر إلى تأخير الشّيء. يقال: نَسِئَتِ المرأةُ:تأخَّرَ حيضُها عن وقتهِ.والنَّسيءُ من كتاب الله: التأخيرلقوله تعالى:﴿ إنّما النَّسِيءُ زِيَادَةٌ في الكُفْرِ﴾.[81] فقد كان النّاسُ إذا صَدَرُوا على مِنًى يقومُ رَجُلٌ من كِنَانَة يُقالُ له نُعَيْم بن ثعلبة فيقولُ: أنا الذي لا يُرَدُّ لي قَضَاءٌ. فيقولونَ: أَنسِئْنا شَهْراً، اي أَخِّرْنا حُرْمَةَ المُحَرَّمِ فاجْعَلْنا في صَفَر.وذلك أنّهم كانوا

(*) هَنَاهُ: كنايةٌ عن الرَّجُل. ويُقال: يا هَنُ ويـا هَنَـاهُ أقْبِـلْ ولهـا ويـا هَنَـةُ أقْبِلـي. ولاتُـستعمل إلاّ في النّداء.المعجم الوسيط، ٢/ ٩٩٨، مادة(الهَنُ) والقاموس المحيط، ٤/ ٤٠٧، مـادة (الهَنُـوُ).وأوردهـا الجاحظ مثالاً للاستعانة المخلّة بالبلاغة وردّ استعمالها عند مقاطع الكـلام إلى عـيٍّ وفـسادٍ.ينظـر: البيان والتبيين، ١/ ١١٣.

(79) الخصائص، ١/ ٢٤٦-٢٤٧.

(80) دلائل الإعجاز، ص ١٨٤.

(81) الآية ٣٧ من سورة التوبة.

يكرهُونَ أن يتوالى عليهم ثلاثةُ أشهُرٍ لا يُغيرُونَ فيها؛ لأنَّ مَعَاشَهُم كان الإِغَارَة، فيُحِلُّ لهم المُحَرَّم.(٨٢)

ومن أمثلته في المحكم قول ابن سيده: وحَتَمَ اللهُ الأَمْرَ يَحْتِمُهُ حَتْماً: قَضَاهُ. والحَاتِمُ: القاضي. وكانت في العرب امرأةٌ مُفَوَّهَةٌ، قالت:لاَ أتزوّج إلاَّ لِمَن يَرُدُّ عَلَيَّ جَوَابي.فجاءها خَاطِبٌ، فوقَفَ ببَابِها، فقالت: أين أنْتَ؟ قال: على بِسَاطٍ واسِعٍ وبَلَدٍ شاسِعٍ، قريبُه بعيدٌ، وبَعِيدُهُ قَرِيبٌ. فقالت: ما اسمُكَ؟ قال: من شاءَ أَحْدَثَ اسْماً، ولم يكُنْ ذلك عليه حَتْماً. قالت: كأنَّكَ لا حاجَةَ لَكَ؟ قال: لو لم تكنْ لَم آتِكِ ولم أَقِفْ ببَابِكِ. قالت: أَسِرٌّ حاجَتُكَ أم جَهْرٌ؟ قال: سِرٌّ مُسْتَعْلَنٌ.قالت: فإذا أنْتَ خَاطِبٌ؟ قال: هو ذاكَ، قالت: قُضِيَتْ، فتزوَّجَها.(٨٣)

أمّا من أمثلته في معاجم المعاني، فقول ابن فارس في(باب الجِمَال) من متخيّر الألفاظ أنَّ:ألسِّنح:الهيئةُ. قال ابن الأعرابي: قالت لي أمُّ هاشم السَّلُولية: إنَّهُ لَيُعْجِبُني سِنْحُكَ وَوَضَحُكَ.قُلْتُ:وما سِنْحي؟ قالت: هيئتُكَ. قُلْتُ: وما وَضَحي ؟ قالت: ما بَدَا من وَجْهِكَ.(٨٤)

ومن ذلك ما جاء في المخصص من نقول عن لغويين سابقين لابن سيده خاضوا في أموركـ(الحمل والولادة)مثلا. فعن ثابت بن أبي ثابت أنَّ الحَبَل: الامتلاء. يُقالُ: حَبَلَ الرَّجُلُ من الشَّرَاب: امتَلأَ. ورَجُلٌ حَبْلاَن وامرأةٌ حَبْلَى. وقال أبو عليّ الفارسي: امرأةٌ حَبْلاَنَة على مثال قولهم: شَاةٌ حَلْبَانَةٌ وناقةٌ رَكْبَانَةٌ، قال: وأَخْبَرَني أبو بكر محمّد بن السرّي عن أبي العبّاس أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي: أنَّ فُتَيَّةً من بعض أحياءِ العرب خرَجَت ترعى غُنَيْمَةً لها فَسَاوَرَها غُلامٌ من عُقَيْل فافْتَضَّها.فلمّا أحسَّت بالحَبَل وذَبُلَت

(82) معجم مقاييس اللغة، ٥/ ٤٢١-٤٢٣، مادة(نسى) والأمالي في لغة العرب، ١/ ٥-٦ وينظر: الفرق لثابت بن أبي ثابت، ص ٥٣، (باب الحَمْل).

(83) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ٣/ ٢٠٨، مادة(حتم).

(84) متخيّر الألفاظ ص ٩٠.

شَفَتُها، وغارَت عينُها، قالت لأمُها: أجِدُ عيْني هَجّانَةً (*)و شَفَتِي ذَبّانَةً (*) وأرَاني حَبْلانَةً. قالت لها: وممَّ؟ قالت:خرجْتُ ذاتَ يَومٍ بالغَنَمِ أرْعاها فَوَاتّبَني غُلامٌ عُقَيْليٌّ، فما زال يَحُدُّني (*) واشْبَاهُ".(٨٥)

والواقع أنّ القرائن الخارجية المؤثّرة في الكلام أكثر عدداً وأشدّ اتساعاً من أن تحصر أو توضع لها المعايير أو الضوابط الثّابتة(٨٦)، ولذا فهي متروكة عادة لتقديرات المتخاطبين

(*) هجّانة: غائرة.ينظر: القاموس المحيط، ٢٧٩/٤، مادة(هجن) ولسان العرب، ١٣/ ٤٣٣-٤٣٤، مادة (هجن).

(*) ذبّانة:ذبلانة.لسان العرب، ١٣/ ١٧٢، مادة(ذبن) والقاموس المحيط، ٢٢٧/٤، مادة (الذّبلة).

(*) يحُدُّني: يغاضبني ويدافعني من حيث لا أجد منه بُداً. القاموس المحيط، ٢٧٩/١، مادة (الحدّ) وأساس البلاغة، ص ١١٦، مادة(حدد).

(85) المخصص، ١٨/١، وينظر: الفرق لثابت بن أبي ثابت، ص ٥٣، (باب الحَمْل) والفرق لقطرب، ص٩٠-٩١، (باب الحَمْل).

(86) وتجدر الإشارة هنا إلى أنّه على الرغم من الميزات الظاهرة في هذه النظرية السياقية، التي من أهمّها قدرتها على تفسير جزءٍ كبير من المعنى وموضوعيتها واقتصارها على اللغة دون الخروج منها إلى مناهج أخرى غريبة عنها، فإنّ ذلك لم يعفيها من النّقد، فانتقد بالمر(Palmer) منهج فيرث (Firth) السياقي، فقال:" إنّ فيرث لم يقدّم نموذجاً أو نظرية شاملة لوصف اللغة بمكوّناتها المختلفة ولكنّه ركّز على دور السياق في تحديد المعنى فقط.كما أنّ مفهوم السياق يبقى غير محدّد تمام التحديد ولا يمكن أن يستخدم في تحديد كثير من الجمل في اللغة".(ينظر: مقدمة في اللغويات المعاصرة، ص ١٨٢). كما ذكر ليونز(Lyons) أنّ فيرث (Firth) في نظريته للمعنى لم يدَع مجالاً لفكرة علاقات المعنى التي تضبط مجموعة المفردات المعجمية، من مثل علاقة التضمين، والتضادّ والعكس، والترادف، كما أنّه لم يترك أيضاً مجالاً لفكرة الإشارة، مع أنّ الإشارة والمعنى معاً يغطّيان الجزء الأكبر لما يفهم من كلمة معنى، عادة، عندما يسأل المرء ما هو معنى كلمة(س)؟مثلاً، ومن الواضح أنّ فيرث (Firth) لا يمكنه أن يدّعي بطريقة مقبولة أنّه أمدّنا بنظرية شاملة للدلالة.(وصف اللغة العربية دلالياً، ص ١٠٥).والواقع" أنّ المعنى الصّادر عن السياق ليس من صنع السياق وحده حتى ينسب إليه، فالمعنى المعجمي إنّما هو، في المقام الأول، معنى إفرادي، وذلك أنّ دور السياق لا يتجاوز إقصاء بقية الدلالات التي تكمن في الكلمة المعينة وإبعادها بحيث ترجح دلالة واحة للكلمة، والمرجّع في ذلك هو السياق". ومن هنا حقّ لنا القول:" إنّ الكلمة عندما

باعتبارهم ينتمون إلى بيئة لغوية واحدة، ويتقاسمون الاعتقادات والتّخمينات نفسها والمرتبطة بالسياق ويستطيع كلّ منهم أن يصل إلى الاستنتاجات المطلوبة عند اشتراكه في عملية التخاطب، مستعيناً في ذلك بتجاربه السابقة، وقدراته العقلية الذّاتية، وكفاءته التي تقتضي منه القدرة على الفهم والإفهام بوصفه عضواً من أعضاء المجتمع اللغوي الذي ينتمي إليه.[٨٧]

ومن كلّ ما تقدّم، فإنّ ما نودّ أن نخلص إليه القول بأنّ اللغة المكتوبة، واللغة الجانبية، ولغة الحركة الجسمية عناصر متكاملة لا يستغني أحدها، في الغالب، عن الآخر، وهي تشكّل مجتمعةً عناصر الاتّصال الإنساني. ومن ثمّ، فإنّ فهمها فهماً صحيحاً لا يكون إلاّ بدراستنا ظواهر الاتّصال المختلفة.وما يهمّنا هنا هو أنّ علاقة اللفظ بالمعنى لا ينبغي أن تفهمَ على أنّها علاقةٌ ثنائيةٌ بين اللفظ وما يشير إليه، بل على أنها مجموعةٌ من العلاقات المتعدّدة الأبعاد والصّوَر، وهي أساس علاقات وظيفية بين اللفظ في الجملة وسياقات حدوثها.[٨٨]

ومن هنا حقّ لنا القول: إنّ الكلمة عندما توضع في سياقات مختلفة ليست كالماء الذي يخضع لونه للون إنائه، وإنّما هي كالحرباء التي تتلوّن بلون المكان الذي تحلُّ فيه، أي أنّ الكلمة أشبه بالحرباء، تمتلك إمكانات معينة، كلٌّ منها يبرز في موضعه المناسب، وليست كالماء الذي لا يملك شيئاً من تلك الإمكانات، وإنّما يخضع لما يفرض عليه من الخارج[٨٩]

توضع في سياقات مختلفة ليست كالماء الذي يخضع لونه للون إنائه، وإنّما هي كالحرباء التي تتلوّن بلون المكان الذي تحلُّ فيه، أي أنّ الكلمة أشبه بالحرباء، تمتلك إمكانات معينة، كلٌّ منها يبرز في موضعه المناسب، وليست كالماء الذي لا يملك شيئاً من تلك الإمكانات، وإنّما يخضع لما يفرض عليه من الخارج. نفسه، ص ١٠٥.

(87) وصف اللغة العربية دلالياً، ص ١٣٧.

(88) المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، ، ص ٢٣٨-٢٣٤.

(89) وصف اللغة العربية دلالياً، ص ١٠٥.

المصادر والمراجع

أ-المصادر والمراجع العربية:

* القرآن الكريم

الإتقان في علم القرآن لجلال الدّين عبد الرحمن السّيوطي وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاّني، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، دت

أدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق وتعليق وفهرسة محمد الدّالي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م. بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

الأزمنة وتلبية الجاهلية لأبي علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٨٥م.

أسباب النزول لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، وبهامشه (النّاسخ والمنسوخ) لأبي القاسم هبة الله بن سلامة أبي النّصر، دار الضياء، قسنطينة، قصر الكتاب، البليدة، دت.

اشتقاق الأسماء لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق رمضان عبد التواب، وصلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي بمصر، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م

الإصابة في تمييز الصحابة لشهاب الدين العسقلاني، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٨ هـ

الأصول دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي النحو فقه اللغة، البلاغة، لتمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١/ ١٤٠١ه- ١٩٨١م.

أضداد لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦٠م.

الاقتراح في علم أصول النحو لجلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، تصحيح عبد الرحمن بن يحيي، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٥٩م.

الأمالي في لغة العرب لأبي علي إسماعيل القالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨ _ -١٩٧٨م.

إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، سلسلة الأنيس، موفيم للنشر، ١٩٨٩م.

الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم لأبي محمد عبد الله بن محمد البطليوسي، تحقيق محمد رضوان الدّاية، دار الفكر، ط٢، دمشق، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات عبد الرّحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ومعه كتاب الانتصاف، من تأليف المحقّق دار الجيل سنة ٩٨٢ م، ج١-٢.

إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز الجامع للقراءات الأربعة عشر لمحمد بن خليل بن أبي شمس الدين بن عبد الله الشهير بالقباقبي، دراسة وتحقيق فرحات عياش، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ١٩٩٥م.

بعض مظاهر علم الدلالة العربي من خلال ديوان حسّان بن ثابت لعمر صبور، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة، بإشراف الدكتور عاطف عبد الهادي علاّم، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ١٩٩٠م.

بغية الوعاة لجلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دت، ج١-٢.

البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص لهنريش بليث، ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري، منشورات دراسات.سال، ط١، البيضاء، ١٩٨٩م

البلاغة لتمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م

بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان بن محمد بن إبراهيم الخطّابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرُّمّاني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق وتعليق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلاّم، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

البيان والتبيين لأبي عثمان عمروبن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الجيل، بيروت، دت، ج١-٤.

تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، شرح السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠١ هـ -١٩٨١م.

تثقيف اللّسان وتلقيح الجِنَان لأبي حفص عمر بن خَلَف بن مكّي الصّقلّيّ، قدّم له وقابل مخطوطاته وضبطه مصطفى عبد القادر عَطَا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية سنة١٩٢٩م المستشرق الألماني برجستراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه لرمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م

التطور اللغوي التاريخي لإبراهيم السامرائي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠١ هـ-١٩٨١م.

تفسيرمفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث لسميح عاطف الزّين، دارالكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

التكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق حسن شاذلي فرهود، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، ١٩٨٤م.

تهذيب إصلاح المنطق للخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي تحقيق فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.

جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلّمين وآباء الصّبْيان لأحمد بن أبي جمعة المغراوي، تحقيق وتعليق أحمد جلّولي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.

جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، دار صادر، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ط١/ ١٣٤٥ه، ج١-٧.

جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطّاب القرشي، دار المسيرة، بيروت، طبعة٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م

الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط٢، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
جواهرالبلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،دت.
الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجّار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط٢مصورة، ٩٥٠ م، ج١-٣.
دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط٩، بيروت، ١٩٦٠م.
الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث لمحمد حسين آل ياسين، مكتبة الحياة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
درّة الغواص في أوهام الخواص لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٢٩٩هـ.
دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار قتيبة، ط١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٢م.
دور الكلمة في اللغة لستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١٢، دت.
ديوان امرىء القيس، دارصادر، بيروت، دت
ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري، تحقيق وتعليق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.
ديوان حميد بن ثور، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة، ١٩٥١م.
ديوان رؤبة بن العجاج وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه، اعتنى بترتيبه وتصحيحه وليم بن الورد البُروسيّ، ط٢، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
ديوان عنترة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

ديوان العجاج رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تحقيق عبد الحفيظ السّطلي، مكتبة أطلس، دمشق، دت.

ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد الطاهرابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٦م.

رسالتان في اللغة، منازل الحروف- الحدود لأبي علي الحسن بن عيسى الرُّمّاني، تحقيق وتعليق وتقديم إبراهيم السّامرّائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ١٩٨٤م

رصف المباني في شُروح المعاني لأحمد عبد النّور المالقي، تحقيق أحمد محمد خرّاط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دت،

زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته – دراسة في النحو العربي- لعبد الجبار توامة، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٤م.

سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٢-١٩٥٣م.

شرح ألفية ابن مالك لابن النّاظم شرح حاشية ابن مالك لأبي عبد الله بدر الدين محمد ابن النّاظم، تحقيق عبد الحميد السيّد محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، دت.

شرح جمل الزجاجي لجلال الدين ابن هشام الأنصاري، دراسة وتحقيق علي محسن مال الله، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية بحلب، ط١، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م

شرح القصائد العشر للخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي، ضبط وتصحيح عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لأبي الحسين أحمد ابن فارس، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م.

الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، في ستّ مجلدات.

صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري بحاشية أبي الحسن نور الدين محمد عبد الهادي السّندي، دار المعرفة للطباعةوالنشر، بيروت، دت.
ظاهرة التنغيم في البحث الصوتي بين القديم والحديث لأمينة بن ملك، ضمن الآداب - العدد٢، علم اللغة لماريو باي، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر، ط٢، القاهرة، ١٩٨٣م.
العبارة(وهو كتاب في المنطق) لأبي نصر الفارابي، تحقيق محمد سليم سالم، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٦م.
العربية لغة العلوم والتقنية لعبد الصّبور شاهين، دار الاعتصام للطبع والنّشر والتوزيع، ط٢، القاهرة، ١٩٨٦م.
علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته لصلاح فضل، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م
علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق لفايز الداية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.
علم الدلالة لأحمد مختار عمر مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٩٨٢م.
علم الدلالة والمعجم العربي لعبد القادر أبو شريفة وداود غطاشة وحسين لافي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٩م.
علم اللغة بين التراث والمعاصرة لعاطف مدكور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م.
علم اللغة بين القديم والحديث لعاطف مدكور، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٦م.
علم اللغة العام لتوفيق محمد شاهين، مكتبةوهبة، ط١، القاهرة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
علم اللغة العام لفيدیند دي سوسير لفردينان دي سو سور، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط٢، ١٩٨٨ م.
علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط٦، ١٣٨٧ هـ- ١٩٦٧م.

علم اللغة مقدمة للقارئ العربي لمحمود السعران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت دت.

علم اللغة وفقه اللغة لعبد العزيز مطر، دار قطري بن الفجاءة، قطر، الدار التونسية للنشر، دت.

عوامل التطور اللغوي، دراسة في نموّ الثّروة اللغوية لأحمد عبد الرحمن حمّاد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٨٣م.

الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، ط١، ١٩٨٩م.

فائت الفصيح لأبي عمر بن عبد الرحمن الباوردي المطرّز الزاهد غلام ثعلب، تحقيق ودراسة محمد عبد القادر أحمد، مطبعة السّعادة، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م

الفرق لأبي علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب،تحقيق ودراسة صبيح التميمي ومحمد علي الرديني، مؤسسة الأشرف للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ بيروت، لبنان، سنة ١٩٩٥م.

الفرق لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق صبيح التميمي، دار أسامة، بيروت، ١٩٨٧ الفرق لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي

الفَرْق لثابت بن أبي ثابت تحقيق حاتم صالح الضامن، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

فقه اللغات السّامية لكارل بروكلمان، ترجمة عن الألمانية رمضان عبد التوّاب، جامعة عين شمس، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية للكلمة العربية وعرض بمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد لمحمد المبارك، دار الفكر، ط٥، بيروت، دت.

فقه اللغة في الكتب العربية لعبده الرّاجحي دارالنهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م

فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية للكلمة العربية وعرض بمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد لمحمد المبارك، دار الفكر، ط٥، بيروت، ١٩٧٢م.

الفهرست لمحمد ابن إسحاق النديم، تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

في قضايا فقه اللغة العربية لصالح بلعيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ، دت.

القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة فن الطباعة، مصر، دت، ج١-٤.

القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب لمحمد بن أبي السّرور الصّديق الشّافعي، تحقيق السّيد إبراهيم سالم، مراجعة إبراهيم الأبياري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ، دار الفكر، ١٩٦٢م.

القياس في النحو مع تحقيق باب الشاذّ من المسائل العسكريات لأبي علي الفارسي لمنى إلياس، ديوان المطبوعات الجامعية، ط١، الجزائر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس محمد بن يزيد للمبرد، تحقيق تغاريد بيضون ونعيم زرزور، دارالكتب العلمية، ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ج١-٢.

كتاب السلاح (من الغريب المصنف)، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

كتاب سِيَر الأئمّة وأخبارهم (المعروف بتاريخ أبي زكرياء) لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر، تحقيق وتهميش إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط٢، بن عكنون، الجزائر١٩٨٤م.

كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧ م، ج١-٢.

كتاب معاني الحروف لأبي الحسن علي بن عيسى الرمّاني، تحقيق وتعليق عبد الفتّاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت

الكتاب لأبي عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، دت، ج١-٤.

كلام العرب من قضايا اللغة العربية لحسن ظاظا، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م

الكليات لأيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أعده للطبع عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥م، ج١-٥.

لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة لعبد العزيز مطر، دار المعارف، ط٢، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، دت، ج١-١٥.

اللغة العربية مبناها ومعناها لتمّام حسّان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دت.

اللغة لجوزيف فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخليومحمد قصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٠ م.

اللغة والدلالة آراء ونظريات لعدنان ذريل، منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ١٩٨١م.

اللُّمَع في أصول الفقه لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزآبادي الشّافعي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

اللُّمَع في العربية لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط٢، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

المخصص لأبي الحسن علي بن سيده، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، ١٣١٧هـ-١٣٢١هـ

المذكر والمؤنّث لابن التستري، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

المذكر والمؤنّث لأبي زكريا يحيى بن زيادالفرّاء، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٥م

المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي، شرح وتعليق محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار الجيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث لمحمد أحمدأبو الفَرَج، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، ط١، ١٩٦٦م.

معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن زكريا بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعةو النشر والتوزيع، ١٩٧٩م، ج١-٦.

معجم المصطلحات النحوية والصرفية لمحمد سمير لحبيب اللّبدي، مؤسسة الرسالة ودار الفرقان، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء، تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، سنة ١٩٨٠م، ج١-٣.

المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم لأبي منصور الجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م.

المُبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلّمين لسيف الدين الآمدي، تحقيق وتقديم حسن محمود الشّافعي مكتبة وهبة، ط٢، القاهرة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

المأثور من اللغة (ما اتّفق لفظه واختلف معناه) لأبي العَمَيْثَل عبد الله بن خليد الأعرابي، تحقيق محمد عبد القادر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

ما اتّفق لفظه واختلف معناه لأبي السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن علي الحسني المعروف بابن الشّجْري، تحرير وتحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

مباحث في علوم القرآن لصبحي الصّالح، دار العلم للملايين، ط١٤، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.

متخيّر الألفاظ لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق هلال ناجي صدر عن مطبعة المعارف ببغداد، ط١، سنة ١٩٧٠م.

مبادئ اللسانيات لأحمد قدور، دار الفكر، دمشق، سورية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦ م.

المحكم والمحيط الأعظم في اللغة تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٩٥٨م، ج١-٧.

مجمع الأمثال لأبي الفضل النيسابوري الميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات دار النصر، دمشق، بيروت، دت، ج١-٢.

مصنّفات اللّحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري لأحمد محمد قدّور، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية، ١٩٩٦م.

المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث لمحمد أحمدأبو الفَرَج، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، ط١، ١٩٦٦م.

المعجم الوسيط لإبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي، و محمد خلف الله أحمد، دار الفكر، بيروت.

من كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري اختار النصوص وقدّم لها وعلّق عليها محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٤م.

المقتضب لأبي العباس محمد بن دريد المبرّد ـ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، دت

مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي، تحقيق فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م

مناهج البحث في اللغة لتمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٠هـ- ١٩٧٩م.

المنهج الصوتي للبنية العربية – رؤية جديدة في الصرف العربي- لعبد الصّبور شاهين، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

الموافقات لأبي إسحاق الشّاطبي وهو إبراهيم بن موسى اللّخمي الغرناطي المالكي، اعتنى بهذه الطبعة الجديدة وخرّج آياتها وضبط أحاديثها الشيخ إبراهيم رمضان، دار الفتوى، ط٣ مقابلة عن الطبعة التي شرحها عبد الله درّاز، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، في مجلدين.

نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، لتامر سلّوم، دار الحوار، ط١، اللاذقية، سورية، ١٩٨٣م.

النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن لأبي الحسن علي بن عيسى الرمّاني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّمّاني والخَطّابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق وتعليق محمد خلف الله محمد ومحمود زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٣٨٧ هـ-١٩٦٨م

وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء الدلالة المركزية، دراسة حول المعنى وظلال المعنى، لمحمد محمد يونس علي، منشورات جامعة الفاتح، ط١، طرابلس، ليبيا.

ب-المراجع الأجنبية:

Christian Bylon-Xavier Mignot. Sémantique du Langage-Initiation-editions Nathan,Paris,1995.

Dictionnaire de linguistique,Larousse,Paris,1973

Geoffrey Leech, Semantics the study of meaning,second edition, Pinguin,1990.

Mustapha Zaoui, Sémantique et etude de langue, office des publications universitaires, Alger,1993.

فهرس الموضوعات



إضاءة

ان المعجم اللغوي هوية الحقل المعرفي والجنس الادبي، لذلك يميز النقد الفرنسي كما قال الناقد الفرنسي بوفون العملية النقدية او الظاهرة الكلامية بقوله: «الرجل اسلوب!!».

وبحث الدكتور عبد القادر سلامي بتفوق في ما يجعله يقدم ما هو صالح للترقية العلمية الجامعية هذه الدراسة الجادة في ضرورة العناية اللغوية بالمعجم الدلالي.

والحقيقة ان هذا التركيز هو ادراك فلسفي فكري في جوهر الكلام وفي جوهر الخطاب كل الخطاب.

الناشر

د. زهير العنابي